

كنزُ الأسرار في مناقب مولانا الشَّيخ العربي الدرقاوي وبعض أصحابه الاخيار

"1150–1239هـ"

للعارف بالله تعالى المحقّق المدقّق الصوفي الابر النّاسك سيّدي محمّد بن احمد المعَسكري الدّرقاوي المعروف بابي زيّان المتوفي

"1271هـ"

تحقيق وطبع الزاوية العلاوية الدرقاوية الشاذلية
بأشراف الشَّيخ محمّد جهاد ناصر الصالحي
قدس الله سره ورضي عنه
العراق—كركوك

كنزُ الأسرار في مَناقِب مَولانا الشَّيخ العَربي الدَّرقاوي وبعضُ أصحابهِ الأخيار

" ١١٥٠- ١٢٣٩هـ "

للعارف بالله تعالى المُحقِق المُدقِق الصُّوفي الأبر النَّاسك سيِّدي مُحمَّد بن أحمد المعَسكري الأندلسي الدَّرقاوي المَعروف بأبي زيَّان المُتوفى

" ١٢٧١هـ "

تم تحقيق وطبع الزاوية العلاوية الدرقاوية الشاذلية

بإشراف الشيخ محمد جهاد ناصر الصالحي

قدس الله سره ورضي الله عنه

كركوك- العراق

١٤٤١هـ / ٢٠٢١م

ايميل Shathilia.iq@gmail.com

الموقع http://sites.google.com/view/shathilia

المؤلف

الشَّريف الفقيهُ الأجلُّ الوَلي الصَّالح الأفضل العَارفُ المُحقَّقُ الصُّوفي المُدقِّق سيِّدي أبو زيَّان بن أحمد المُعسكري الإغريسي، كانَ مِن جُلَّة أصحابِ العَارف بالله مَولاي العَربي الدَّرقاوي وكبرائهم وكانَ لهُ أصحاب وأتباع أخذوا عنه وانتسبوا اليه.

ولهُ طبقات في مَناقبِ شيخهِ المذكور وبعض أصحابه، توفي قَبل اكمالها يوم الجُمعة خامس رَبيع الأول سنة نيف وسَبعين ومائتين وألف ودُفن بروضة أولاد إدريس التي في آخر الرَّوضات الكائنة بهذا الخارج مِن ناحية القِبلة.

سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس مِمَّن أقبر من العلماء والصلحاء للشريف أبي عبدالله مُحمَّد
بن جعفر بن ادريس الكتاني " ١٢٧٤-١٣٤٥هـ "

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلّى الله على سيِّدنا مُحمَّد وآله وصحبه وسلِّم

المقدمة

الحمدُ لله الموصوف والمعروف بالوجُود والقِدم الذي لا يَطرأ عليهِ فناءٌ ولا عَدم، والصَّلاة والسَّلام الأكملان الأتمان على سيِّدٍ وَلد آدم سيِّدنا ومولانا مُحمَّد ينبوع مَن تأخر ومَن تقدَّم، وعلى آله وأصحابه الثَّابتين في معرفة الله والرَّاسخين القَدَم وبَعد

فقد أردتُّ أن نُقيِّد وفاة أستاذي ومَلاذي وعُمدتي وبُغيتي ومُرادي، شيخُ الطَّريقة وقُدوة قادة أربَاب الشَّريعةِ والحقيقة، نُخبة الوجود وأنسانُ عين أهل معرفة العِيان والشُّهود، خُلاصة خاصَّة أولي التَّخصيص والاصطفاء ومَجمع حياض رياض المَعارف والاكتفاء، برزخُ البَحرين لا يبغيان ومَركز الحَضرتين سيان، المخصوص بكمالِ التَّربية المَعنوية الوارثُ للولاية الجامعة المُحمَّدية، مُحي المِلَّة والمُسفِر عن وجُوه حقائق المَحبَّة والخِلَّة، حامِل لواءِ التَوحيد والدَّاعي بالله لله على مَحجَّةِ التَّجريدِ والتَّفريدِ، صَدر المَشايخ ومَرساة سفينة كُلِّ عارِف راسِخ، ذا الشّرف الباذِخ والمجد الشَّامخ، الغَوثُ الجَّامِع والبحرِ الواسِع، الدَّائم السُّكر والصَّحو الثَّابت في عَين الفَناء والمحو، مَن إليه هِمَمُ المُريدين والمُرادين توجَّهت وعليه تربيةُ المُحبِّين والمَحبوبين توقَّفت، فَريدُ عصرهِ ووحيدُ دَهرهِ، الَّذي لَم يَنسج أحدٌ على مِنوالهِ ولا عَلِمنا في زَمانِنا مَن أعطى عُشر عُشر العُشر مِن فضلهِ ونوالهِ، الأُستاذ العَربي أبا المَكارم سيِّدنا ومَولانا العربي ابن سيِّدنا ومولانا أحمد بن سيِّدنا ومولانا الحُسين الشَّريف الدَّرقاوي خَلَّدهُ الله في جوارهِ، وجَعلنا مِن حِزبه وشيعتهِ وأنصاره آمين.

مع ضَعفي وقُصر باعي وعَدَم معرفتي بحقائقهِ واطِّلاعي وإن كُنت قد صَحِبتهُ والحمدُ لله مُدةٌ مديدة وأعواماً عديدة تزيدُ على العشرين سنة ومعها لم نستوفِ معرفة اسمهِ ورِسمهِ فأحرى غيابات سِرّهِ وعلمهِ، وأنّى لمثلي أن يُحيط بمثلِهِ أو يدري كُنهِ حقائق محلّه، معَ أن العارف فوق ما يقول والعالِم دونَ ما يقول، فإن كانت حقيقته لا يَطيق أن يصفها هو بوصف أو يُكيفها بكيفٍ، فما بالُك بأمثالنا الذين لم يحظوا بكثير العِلم والعَمل فضلاً عن مقامات الرَّاسخين الكُمَّل، غير أن عمل المُقل يُذكر وسَعيهُ لدى أهلُ الكَمال يُستحسن ويُشكر، وإني أجدُ نفسي كأكمَه أراد أن يَنعت النُّهى أو جاهل عُمر رامَ مناظرة أولي النُّهى، مع أنَّ الشَّمسَ إذا طَلعت لا تحتاج الى وصفِ الواصف والجبل الشَّامخ في غنىً عن مرساة خيفة الرِّياح العواصف، وإننا أردنا أن نذكُر نزراً قليلاً مِن سَيره وسيرتهِ وشيئاً يسيراً مما رشَح مِن سَريرته، ليكون مِنَّا على بال ورجاء بركته أن يُخلِّصنا الله من جميع الوبال، فالله يجعله حُجةً لنا لا علينا وبالله استَعنت وعليهِ تَوكّلت واعتقدت ومنه التوفيق والهداية.

وقد استَخرتُه والحَمدُ لله حينَ الشُّروع والبداية وسَمَّيتهُ " كنزُ الأسرار في مَناقِب مَولانا العَربي الدَّرقاوي وبعضُ أصحابهِ الأخيار" وأقول كما قال القائل

أنا شاذلي ما حَييتُ وإن أمُتْ　　فَوصيَّتي في النَّاس أنْ يَتشذَّلوا

وقالَ آخر

أنا حَنبليٌ ما حَييتُ وإن أمُتْ　　فِمشورتي في النَّاس أن يَتحَّنبلوا

وأُشهِدُ أهلَ العَرش والأرض والسَّماء على أنّي درقاوي أموتُ وأُبعَثُ وأختار للنَّاس جميعاً يَستدرقون، أُدينُ بهِ رَبّي وللنَّاس أثبُت وعِزَّة بارئي في وَقتِنا لَمْ يوجد نَظير يُضاهيهِ ما دام لهُ المُكْثُ.

ولستُ أُماري فيه لا ولا أنني مريبٌ فيما قلتُ ويُدركُني الحَنث
وكيف لا والمولى اجتباهُ لقربه ومِن خيرِ خلقِ الله صَار لهُ الإرثُ

وقد وقع الأجماع من أعلام النهي على أنهُ شمس الكون قيل له الغوُثُ

وإيّاك أن تعدوا الطُرق حيناً لغيره فتوثق بالنوى وفي البثِّ تلبث
ولا تكترث وقتاً بِمَن ضلَّ تائهاً بأراجيف الهوى يفوهُ ويَعبث
أترتضي موصوفاً بالجهل مُقيداً أم الذي بالإلهام في الرّوع ينفث

فعليك بسلوك طريقة هذا الإمام حياً وميتاً ولا تبرح آناء اللّيل وأطراف النّهار عاكفاً على منهاجهِ ساجداً أو قانتاً، فهو والله الآية الكبرى والغنيمة العُظمى في الدُّنيا والأُخرى، والكنز الأكبر والكبريت الأحمر، وكيمياء السَّعادة وتاجُ العِزِّ والسِّيادة، والولي الصَّالح والقُطب الشَّهير الواضح، والإمام العارف الزاهد الورع والجرس الكامل الجامع، فلقد كان والله آيةً ربَّانيةً وكلمةً تامّةً صمدانيّة وموهبة من الله لدُنيَّة، حاز قطبُ السَّبق في المعرفة بالله والانحياش والانقطاع اليه والإقبال والتوكل والاعتقاد عليه، قد صَعَد ذَروة مَقام الرُّسوخ والتَّمكين وتبوَّأ من الأكتفاء بالله رِبوةٍ ذاتِ قرارٍ ومَكين فاقَ بذلكَ جَميع المَجذوبين والسَّالكين، ولعن الله مَن كذَبَ عليه أو وَصَفهُ بوَصفٍ لَم يَبلُغ إليه أو مقام لم يتحقّق لديه، ولو وَصَفهُ لَعمري الواصفون مَدى الدّهر لَمَا أحاطوا بشَمائِل أوصافهِ كما قال إمام العُشّاق

ولي الله تعالى الشَّيخ أبو حفص سيِّدي عُمر بن الفارض رضي الله عنه [1] في وصف مَن غطَّى وصفهُ بوصفهِ وهو الله تعالى

وعلى تَفنُّن واصفيه بوصفه يفنى الزَّمان وفيه مالَم يوصَفِ

وكما قال ولي الله تعالى سيِّدي البوصيري رضي الله عنه [2] في نَعتِ مَتبوعهِ صلى الله عليه وسلم

فإنَّ فضلَ رَسولِ الله ليسَ لهُ حدٌّ فيُعرَف عنه ناطق بِفَم

وسأوردُ عليكَ إن شاء الله شيئاً مِن أذواقه حتى لا تشُك عند طعم مذاقه، إلَّا إن كُنتَّ مريضاً بالأغيار ومحشواً بصور الآثار، وتُهت في مَهامة الإنكار فلا جرَم يُحال بينكَ وبينَ تلك الأنوار.

قد تُنكر العَينُ ضَوءِ الشَّمسِ مِن رَمدٍ ويُنكر الفمُ طَعمَ المَاءِ مِن سَقمِ

فلا حَولَ ولا قوةَ إلَّا بالله العَلي العَظيم، ولنرجع لما ترجمنا له مِن وفاة سيِّدنا أبقى الله سِرَّه ونورُه وبركتهُ وعنايتهُ فينا بمَحض الكَرم بجاهِ رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فقد توفي رَحمهُ الله ورَضي عنهُ ليلة الثلاثاء الثَّانية والعشرين مِن صَفر الخير عام تسعة بتقديم الفوقية وثلاثين ومائتين وألف بزاويته، حيطَ ليلاً ودُفن بزاويتهِ الأخرى القَديمة المُسمَّاة ببوريح ليلةَ الأربعاء وغَسَّلتهُ السَّيدة

[1]. أبو حفص شرف الدين عمر بن علي بن مرشد الحموي ولد بمصر سنة ٥٧٦ هـ أخذ الحديث عن ابن عساكر. ثم سلك طريق الصوفية ومال إلى الزهد .رحل إلى مكة في غير أشهر الحج، واعتزل في واد بعيد عنها. وفي عزلته تلك نظم معظم أشعاره حتى عاد إلى مصر بعد خمسة عشر عامًا.

[2]. مُحمَّد بن سعيد بن حماد الصنهاجي البوصيري ٦٠٨– ٦٩٦ هجرية شاعر صنهاجي اشتهر بمدائحه النبوية. أشهر أعماله البردية المسماة "الكواكب الدرية في مدح خير البرية ".

الجَّليلة الحُرَّة النَّفيسة الأصيلة الصَّائمة القائِمة المُتصدِّقة الذَّاكِرة الصَّادِقة زوجهُ مَريم بنت الشَّيخ بن خُدَّة الحَسناوي، وصلَّى عليه الأخ في الله والمُحبُّ في ذاتهِ السَّيد الأجلُّ الأستاذ العلَّامة المُحترم المُبجَّل وليُّ الله عزَّ وجَل مُحبَّهُ وأجلُّ النَّاس عندهُ أبو العبَّاس سيِّدي أحمد بن مُحمَّد بن عبد الرَّحمن مِن حفدة الشَّيخ الكبير القُطب الواضح الشَّهير أبي البقاء سيِّدي عبد الوارث اليلصوتي العثماني[١] وكلُّ ذلك بإيصائه ﷺ المرَّة بعد المرَّة.

والزَّاويتين المَذكورتين هُما معاً بقبيلة بني زروال[٢] بجبال الزَّبيب[٣] حَرسَها الله على مَسيرةِ يَومين مِن مَدينةِ فاس المَحروسة بالله وهُما مَشهورتان مَقصودتان للزيارة والاكرام لدى الخاص والعام.

وهذهِ القبيلة مُباركة طيِّبة كريمة فيها دَعوة النَّبي ﷺ لها مَنافعُ كثيرة لم توجد في غيرها ولها خصائص شتَّى، ومِن خصائصها أن جمع الله فيها أولاد الخلفاء الأربعة أولاد سيِّدنا أبو بكر وسيدنا عمر وسيِّدنا عثمان وسيِّدنا علي ﷺ وعن أصحاب النبي ﷺ جميعاً كلُّ واحد لهُ مِن ذُرِّيتهِ فيه كبيرة فيها.

فهي قبيلة ذات زَرع وضَرع ومِياه غزيرة وعِنب وتين وزَيتون وفاكهةٍ كثيرةٍ ودُهن وصوف وشَعر ومَرعى ومَعادن ملحٌ وغيره، غيظة مُشعرة غايةٌ في الحُسن والكمال والشجاعة والسخاء أهلها وفيها مِن الزَّوايا عَدد كثير، أرض قراءة وفتح فاستجاب الله فيها دعوة نبيّه ﷺ وسببُ ذلك والله أعلم إذ

[١]. ابو البقاء عبدالوارث بن عبدالله بن موسى العثماني نسبة الى سيدنا عثمان بن عفان ﷺ من أكبر علماء المغرب أخذ عن الشيخ أبي مُحمَّد عبدالله الغزواني وهو عمدته.

[٢]. قبيلة أمازيغية النسب من صنهاجة في المغرب وكانت قديما تقطن المناطق عند جبل درسة بتطاون أو ما كان يسمى بجبل حاميم.

[٣]. جبل بني زروال يسمى جيل الزبيب لكثرة زبيبه

كان الولي الكبير الأستاذ المُحقِق الشّهير سيِّدي الحاج علي بن فقيرة الزروالي قد قرأ سلكة برواية السّبع في الرّوضة الشّريفة حتّى ختمها فأجابه ﷺ مِن الرّوضة الشّريفة بأن قالَ لهُ

"هكذا أُنزِل عليَّ ياالإمام الزروالي بارك الله فيك وفي قبيلتك الزروالية جهرة "

وهذا خبرٌ معلومٌ شائعٌ ذائعٌ مُستفيضٌ على ألسنةِ النّاس أهل القبيلة وغيرهم.

وقد كانَ شيخُنا صاحبَ التّرجمة ﷺ يُحبُّها ويُعزُّها ويُثني بأكثر مِن هذا عليها هو كذلك، وقد سَمِعتهُ ﷺ يقول

" النّاس يقولون مَن مسّ ثوبهُ ثوب الزروالي يَربح ولا يَخسر "انتهى.

وقد مَسحنا ثوبه ﷺ لثوبنا فما رأينا إلّا خيراً ولا رأينا شراً والحمدُ لله، وقد كان ﷺ إذا سمِع أو وجد بقلبه لأنه مِرساة التجلّي أنهم مواجهون بأمر يَسؤهم توجّه ﷺ الى الله عزّ وجَل وأقبلَ عليهِ بِكُليتهِ ويأمر مُتّبعيهِ بأذكار مخصوصة بقصد ذلك حتّى يصرفه الله عنهم بفضله وكذلك كان حالهُ مع جميع عباد الله، فَوَ الله ما رأيناهُ إلّا يُحبُّ الخير لجميعهم ولا رأيناه يسوء لأحد ولا يُسَر بنكبة مؤمن قط.

وقد صَحِبناهُ ولزمناهُ مِن سنة تسعةَ عَشَر الى أن توفّاه الله لحضرته وأكرمهُ بكمالِ رؤيتهِ فما رأيناهُ عَبَس في وجه أحد ولا أغضبه والله على ما نقولُ وكيل.

وقد كان مُتّصفاً بأوصاف الرّحمة مُتخلقاً بأخلاق الله مالكاً للأحوال مملوكاً لها في ثلاثة أشياء وهي السّخاء وحُسنُ الخُلق والاكتفاء بشهود عظمة ذات الله تعالى، قد غلبَ عليه ومَلكهُ شُهود الرحمة لعباد الله، يَنصح

الأحداث والأصاغير ويُعظِّم السَّادة والأكابِر، يُشرِّف الشَّريف ويرفع الضعيف وينسُب للشَّرف كل مَن له أدنى نَسَب ويَحلُم على مَن لا خُلق لهُ فأحرى أهل العِلم والدِّين والأدب.

سمِعتهُ ﷺ يقول

" منذُ سبعة أيام وأنا مريض مِن أجل بعض اليهود باتوا بزاويتنا أضيافاً وأطعَمناهُم ونَسيتُ أن نُهيِء لهُم مَوضعاً يَرقدون فيه وكانت الليلة قُرَّة "انتهى.

وكان يقول

" يهون عليَّ أن تقطع رقبتي ولا أن نُغضب مسلماً " انتهى.

وكان يقول

" مِن المُحال أن يَشهد الأنسان مَولاهُ مُشاهدة الشُّهود والعَيان ثُم يكونُ سَيئاً خُلقهُ "انتهى.

وبالجُملة هو النَّفسُ المُطمئنة الرَّاضية المَرضيَّة الباقية على عَهد ربِّها الَّذي بها قوام العالَم ولولاها لأهلكَ الله العالَم، هي مَحل نَظر الله مِن خَلقهِ وميزاب التنزُّلات ومَهبط البَركات والرَّحمات، قد نفثَ رَسولُ الإلهام في رَوعِها فكانَ الحقُّ سُبحانهُ عين لِسانِها وبَصرِها وسمعِها خليفةً بعدَ خليفة قال تعالى

﴿ إنِّي جاعلٌ في الأرض خليفة ﴾[1]

﴿ يا داوودُ إنَّا جَعلنكَ خليفة ﴾[2]

قد أحيا الله بهِ مِلَّة التَّصوف وأزاحَ به عَن أهلِ الجِد والاجتهاد التَّثبُّط والتَّسوُّف وقَطعَ به عَن قلوبِ المُريدين الى غيرِ الله التَّطلُّع والتَّشوف.

---

[1]. البقرة ٣٠

[2]. ص ٢٦

وكانَ ﷺ لا يَقطُف مِن رَوض كلامِ الصُوفية إلّا الأزاهر ولا يَعتبِر مِنهُم إلّا المُحرَّر الظّاهر ويقول

" قد اشتهرت التّربية بغربِنا بثلاثة، الحِكَم العَطائية والرّائية الشُريشيّة والمَباحث الأصليّة " انتهى [1].

ويتكلّم على جَميعهِم لكن كُلُّ وقت وما يناسبُه، وغايةُ ما كانَ يستفيد منهُم تَحقيق ما قالهُ شُهوداً و ذَوقاً وعِلماً ونازلهُ حالاً ومقاماً

﴿ وكُلاً نَقُصُّ عليكَ مِن أنباء الرُسُل ما نُثَبِتُ به فُؤادَك ﴾[2] .

وكانَ يُعجبهُ غايةَ كلام تاج الدِّين[3] في حِكَمهِ ﷺ

" لو أنكَ لا تَصِل إليه إلّا بعد فناء مَساويك ومَحو دَعاويك لَم تَصِل إليه أبداً " انتهى.

وقوله أيضاً

" وصولكَ الى الله وُصُولُكَ إِلَى الْعِلْمِ بِهِ ، وَإِلاَّ فَجَلَّ رَبُّنَا أَنْ يَتَّصِلَ هو بشَىْءٌ " انتهى.

فكانَ يقول

" علامةُ الوصول الى الله هو الأكتفاء بهِ والاغتناء بِشهودهِ وبُرهان المُكتفي بالله أن لا يَستوحِش حينَ يُفارق مَن يهوى وأن يَجِد العِز في الذُل والغِنى في الفقر والقوة في الضَعف والقُدرة في العَجز والتّوسيع في الضِّيق وهكذا " انتهى.

ويتلوا قول الله

---

[1]. الحكم العطائية لابن عطاء الله السكندري، الرائية الشريشية المسماة بأنوار السرائر وسرائر الأنوار لأحمد بن مُحمَّد أبو العباس الشريشي، المَباحِث الأَصْلِيَّة للعَلامة إبن بَنّا السَّرَقُسْطِي .

[2]. هود ١٢٠

[3] . أحمد بن مُحمَّد بن عبد الكريم بن عبد الرحمن بن عيسي بن عطاء الله السكندري ٦٥٨هـ - ٧٠٩ هـ شاذلي الطريقة الجذامي نسباً تلميذ الشيخ ابو العباس المرسي وشيخ سيدي داود بن ماخلا.

﴿ أليسَ اللهُ بكافٍ عبدهُ ﴾[1]

﴿ أوَلَم يَكفِ بِربكَ أنهُ على كُلِّ شيءٍ شَهيد ﴾[2]

﴿ ألَمْ يعلَمْ بأنَّ اللهَ يَرى ﴾[3]

الى غير ذلك ويستَدلُّ بقول النّبي ﷺ للرَجُل الّذي قالَ لهُ

" هَلْ استويتَ "

فقالَ وكيفَ أستوي يا رَسولَ الله، قالَ

" أنْ يَستوي عِندكَ المَدحُ والذَّمُ والعَطاءُ والمَنعُ ...الخ"[4].

والحاصل كانَ استاذنا رضي الله عنه كلمةُ اللهِ التي لا نَفاد لَها.

﴿ قُل لو كانَ البحرُ مِداداً لِكلمتِ ربّي لَنفِدَ البَحرُ قَبلَ أنْ تَنفدَ كلمتُ ربّي ولَو جِئنا بِمثلِه مَددا ﴾[5]

﴿ ولَو أنَّ ما في الأرضِ مِن شَجرةٍ أقلامٌ والبَحرُ يَمُدُّهُ مِن بَعدهِ سَبعةُ أبْحُرٍ ما نَفِدَت كَلمتُ اللهِ إنَّ اللهَ عَزيزٌ حَكيم ﴾[6]

فكيفَ تُعدُّ شَمائِلُه وتُحصرُ أو تُحدُّ فَضائِلُه وتُستقصى، والوليُّ حقيقةً مَن تولّاهُ اللهُ فَغطّى وَصفُه بوصفِه ونَعتُه بنعتِه فأفناهُ عنهُ وأبقاهُ بهِ.

---

1. الزمر ٣٦
2. فصلت ٣٣
3. العلق ١٤

٦. أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لرجل: هل استويت؟ قال: وكيف أستوي؟ قال: يستوي عندك المدح والذم؟ وقول حارثة لما سأله عن حقيقة الإيمان: عزفت نفسي عن الدنيا فابتدأ بالزهد ثم ذكر الاستواء لحجرها وذهبها ثم ذكر المشاهدة بعد ذلك الحديث، وهذه كلها مقامات في الزهد وكل من جعل شيئاً الدنيا مبلغ علمه وعلقّ مشاهدته جعل الزهد ضده. قوت القلوب أبوطالب المكي المتوفى ٣٨٦ هجرية.

5. الكهف ١٠٩
6. لقمان ٢٧

قالَ إمامُ طَريقتِنا القُطب الشَّريف الشَّيخ سيِّدي أبو الحَسنُ الشَّاذلي رضي الله عنه[١]

" إنَّ للهِ عِباداً مَحق أوصافهُم بأوصافهِ وأفعالهُم بأفعالِه وذاتهُم بذاتهِ وحَمَّلهُم مِن أسرارِهِ ما يَعجزُ عامَّةُ الأولياء عَن سَماعهِ" انتهى.

وقالَ تلميذهُ الشَّيخ الجَليل سيِّدي أبو العبَّاس المُرسي رضي الله عنه

"[٢] لَو كُشِف عَن حقيقة الولي لعُبِد" انتهى.

وكيفَ لا وقد

رقَّ الزُّجاج ورقَّت الخَمر   وتشابها فتشاكل الأمر[٣]

" ولونُ الماءِ لَونُ إنائهِ "

قالهُ إمام المَذاهب سيِّدي أبو القاسم الجنيد رضي الله عنه[٤].

واسمَع بعضَ ما وَعدناكَ بهِ مِن بَعضِ البَعض مِن أذواق أُستاذِنا صاحبِ التَّرجمة رضي الله عنه وعنا بهِ بعدَ كلامٍ تقدَّم مُحرَّر وَوجيز لا يَعدوا عَن السُّنة السَّمحاء والكِتاب العَزيز، قال رَحِمهُ الله

---

[١]. أبو الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبار الشاذلي المغربي، الشيخ الزاهد الصوفي إليه تنتسب الطريقة الشاذلية، سكن الإسكندرية، ولد٥٧١ هـ بقبيلة الأخماس الغمارية تلميذ الإمام الشيخ عبد السلام بن مشيش وشيخ سيدي أبو العباس المرسي توفي سنة ٦٥٦هـ.

[٢]. كتاب لطائف المنن للشيخ شهاب الدين ابو العباس احمد بن حسن بن على الخزرجي الأنصاري المرسى ٦١٦هـ- ٦٨٦هـ من كبار شيوخ الشاذلية تلميذ الشيخ أبو الحسن الشاذلي وشيخ ابن عطاء الله السكندري

[٣].القول لصاحب بن عباد أبو القاسم إسماعيل بن عباد بن عباس بن عباد بن أحمد بن إدريس القزويني الأصفهاني.

[٤]. أبو القاسم، الجنيد بن مُحمَّد بن الجنيد البغدادي القواريري الخزاز ٢١٥ هـ - ٢٩٨هـ ، اشتهر بلقب "سيد الطائفة"

" واعلموا رحِمكم الله ورَضي عَنكُم أني تَمَنَّيتُ أن يقول لي فقير من أين لك هذا القول الذي هو كُلُّ واحدٌ واحد مِن النَّاس خصَّتهُ حوائجُ شتى وهم في الحقيقة كُلُّهم ما خصَّتهُم إلَّا حاجةٌ واحدة وهي ذِكر الله تعالى حقيقةً فإذا ذكروه لم يفقدوا شيئاً قط ولو فقدوه والله على ما نقول وكيل، وأنا أقول هذا القول منذُ خمسةٌ وخمسين سنة فإذا بي لم يقُل فقير مِن الأحبَّة ولا مِن غيرهم مِن أين لك هذا القول وإن قال لي قلت له إني دُفِعتُ الى حضرةِ ربي في حال صغري بعد البلوغ بنحو عشر سنين دفعة بالغة فإذا أنا ما أنا، أنا إنما أنا غير أنا، بعد أن كنت أنا، إذ بدَّلَ الله عجزي بقدرته وضعفي بقوته وذلي بِعزِّهِ وفقري بغناه وجهلي بعلمه أي غطَّى وصفي بوصفه ونعتي بنعته فكنتُ لا أنا.

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ عن الله عزَّ وجل

" لا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت "[1]

ومن جملة ما كان من أمري أني تبحرت في العلم تبحراً عظيماً حتى إني لو سُئلت عن ألف ألف مسألة لأجبت عنها جواباً بالغاً إذ صِرتُ كالمِصباح فلو شُعل مِنِّي جَميع المَصابيح لم ينتقص مِن ضوئي شيء والله على ما نقول وكيل ثلاثاً " انتهى.

وقالَ في مَوضع آخر مِن كتابهِ منها يعني مِن الكَرائم الَّتي أكرمهُ الله بها ما نصُّهُ[2]

" قَدْ أكْرمني رَبِّي سُبحانهُ برؤيتهِ ﷺ في ابتداءِ أمري في حالِ شَبابي ونَحنُ إذ ذاك بمدينةِ فاس دَفع الله عنها كُلَّ بأس عام أثنين وثمانين ومائة وألف إذ كُنتُ لا

---

[1]. عنْ أبي هُريرةَ قال قال رسول الله ﷺ

"إنَّ اللهَ قال: مَنْ عادَى لي وليًّا فقدْ آذَنْتُهُ بالحَرْبِ، وما تقرَّبَ إليَّ عَبْدي بِشيءٍ أحبَّ إليَّ مِمَّا افْترضتُ عليْه، وما يزالُ عَبْدي يَتقرَّبُ إليَّ بالنَّوافِلِ حتَّى أُحبَّه، فَإذَا أَحْبَبْتُهُ، كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذي يَسْمَعُ بِهِ، وبَصَرَهُ الَّذي يبْصِرُ بِهِ، ويَدَهُ الَّتي يَبْطِشُ بِهَا، ورِجْلَهُ التي يَمْشي بِهَا، وإنْ سَأَلَني لأعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتعَاذَنِي لأعيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيءٍ أنَا فَاعِلُهُ؛ تَرَدُّدِي عَنْ نَفسِ المؤْمِنِ، يَكْرَهُ الموْتَ، وأنَا أَكْرَهُ مَسَاءتَهُ" مختصر صحيح البخاري

[2]. الرسالة الخمسون من رسائل مولاي الدرقاوي ص٦٧

نرى في نَفسي ولا في كُلِّ أحدٍ أحدْ ولا في كُلِّ شيءٍ إلَّا الله تعالى لكن بِنفس ما نرى الله تعالى نَرى النّبي ﷺ وبِنفسِ ما نراهُ ﷺ نرى الله تعالى وكُنتُ أيضاً برؤيتي سَكراناً دائماً صاحياً دائماً، وكُنتُ أقوى في بَعضِ الأوقاتِ في سُكري وصَحوي حتَّى يكادُ جلدي أن يَتمزَّق وذاتي أنْ تَمتحِق فقوّاني ربّي قوةً لم نَعرفها ولَم نَسمع بها ولَمْ يُحدِّثني مُحدِّث بها وذلك بأن جَعل لي سُبحانهُ قوّتي في ضَعفي وسَخانتي في بُرودتي وعِزّتي في ذِلّتي وغِناي في فقري وقُدرتي في عَجزي وتَاسعي في ضيقي وبَسطي في قَبضي ونُصرَتي في انكساري وَوجدي في فقدي وعُلوّي في دُنوّي وَوصلي في قَطعي وقُربي في بُعدي وَوُدّي في صَدّي وصَلاحي في فَسادي ورِبحي في خَسري ورِفعتي في إهانتي وهكذا، فلذلك رَسخت قَدمي في الطّريق حتَّى عِشتُ في هذا الوقت الصَّعب بلا رَفيق أي بِلا شَيخ إذْ لا شكَّ أنَّ الوَقت قد قلَّت مَحاسنُه وكثُرت قَبائحُه " انتهى.

وقالَ في بابِ الكرائم أيضاً [1]

" إنّي كُنتُ أقوم الثُّلث الآخر مِن اللّيل وأذكر الإسم الجليل " الله " وكُنتُ أعرِفُ كيفيةً في ذِكرهِ وقفتُ عليها عِندَ الشّيخ الجَليل سيّدي الشّاذلي ﷺ في بَعضِ الكُتب وعلَّمني أيضاً أُستاذي كيفيةً أُخرى أقربُ مِنها وأصوبُ والله أعلم، وهي أن نُشَخِّص حُروفُه الخَمسْ بينَ عَينَي وَقتَ ذِكرهِ مِن غيرِ أن نَرسُمها في حائِط أو حَجَر، إنّما نُشَخِّصُها بينَ عَيني فقط ومَهما زَهقتُ عنها رَجعتُ اليها ولَو زَهقتُ عنها ألفَ مرَّة أو أكثر بالسَّاعة رَجعتُ اليها، فأنتجت لي هذهِ الحالة فِكرة عَظيمة فكانت تأتيني بِعلوم وَهبيّة دائماً وأنا أترُكها لها ولا أقِفُ مَعها قطُّ والبَشريّة إذ ذاكَ تَضعُف والرّوحانية تتقوّى كُلَّ وَقت حتَّى أتتني ذَاتَ ليلة بقولهِ هو الأوّل والآخِر والظّاهر و البّاطن فتَركتُ قولَها كما كانت عادتي مَعها قبلُ فلم تترُكني هي بَلْ قالت لي هو الأوّل والآخِر والظّاهر والبّاطن فقلتُ لها إذ ذاكَ، فأمّا الأوّل والآخِر والبّاطن فقد عَرفتهُ

---

[1]. الرسالة الثامنة والسبعون بعد المائة من رسائل مولاي الدرقاوي ص ١٧٦

حقاً وأمَّا الظَّاهر فلا أرى ظاهراً إلَّا المُكوِّنات فقالت لو كانَ المُراد بالظَّاهر غيرَ ما ترى لكانَ ذلك باطِناً ولَم يكُن ظاهراً وأنا أقولُ لكَ والظَّاهر والبَّاطِن فهزمتني بِسطوتِها وغَلبتني بِعنايتِها حتَّى سَكتُّ عَن جوابِها إذْ لم تُبقِ لي حُجَّة قطّ عليها، إذ تحقَّقتُ بأن لا مَوجودَ إلَّا الله وليسَ في الأكوان إلَّا إيَّاه والحمدُ لله والشُّكر لله، ثُم أخبرتُ أُستاذي بذلكَ فَفرِح بي غايَةَ الفَرح وسُرَّ بي غايَةَ السُّرور وعادَ يَتكلَّمُ مَعي في التَّوحيد الخاص ولا يُبالي" انتهى.

وكانَ ﵁ يُكثر مِن قولِ وليِّ الله تعالى المُحقِّق الكَبير سيِّدي الشُّشتري ﵁[1]

أنـــت أنـــت أنـــت أنت أنت أنت

الحبيب مع المحبوب والوصال أنت

مَضى لي مِن عُمري مُدة مِن زَمـن

والـذي يقـل يـدري أش يدري لِمن

الَّـذي عَمَّـر صـدري هـو الَّـذي سَكن

حتـــى إن رأيـــت أننـــي أنـــا

هو محبوبـــــــي وأنا ما دريـــــت

ويكثر أيضاً مِن كَلامِ شُيوخِ الطَّريقة المَشارقة ﵃

أنا أشُك وأنت أبين بياني أنا أنت إذا فهمتها المعاني

لاش تغيب عنها إذا دريت كيف تراني

[1]. ديوان سيدي أبو الحسن علي بن عبد الله الشُّشتري الأندلسي المغربي ٦١٠- ٦٦٨هـ .

قبل اليوم كنت مقيداً بقيود البين
محجوب بالوهم نحسب مفرد أثنين
لمَّا أن تبدَّى جمالها زال عني الغين
شهدت عيني بعيني وصرت عين العين

كل الجمال جمال الله ليس فيه الشَّك
إلَّا وُشات النَّهي غالب عليها الشَّك
يا وارد العين إن حقَّقت زال الشَّك
الذات عين الصفات ما في المعاني شَك

وكلُّ هذا مِن لفظهِ وقد رأينا وسَمِعنا ما يُبهر العُقول مِن إملائه وحِفظه، قد سَلكَ اللهُ بهِ طريقَ المُحقّقين وهو شابٌّ صَغير كما سَمِعتُ وماتَ عَن سِنّ عالية يَزيدُ عُمرهُ عَن سَبعةٍ وثمانين سنة والله أعلم قد سَمِعنا مِنهُ ذلكَ مِراراً فعاشَ عيشةً راضيةً، في جنَّةٍ عاليةٍ، لا يَسمعُ فيها لاغية.

قالَ بَعضهُم

" أنَّ للهِ في الدُّنيا جنَّةً مَن دَخلها لَمْ يَحتَج الى جنَّةِ الزَّخارف ولَم يَستوحِش قطُّ "

قيلَ " وما هي "؟

قالَ

" المَعرفة بالله " انتهى.

فَحركاتُه وسَكناتُه ولَحظاتُه كانت كُلُّها بالله لله في الله، يَزيدُ الى الله بكُلِّ شيء ويأخُذ النَّصيب مِن كُلِّ شيء، ويَصفوا بهِ كَدر كُل شيء ولا يُكدِّر بصفوهِ شيئاً، هَدى الله بهِ خلقاً كثيراً مِن عباده، إذ ذكَّر بهِ الغَافلين ونبَّه بهِ اليائسين وأيقظ بهِ النَّائمين وعلَّم بهِ الجَّاهلين وأرشَد به الضَّالين، وقَطع بهِ

العَوائق والعَلائق وأشرَقت على أنجُم الفَقير بسببهِ شُموس المَعارف والحَقائق، واللهُ حَسيب مَن وصَفهُ بوَصفٍ لم يكُن هو أكبرُ مِن ذلكَ الوَصف بأضعافٍ مُضاعفة.

ولمّا قرُبت وفاته ﷺ صارَ يُوصينا ويُكرّر ويؤكّد على أنْ نَستوصوا خيراً ببعضنا بعضاً وأنْ نواظبوا على النَّظافة التي هي شَطرُ الإيمان والمَسكنة والتَّجريد مِن الدُّنيا ظاهراً وباطناً، وحَلقةُ الذِّكر التي هي مِن رياضِ الجنَّة كما وردَ عنهُ عليهِ السَّلام، وتسوية صفّ الصَّلاة الذي هو مِن إتمام الصَّلاة ومِن حُسن الصَّلاة، ويُقسِم بالله إنكم إنْ دُمتم على هذهِ الوصيَّة حتى يُحي الله بكمُ البِلاد والعِباد، لأن هذه الأمور هي أركانُ القوم ﷺ وقد اندَرسَت وأنتُم أحييتموها أحياكُم الله .

وأكدَّ أيضاً تأكيداً مُحَتماً على ذِكر الوِرد والدَّوب عليه بعد صَلاة الصُّبح وبعد صَلاة المَغرب وهو " أستغفر الله مائة، واللَّهُم صلِّي على سيّدنا مُحمَّد عبدك ورسولك النَّبي الأمِّي وعلى آله وصَحبه وسَلِّم مائة، ولا إله إلَّا الله وحده لا شريك له المُلك ولهُ الحَمدُ وهو على كل شيءٍ قدير مائة، وفي سائرِ الأوقات لا إله إلَّا الله مِن غير عَدد ولا كلفة ولا مَشقَّة، ويُلقِّن النِّساء بعدَ مائة الاستغفار اللَّهُمَّ صلِّي وسلِّم على سيّدنا مُحمَّد وعلى آل سيّدنا مُحمَّد مائة ولا إله إلَّا الله مائة وعند تمامها سيّدنا مُحمَّد رسول الله صلَّى الله عليه وسلِّم وعلى آله ".

وكان ﷺ يُقسم بالله

" إنَّ مَن دام على هذه الأذكار حتى يربح في الدُّنيا والآخرة ربحاً كثيراً " انتهى.

وكان يقول

" قد شرح الله صدري لهذا الورد أن نلقنه لكل أحد أحد سواء طلبه مني أو لم يطلبه مني لما نرى له من الخير واليسر والبركة والفضل "انتهى.

وكان يكرِّرِه لنا في اليوم كذا وكذا مرَّة ويقول

" أني لأستيقظ من نومي وأريد أن نبعث لكم لتذكروا وأترك ذلك خيفة سَآمتكُم أو أشق عليكم "انتهى.

وكان يقول

" هذا الشَّرح الَّذي شَرح اللهُ صَدري هو الأذنُ مِن الله " انتهى.

والأذنُ كانَ قبلَ هذا الوَقت ما يَزيدُ على خَمسةٍ وخمسينَ سنةً وسيأتي ذِكره إن شاء الله مُستوعباً، ولمَّا أطلقهُ اللهُ مِن السِّجن بقرب سنة مِن وَفاته وسأذكرهُ إذا أرادَ الله بهِ غيرِ هذا المَوضع.

لقَّن هذه الأذكار للسُّلطان الشَّريف العَلوي وهو عبدُ الرَّحمن بن هُشام[1] الَّذي كانَ نَصرهُ سنةَ ثمانيةَ وثلاثين ومائتين وألف وماتَ في المُحرَّم فاتح سنةَ سبعة وسبعين مِن المَائة أعلاه ولكثيرٍ مِن أصحابهِ ولعددٍ كبيرٍ مِن رَعِّيتهِ وغيرِها وكنا نرى ذلِك انها دَعوة وولاية مُحمَّديَّة حَصلت لهُ حتَّى لا يَستطيع الإنفكاك عنها ونادى جُلَّ النَّاس للخَير فأجابَهُ وتَبعهُ مَن سَبقَت لهُ العِناية، وكانَ رضي الله عنه يكرهُ التَّشديد على عِبادِ الله ويُيسِّر ويُبَشِّر ويُهوِّن ويُسهِّل ويقول

" قالَ أُستاذي يَعني شَيخهُ شاذلِّي الطَّريقة وشُشتَري الحَقيقة القُطب الكَبير والغَوثُ الواضِح الشَّهير أبا الحَسن سيِّدي علي بن عبدُ الرَّحمن الحَسنين العُمراني المُلقَّب بالجَمل رضي الله عنه إذا رأيتُم مَن يُصَعِّب الأمور على عبادِ الله ويُضيِّق عليهِم المَسألة

---

[1]. عبدالرحمن بن هشام) ولد في فاس سنة ١٢٠٤ هـ سلطان مغربي الرابع عشر من سلالة العلويين حكم المغرب في الفترة ما بين – ١٨٢٢ إلى ١٨٥٩ م.

و يُواعدُهم بما يسؤهم فاعكِسوا رأيهُ وخالِفوا قولهُ و واعِدوهم بما يَسرُّهم فإنَّ الله يُنجز وَعدكُم ويُصدِّق قَولكُم " انتهى أو كلامٌ هذا معناهُ.

كذلكَ كانت حالُه في أمورِ العِبادة لا يأمُر النَّاس بِما يَشقُّ عليهِم ولا يُكلِّمهُم فوقَ طاقتهِم ولا يؤمِّنهُم مِن مَكرِ الله ولا يؤيسُهم مِن رَوح الله بل يسلُك بهِم في كُل شيء طَريق التَّوسُّط مِن غيرِ إفراط ولا تَفريط لَيسَت تَصرُّفاتهِ بالإسرافِ ولا بالإقتارِ بلْ كانَ بينَ ذلكَ قَواما، يقولُ على الدَّوام

" **مِنَّا وجودِ الأسبابِ وعلى الله رفع الحجاب**" انتهى.

ويَنهى عَن التَّعمُّق والتَّغلغُل في الأعمال الظَّاهرة ورُكوب المَشاق والتَّكلُّف ويَستشهد دائماً بقول النَّبي ﷺ

" **أنا وأولياءُ أُمَّتي بَراءٌ مِنَ التَّكلُّف** "[١].

وقوله ﷺ " **أكلفوا مِن العَمل ما تُطيقون فإن الله لا يَملّ حتَّى تَملُّوا** "[٢].

وقوله عليه السلام " **إنَّ هذا الدِّين مَتين فأوغِلوا فيهِ برفق ولَنْ يُشاد الدِّين أحدكُم إلَّا غَلبة**"[٣] .

وقوله عليه السلام " **ما دخلَ الرِّفقُ قلباً إلَّا زانهُ** "[٤]

الى غير ذلك.

ويَتلوا قولَ الله عزَّ وجَل

---

[١]. قال النووي: ليس بثابت وأخرجه الدار قطني في الأفراد بسند ضعيف عن الزبير بن العوام مرفوعًا: "ألا إني بريء من التكلف، وصالحو أمتي" وذكره في الإحياء: "أنا وأتقياء أمتي براء من التكلف".

[٢]. صحيح أبي داود

[٣]. حديث حسن ، السراج المنير في ترتيب أحاديث صحيح الجامع الصغير الحافظ جلال الدين السيوطي

[٤]. وعن المقدام بن شريح عن أبيه قال: "سألتُ عائشة رضي الله عنها عن البِداوة؟ فقالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبدو إلى هذه التِّلاع وإنه أراد البداوة فأرسل إليَّ ناقةً محرَّمةً من إبل الصدقة، فقال لي: يا عائشة ارْفُقي، فإن الرفق لم يكن في شيء قطُّ إلا زانَه، ولا نُزِعَ من شيء قَطُّ إلا شانَهُ". صحيح مختصر سنن أبي داود

﴿ وما جَعلَ عَليكُم في الدِّينِ مِن حَرج ﴾[1]

ويقول

" **لو قالَ لنا أحدٌ مِن غيرِ الله وما جَعلَ عليكُم في الدّين مِن حَرج لأعجَبنا ذلك وفَرحنا بهِ فكيفَ بكلامِ العزيزِ الحكيم الّذي**

﴿ **ليسَ كَمثلهِ شيءٌ وهوَ السَّميعُ البَّصير** ﴾ انتهى.

ولا تفهمُ منهُ ﷺ العَجزُ والكَسَلُ والتَّهاونُ في الدِّين بَل كانَ والله صاحبُ جِدٍّ واجتهادٍ مُحافظ على الفَرائض والسُّنن والأوراد مُتبعاً للشَّريعة ساداً للذَّريعة يأمُر مُتبعيهِ بالمُحافظة على السُّنن مِن الآذان والإقامة وحُضور الجَماعة في كُلِّ وقتٍ وبالصَّف الأوَّل وتَسويةِ الصُّفوف وتَحيةِ المَسجِد وصلاةُ الضُّحى وقيامِ سويعةٍ قبلَ الفَجر والمُواظبة على الوضوء والنَّظافة وتلاوةِ القرآن، ومَن يَحفَظ رواية لا يُحبُّ أن يَترُكها شَديدُ الأنكار على مَن لَمْ يَتعلَّم مِن عِلم الظَّاهر ما لا بُدَّ منهُ أي ما يَحتاجُ اليه في نفسهِ وفي سَفَرهِ وحَضَرهِ والمُقتدي به، ويُحبُّ قراءةَ الحَديث والتَّفسير وكانَ يقولُ دائماً

" **ونرى والله أعلم أنه يجب على الإنسان أن يعرِف تفسير السُّوَر الَّتي يُصلِّي بها دائمًا** " انتهى.

لأنهُ كانَ ﷺ يُحبُّ أن لا يَصدُر عنِ الأنسان قولٌ ولا عملٌ إلَّا عَن عِلم ويقول

" **ليسَ مَن يَعلم ما يَعمل كَمن لا يَعلمُهُ** " انتهى.

﴿ **هَلْ يَستوي الَّذينَ يَعلمونَ والَّذينَ لا يَعلمون** ﴾[2]

---

[1]. الحج ٧٨

[2]. الزمر ٩

﴿ هَلْ يَستوي الأعمَى والبَصير أمْ هَلْ تَستوي الظُّلماتُ والنُّور ﴾[1].

ومَطمحُ نَظرهِ ودَيدَن مُستقرّهِ وطَعامِه وشُربهِ وما استَولَ على سُويدائهِ ولُبِّهِ هو التَّبحُّر في عِلم الباطِن، فهو في سُلوك الطَّريقة ومُشاهدةِ الحَقيقة، الشُّجاع الذي لا أحدَ يَتقلَّد سَيفَ سِلاحهِ والجَبل الشَّامخ الذي لا يُطار تَحتَ جَناحهِ فلقد كانت عُلومُه لدنِّية وأعمالِه قلبية وأحوالِه وهبية، قد فَتق الله لهُ رَتق السَّموات الرُّوحانية وأرضَ البَشريَّة وجَعلهُ ماءاً طاهراً مُطهراً بهِ قوامُ كُلُّ شيء وحياةُ كُل شيء.

﴿ أوَلم يرَ الَّذين كَفروا أنَّ السَّمواتِ والأرضِ كانتا رَتقاً فَفتقنهُما وجَعلنا مِن المَاءِ كُلَّ شيءٍ حيٍ أفلا يُؤمنون ﴾[2]

﴿الله الَّذي خَلقَ سَبعَ سَمواتٍ ومِن الأرضِ مِثلَهُنَّ يَتنزَّلُ الأمرُ بَينَهُنَّ ﴾[3].

قَدْ ارتفعت لهُ الحُجب وزالت عنهُ المَوانع وصارَ نَظر العَين وشُهود السِّر عندهُ واحدٌ والغائبُ في نَظرهِ عَينُ الحاضِر الشَّاهد وتَساوت فيهِ الحالات واتَّحدَت الأوقات ورَجعتْ الجَلاليات جَماليات والسُّفليات عُلويات والشَّريات خَيريات، إذ الذَّاتُ عَينُ الصِّفات عندهُ وعندَّ جَميع السَّاعات مِن أهلِ الفَناءِ في الذَّات، فَعاشَ عُمرهُ كُلُّه مُواجهات ومُحادثات ومُكالمات ومُناغات وإدلالات والنَّاس في غَفلة عَن هذهِ المُلاحظات والمُشاهدات ولا يَدرون حقيقةَ هذهِ المَقالات كما قال القائل[4]

---

[1]. الرعد ١٦

[2]. الأنبياء ٣٠

[3]. الطلاق ١٢

[4]. كتاب شرح ديوان المتنبي للواحدي

وظَنُّوني مَدحتهُم قَديماً   وأنتَ بِما مَدحتُهم مُرادي

وقالَ سيّدي سَهل بن عبدالله ﷺ[1]

" لي أربعونَ سنةً وأنا أُكلّمُ الحقَّ وأُناجيهِ والنَّاس يَظنُّوني أنّي أُكلِّمهُم وأُناجيهُم " انتهى .

ومَن أرادَ أن يَتحقَّق فوقَ ما قُلنا في أُستاذنا وما وَصفناهُ بهِ على حَسبِ فتورِ رأينا وقُصورِ عِلمنا فلينظُر كتابه ﷺ المُسمَّى " **بشور الهديّة في مَذهبِ الصُّوفية** " ﷺ فإنهُ يجدهُ كتاباً جليلاً ما رأينا لهُ والله مَثيلاً أجادَ فيه ما شاء، قد بيَّنَ فيه أمور الشَّريعة وأقوالها وسَنَّ الطَّريقة وأعمَالِها وأسرارِ الحَقيقةِ وأحوالِها، كُلُّ ذلكَ في أوجزِ لَفظٍ وتحريرِ عبارةٍ لأنهُ ألَّفهُ بعدَ صفاءٍ كبير ونَقَّحهُ وهَذَّبهُ ولَم يَترُك فيهِ إلَّا ما تقبلهُ عُقول النَّاس وإلَّا فلا، مُتمسّكاً بحديث

" **حدِّث النَّاس على قَدر ما يَفهمون** "[2]

وكانَ يقولُ

" **لا أحبُّ الإكثار مِن الكلام إذ هو مِن قِلةِ الفائدة عندَّ الأنام**" انتهى.

وهذا الكِتابُ هو عندهُ رسائل لتلامذتهِ وأحبَّتهِ في الله على حَسبِ الوقائع، إذ الجوابُ على قَدر السُّؤال وكُلُّ رسالةٍ تغني صاحِبها الغِنى الأكبر وتُبلِّغهُ الآمال والوَطر.

وبالجُملة فَحصَّل هذا الكِتاب لا يَلتفِت لفصلٍ ولا لِبابٍ لأنهُ فيه كُلَّما يُريد مِن الآداب، جَمع الله لمؤلفهِ بينَ الشَّريعة والحَقيقة وبينَ السُّلوك

---

[1]. سهل بن عبد الله ابن يونس شيخ العارفين أبو مُحمَّد التستري الصوفي الزاهد صحب خاله مُحمَّد بن سوار ولقي في الحج ذا النون المصري وصحبه توفي في مدينة البصرة سنة ٢٨٣ هجرية.

[2]. قالَ عليٌّ: حدِّثوا الناسَ بما يَعرفونَ، أتُحبُّونَ أنْ يُكَذَّبَ اللهُ ورسولُه " مختصر صحيح البخاري"

والجَذب وبينَ الفرق والجَمع وبينَ الفَناء والبَقاء وبينَ السُّكر والصَّحو وبينَ الظَّاهر والبَاطِن وبينَ الفِقه والتَّصوف وبينَ شُهود الحقّ والخَلقِ أو الأثر والمُؤثر أو الكَون والمُكوِّن ويَجمعُها شُهود الله تعالى وشُهود رَسولهِ ﷺ بعين واحدة في دُفعة مُتَّحدة حالةً مُستقرة دائمة مُستمرة، فهذهِ حالهُ وحالُ أمثالهِ كالجُنيد والشَّاذلي والغَزالي[١] والحَاتمي[٢] والمُرسي[٣] والجيلاني[٤] وابن مَشيش[٥] وأبي يَزيد[٦] وأبي مَدين[٧] وأبي يَعزى[٨] والشُّشتري وأضرابهم رضي الله عنهم ونَفعنا والمُسلمين ببركاتهِم وجَعلنا مِن المُنخرطين في سِلكهم المُنظَوين في عِقدهم آمين بِمحضِ الكَرم بجاهِ رَسولِ الله ﷺ

---

١. أبو حامد مُحمَّد الغزّالي الطوسي النيسابوري الصوفي الشافعي الأشعري، أحد أعلام عصره وأحد أشهر علماء المسلمين ٤٥٠ هـ – ٥٠٥ هـ

٢. الشيخ الأكبر سلطان العارفين مُحمَّد بن علي بن مُحمَّد بن عربي الحاتمي الطائي الأندلسي الشهير بـ محيي الدين بن عربي ولد في مرسية في الأندلس في شهر رمضان عام ٥٥٨ هـ وتوفي في دمشق عام٦٣٨ هـ ودفن في سفح جبل قاسيون.

٣. شهاب الدين أبو العباس أحمد بن حسن بن علي الخزرجي الأنصاري المرسي، ولد في مدينة مرسية في الأندلس عام ٦١٦ تلميذ سيدي أبي الحسن الشاذلي وشيخ سيدي ابن عطاء الله السكندري توفي سنة ٦٨٦هـ.

٤. عبد الكريم بن إبراهيم بن عبد الكريم بن خليفة بن أحمد بن محمود الربعي نسبا القادري طريقة لقّب بـ الجيلي أو الجيلاني، نسبة إلى جيلان العراق بلدة أسرته ، وُلد ٧٦٧ – ٨٢٦هجرية، له مؤلفات منها قصيدة النادرات العينية.

٥. عبدالسلام بن مشيش الشيخ العارف القطب ٥٥٩– ٦٢٤هجرية شيخ سيدي ابو الحسن الشاذلي وتلميذ سيدي عبدالرحمن الزيات.

٦. أبو يزيد طيفور بن عيسى بن شروسان البِسطامِي، «سلطان العارفين» اسمه الفارسي «بايزيد» ولد سنة ١٨٨ في بسطام في بلاد خراسان توفي سنة ٢٦١ هـ.

٧. أبو مدين شعيب بن الحسين الأنصاري والمعروف باسم سيدي بومدين أو أبو مدين الغوث التلمساني ٥٠٩ – ٥٩٤هجرية عَلَمٌ من أعلام الصوفية وقطب من الأقطاب الربانية تلميذ سيدي بو يعزى يلنور.

٨. الشيخ أبي يعزى يلنور بن ميمون بن عبد الله الهزميري من كبار المشايخ الصالحين بالمغرب الأقصى توفي سنة ٥٧٢ تلميذ الشيخ بو شعيب الزموري وشيخ سيدي أبو مدين الغوث.

" إلَّا أنهم لا يَعرفهُم حقاً إلَّا مَن وصَل مَقامهم أو من وقَف على آثارهم فاستدلَّ به عليهم لأنَّ الأثر دليلٌ على المُؤثر إلَّا أن هذا لا يَعرِفه إلَّا الحاذِق اللّبيب مِن أهلِ العِلم والتّقى ﷺ ولا يعرفه غيرهم " انتهى.

قالهُ شيخُنا صاحبُ التَّرجمة ﷺ.[1]

ولعلّي نَبَّهتُ بهذا الكَلام الصَّادر والوارد مِن مَحبَّتك وسَرَّحتُ وَثاق عَنان عِنايتك بِمعرفة هذا الإمام في بدايتهِ ومُنتهاه كما هوَ مَشهور مِن نبأ الأئِمَّة سِواه وأردتُّهُ أن يكون أبواباً وفُصولاً حتَّى يعود خبرهُ لِمن أرادهُ مَوصولاً، فإن فتحَ الله بشيء فسيكون إن شاء الله

﴿ ما يفتح الله للنَّاس مِن رحمةٍ فلا مُمسِك لها وما يُمسِك فلا مُرسِل لهُ مِن بعدهِ ﴾[2]

سُبحانه لا إله إلَّا هو، لكنّي أُبسِطُ يَدي تَذلُلاً وطَمعاً وأدعوا رَبِّي خِيفةً وتَضرُّعاً عَساهُ أن يَمنَحني مِنهُ جوداً وطَولاً وأنْ يُبلّغني ما رَجوتُ فيهِ تَوفيقاً ونولاً إنه على ذلكَ قَدير وبالإجابةِ إن شاءَ اللهُ جَدير.

---

[1]. كتاب رسائل الدرقاوي المسمى بشور الهدية في مذهب الصوفية الرسالة السادسة والسبعون ص ٨٦.

[2]. فاطر ٢

الباب الاول في نَسبِ هذا الإمام وبَيان فَضيلتهِ في الأنام

وشُهرتهُ قد أغنت عَن التَّعريف به وإنَّما قَصدي التَّبرُّك بِذِكر شيءٍ مِن نَسبهِ وحَسبهِ، فعلى هذا هو مِن ذُرية الشَّريف المُنيف مَولانا أحمد بن إدريس بن إدريس بن عبدالله المَحض بن علي بن الحَسن السِّبط بن علي بن أبي طالب وفاطمة الزَّهراء البتول بِنت مَولانا رَسولُ الله ﷺ وشرَّف وكرَّم ومجَّد وعظَّم وأعطى وأتَم، يَتَّصِل بالعالِم العامِل العارِف الكامِل وليِّ الله تعالى أبي عبدالله سيِّدي مُحمَّد بن يوسف المُلقَّب بأبي درقة ﷺ وهو مِنهُ أباً وأماً وصارَ هذا اللَّقب على أبنائه كُنية.

وأسماءُ الشُّرفاء الدَّرقاويون ﷺ ونفعنا ببركاتهم كثيرون فالَّذي نَعرِف منهُم فِرقة بسُوس الأقصى وفِرقة بسُوس الأدنى[1] بِساحِلِ دكالة أي قبيلة عبدة، ولعلَّ عبدة هي مِن دكالة والله أعلم بثغر مدينة آسفي[2] التي بها ضَريح الولي الصَّالح الشَّهير الواضِح أبي مُحمَّد صَالح تلميذ الشَّيخ الكبير سيِّدي أبي مَدين الغوث ورِسولهِ الى الشَّيخ الأعظم قُطب الصدِّيقين الشَّريف أبا مُحمَّد سيِّدي عبدُ القادر الجيلاني ببغداد في حكاية طويلة ﷺ ونَفعنا ببركاتهم.

فَبعضهُم بها أي بثغرِ آسفي وجُلُّهم خارجها نحوَ الميلين والله أعلم وبعضهُم بمدينة فاس حَرسَها الله بحومة العُيون يُعرَفون بأولادِ سيِّدي عبد

---

[1]. سوس هو سهل خصب في المغرب يمر بين سلسلتي جبال الأطلس الكبير والأطلس الصغير جنوب غرب المغرب ويمر عبره وادي سوس .

[2]. آسَفي مدينة مغربية وهي مدينة السمك والخزف وحاضرة المحيط حسب وصف "ابن خلدون" لها. تقع مدينة آسفي على ساحل المحيط الأطلسي بين مدينتي الجديدة والصويرة، وتبعد عن مدينة الدار البيضاء بحوالي ٢٠٠ كلم، وعن مدينة مراكش بحوالي ١٦٠ كلم .

النَّبي الدَّرقاوي وبعضُهم بجبال الزَّبيب صانها الله وكُثرهُم هُناك، فقبيلة بني زروال التي مَنشأ أستاذنا صاحب التَّرجمة وموضِع استقرارهِ وضَريحه كما ذكرنا ذلك آنفاً وكلُّهم أهلُ حَياء وسَخاء وقِراءة ومَسكنة وعِفَّة، لا يوجد اثنان منهُم لدى مَجلِس خِصام أو أمَام قاضي أو حاكم ولا ترى منهُم فُجوراً ولا فاحِشة ولا مُشاجرة.

وأهلُ فاس هُم قرابة أُستاذنا كثيراً وهُم في كُلِّ أرضٍ لا يختلف اثنان في شَرفهِم ولا يتمارى رَجُلان في نَسبهِم لِشُهرتهِم لدى الخُصوص والعُموم قديماً وحديثاً وذِكرهُم في جُلِّ القوانين والرُّسوم ذِكراً حَثيثاً، ذَكرهُم الإمام الحافِظ جلال الدِّين السُّيوطي والإمام بن جُزَى والإمام بن فَرحون والإمام بن خَلدون وغيرهُم لأنَّ جدُّهم أبو عبدالله سيِّدي مُحمَّد بن يوسف المُلَّقب بأبي درقة شَهيرُ الذِّكر عَظيمُ الأمرِ والخَطر.

ولم نَستحضِر مِن جميعِ ما رأيتُ وسَمِعتُ إلاَّ كونهُ كانَ عالِماً عامِلاً زاهِداً مُجاهِداً كثيرُ القيام والصِّيام والصَّدقة ويختُم القرآن كُلَّ يومٍ وكُلَّ ليلةٍ ويَتصدَّق كُل يومٍ بعددٍ كثيرٍ مِن الدَّنانير والدَّراهم وإطعام الطَّعام، وكانَ فارساً وشُجاعا وذا سَيفٍ قاطعٍ في سَبيلِ الله وقد كانت له درقة[1] عظيمة يتوقَّى بها السِّهام في الحَرب فصارت عليه لَقباً وضَريحه مَشهورٌ مَقصودٌ للزِّيارة كثيرُ الانتفاعِ بهِ، مُعظَّم مَختومٌ عليهِ قُبَّة مُتقنة بتامِسنة قبيلة الشَّاوية بوادي قيبان قريبٌ مِن وادي أمُّ رَبيع.

زُرتُه بعدَ الثَّلاثين سَنة ومائتين وألف في جماعة مِن إخواننا أهلِ العِلم الظَّاهِر والبَّاطِن في سِياحة كانت لنا هُناك بإذنِ أستاذنا ﷺ منهُم الفقيهُ الربَّاني الزَّاهد الوَرع العارِف بالله سيِّدي عبدالقادر الزَّدمي التلمساني والفقيهُ

---

[1]. ترس من جلد ليس فيه خشب ولا عَقَب

الأجَلُّ المُحترم المُبجَل حَسَنُ الشَّمائل كثيرُ الفَضائل ذو السَّمت والهَدي والوَفاء والأذواق اللَّدُنيَّة والأنوار والأسرار وليُّ الله تعالى سيِّدي عبدالله بن الطَّيب بن حوِّي الغريسي وغيرُهما يطولُ ذِكرهُم ﷺ ونفعنا ببركاتهم.

وبَعدَ ما كتبتُ هذا استَحضرتُ كتاب الشَّيخ الإمام القُطب العالِم سيِّدي عبدالله بن مُحمَّد بن عبدالله البكري المُلقَّب بالسَّهرَوردي أبو النَّجيب سيِّدي عبد القاهر ﷺ ونفعنا به آمين في النَّسب قال بعدَ كلام

" وأمَّا سيِّدي مُحمَّد بن يوسف المَعروف بأبي يوسف في الغزوات فإنه كان عالِماً وفقيهاً وزاهداً وديِّناً وعابِداً وَورِعاً وتقيَّاً ومُحدِّثاً وسائراً مِن بلدٍ الى بلد ومِن وطنٍ الى وَطن حتَّى وصلَ الى بلدِ تامِسنة[1] والى وادِ يُقال لَهُ قيبان أو يُقال لهُ أزورو بإزائهِ صَخرة يُقال لها تَجلشت وتَزوَّج في تِلك البلدة وقبرهُ مُعظَّم مَشهور بإجابة الدُّعاء عندهُ هُنالك وشُهِر بسيِّدي أبي درقة " انتهى.

قالَ الرَّاوي

" والأصلُ في نِسبته بأبي درقة كان نَفعنا الله به يعبُد الله عبادة خفيَّة لم يَعرفهُ بها أحد إلَّا الله عزَّ وجَل، وركِب يوماً مِن الأيَّام على جوادهِ وحَبس رُمحا بيدهِ وأخذ درقة فصارَ الى الوادِ المذكور فوجدَ فيه الطوائف يزهدونَ ويَتضرَّعون الى الله وهم يُحسَبون أهل الله، فَسمِع لهُم أبو درقة فدفعَ اليهِم جوادُه الأشهب على جَهدهِ فَفزِعوا مِنهُ حينَ وصلهُم فأوقفَ جوادهُ على رِجليه الأخيرتين ويَتخبَّط بينَ الأوَّليتين في الهَواء، فسمِعوا مِن قِبل الله هزَّة عظيمة في السماء فغُشيَ عليهِم، فلمَّا فاقوا سَمِعوا لها ثانياً تَحتَ الأرض فغُشي عليهم، ففاقوا ففزِعوا منهُ فدفَع اليهم الجَواد ثانياً وهُم يقولون ويحَكُم

---

[1]. تامسنة هو دُوَّار يقع بجماعة الدخيسة، عمالة مكناس، جهة فاس مكناس في المملكة المغربية.

أبو درقة فَفرُّوا منهُ، فَمن كانَ منهُم زَحَّافاً قامَ على رِجليهِ، ومَن كانَ منهُم أعمى حَلَّ اللهُ بَصرَهُ، ومَن كانَ منهُم أصمٌ حَلَّ اللهُ سَمعَهُ بإذنِ الله، وفي ذلكَ اليوم سُمِّيَ بأبي درقة، وفي ذلك اليوم كُتب الوادي المَذكور لأبي درقة مِن أمير المؤمنين يعقوب المَنصور، وقيلَ كانَ كثيرُ شأنه يُجاهِد النَّصارى وأعقب أربعةَ أولاد سيِّدي مُحمَّد وسيِّدي أحمد وسيِّدي يحيى وسيِّدي عبدالله " انتهى مَحلْ الحاجة منهُ.

وعرَّف الشَّيخ السَّهروردي صاحبُ الكِتاب بكُلِّ واحدٍ منهُم تَعريفاً تاماً وتَرجَم كُلاً منهُم بالعِلم والصَّلاح كوالدِهم ﷺ وعنهم، وقالَ أيضاً

" هو سيِّدي مُحمَّد بن يوسف بن جُندب بن عُمران بن عبدالرحمن بن سُليمان بن الحَسَن بن عُمران بن مُحمَّد بن أحمد ابن جَنون بن أحمد بن ادريس ابن عبدالله بن ادريس الكامِل بن حَسن بن الحَسَن بن علي بن أبي طالب كرَّمَ اللهُ وجههُ " انتهى.

مِن كتاب " **التَّحقيق في النَّسب الوَثيق** " للإمام المَذكور.

ومِن خطِّ أُستاذنا صاحبِ التَّرجمة ﷺ ما نصُّهُ

" الحمدُ لله، ولِما وَجدناهُ مُقيداً بِخطِّ الفَقيه الأجلُّ العالِم الأجمل سيِّدي مُحمَّد بن الفقيه الأجلُّ الأجمل سيِّدي مُحمَّد البَرنوس وكانَ أعرفُ النَّاس خاصةً وعامةً بِنَسبِنا، قال

" ومِمَّا وَجدناهُ مُقيد بخطِّ العالِم العلَّامة البَركة عمِّنا يعني عَمِّ أُستاذنا صاحب التَّرجمة سيِّدي ابراهيم بن أحمد ابن يوسف،

الحَمدُ لله تَقييد الأجداد وذلك الجَدُّ الأوَّل الذي قَدِم مِن سُوس الى بلدِنا المُسمَّاة بعيونِ زناتة بقبيلةِ اشراقة مَسيرة يوم مِن فاس حَرسَها الله، هو أبو الحَسن سيِّدي علي بن مُحمَّد الشَّريف الدَّرقاوي حَسبما هو مَذكور أولاً في مُلكية عُيون زَناتة المَذكورة، وعلى المُلكية المَذكورة عَلامات قُضاة المَدينة والبادية منهُم، سيِّدي الحَسن

بن رَحال المعدني وغيره، ابن علي بن الحَسن بن أحمد بن الحُسين ابن سَعيد بن اسماعيل بن عبدالله بن سيِّدي مُحمَّد بن يوسف المُلَقب بأبي درقة نفع الله به وبأمثاله وضَريحه مَشهور بموضع يقال له تَحجت بساحة تامستا والله أعلم" انتهى .

وقد رأيتُ أيضاً مِن ظواهر الملوك التي بأيدي أستاذنا صاحب التَّرجمة دولةً بعد دولة، كدولةِ بني أمرين ودولة الشُّرفاء السَّعديين ودولة الشُّرفاء العَلويين وغيرهُم مِمَّا لا نَعرفُ شَكلهُ ما يَزيدُك فيهم غبطة وسُرور ومَحبَّة ونَشاطاً وحُبوراً مِن تَعظيمهِم وتَوقيرهِم واجلالهِم واحترامهِم وتَعزيرهم وتبجيلهم و مُحاشاتهم عمَّا ينوب العامَّة مِن الوظائفِ والتَّكاليفِ وهدايا المُلوك لهُم واتحافهِم إيَّاهم ومَحبتهم فيهم والتماس صالح دُعائهم إذ هُم ﷺ شجرة طيبة تؤتي أكُلَها كُلَّ حينٍ بإذنِ رَبّها وليٌّ بعدَ ولي وصالحٍ بعدَ صالح وفقيهٍ بعدَ فقيه، سَمِعتُ شيخنا يقول مِراراً

" مَكثَ جدُّه مِن أمِّهِ مولاي مُحمَّد اثنا عشر سنة في بيتهِ مُقعد، كُلَّ ليلة يَتمُّ سلكة مِن القرآن وكذا وكذا مِن ألفِ مِن الأذكار، ونهارُه كُلُّه كتابة وتصحيحاً لألواحِ الطَّلبة يبعثون لهُ ذلك لبيته وكثيرُهم هكذا " بُلهٌ في دُنياهُم فُقهاء في دينهم " انتهى.

والحاصِل شمائلهُم لا تُحصى لأن بركةَ السَّلف تعودُ على الخَلَف، وقد عادت بركةُ سَلَفِهم الصَّالح الأوَّل وهو مَولانا رَسولُ الله ﷺ عليهِم حتَّى رأينا ذلك عَياناً وتَحقَّقنا الوراثة المُحمَّدية في شيخنا بيدِنا والله على ما نقولُ وَكيل.

وقد كانَ ﷺ في حالِ شبابهِ تحيَّر في أمرِ نفسهِ وأرادَ أن ينظُر ذلك عياناً، فَكشَف الله له عن نورٍ كالحُزَم التي تكون أمام الشِّتاء تُسمِّيها العامَّة "عروسة الأمطار" ضارب قوساً مِن النَّبي ﷺ الى مولانا ادريس ومِن مولانا ادريس الى مولانا أبي درقة ومِن مَولانا أبي درقة الى والده والله أعلم، فأخبرَ بعض كُبراء أشراف الأدارسة مِن أهل التروَّة والسِّعة بما رأى، فأقسم بالله أنهُ

لو رأى هو ما رآهُ شيخُنا لذَبح مائة مِن البَقر كرامةً لتحقيق هذا النَّسب الشَّريف، وإنْ كانَ أهلُ البيت كُلُّهم ذو أنساب طاهرة لا تَطرُّق للألسنة فيهم ولا سَلطنة للشَّيطان عليهم حسبما أخبرَ اللهُ عنهُم بقوله الحق

﴿ إنما يُريدُ اللهُ لِيُذهِبَ عَنكُم الرِّجس أهلَ البَيت ويُطَهِرُكُم تَطهيرا ﴾[1]

فانظُر ما قالهُ الأئمة فيهم كالحافِظ السُّيوطي[2] والشَّيخ مُحي الدِّين الحاتَمي والإمام الشَّعراني[3] وغيرهُم ترى ما يَزيدُك في أهلِ البَيت مَحبَّةً واعتقاداً سالِماً صَحيحاً لكن لا يَشفي الغَليل ويُبرئ العَليل إلَّا المُعاينة، فلذلك أكرمَ اللهُ شَيخنا بما رأى في أيَّامِ صِغرِه ﷺ، قال تعالى لخليلهِ عليه السَّلام

﴿ أوَلم تُؤمن قالَ بَلى ولكِن ليطمَئنَّ قَلبي ﴾[4].

فهذا ما حَضرني مِن ظاهرِ نسبهِ مع تَشتيت البَال وكثرةُ الاشتغال وبُعدي عَن الكُتب التي عرَّفتُ بهِم إجمالاً وتفصيلاً، معَ أنَّ أمرهُم ظاهر وواضِح وبيانِ الواضِح مُشكلة، وعَمَل المُقل أيضاً لدى الأقوام كثير يُستحسنُ ويُشكر وإنْ كانَ قليلاً واللهُ أسأل أنْ يُبلغُنا فيما لديهِ أهدى سَبيلاً.

---

[1]. الأحزاب ٣٣

[2]. عبد الرحمن بن كمال الدين أبي بكر بن مُحمَّد سابق الدين خضر الخضيري الأسيوطي المشهور باسم جلال الدين السيوطي من كبار علماء المسلمين ٨٤٩- ٩١١هـ

[3]. أبو المواهب عبد الوهّاب بن أحمد بن علي الأنصاري المشهور بالشعراني، العالم الزاهد، الفقيه المحدث، المصري الشافعي الشاذلي الصوفي ٨٩٨- ٩٧٣هـ

[4]. البقرة ٢٦٠

فصل في ولادته ونشأته

قَد كانت ولادةُ أستاذُنا صاحبُ التَّرجمة ﷺ بعدَ الخمسين والمائة وألف بقبيلتهِ المَذكورة، فنشأ عِندَّ أهلهِ في عَفاف وصيانة وحَياء ومُروءة، ومنذُّ أيَّام الصِبا أحسَن سيرة بينَ قِراءة وزيارة وصلاة ومَسكنة وقَناعة وعِفَّة لا يَعرف إلَّا الأخيار ولا يتعلَّق قلبُه ويَغبُط إلَّا أحوال المُقرَّبين الأبرار، سَمِعتهُ مِراراً يقول

" حفِظتُ القُرآن في السَّلكة الأولى حِفظاً مُتقناً، وكُنتُّ مَقبولا مَحبوباً لجميع مَن رأني وكُنتُّ أُسَّلِكُ للطَّلبة الواحِهُم، وكثيراً ما كُنتُّ أقبضُ اللَّوح بيدي وأقول لصاحبِهِ قبلَ أن أنظُر فيه

هذا اللَّوح ثقيلاً فيه كذا وكذا مِن خسارة، أو خفيفاً ما فيه إلَّا كيتُ وكيت أو لا شيء فيه، فلا يخرُج في جميع ما أقول إلَّا ما أخبرهُم به مِن غير زيادة ولا نُقصان إلهاماً والله، وكانت حالتي في القراءة لا أتكلَّف بل نكتُب اللَّوح ونتأملهُ يسيراً وأتركه واشتغل بالكتابة لألواح الطَّلبة والسَّرد معهُم، وهكذا كانت قراءتي لجميع الروايات حتى رواية السَّبع.

وقد كنت ملازماً لأستاذنا الفقيه الجليل الشريف الأصيل أبي الحسن سيِّدي علي شقيقي لا أفارقهُ مُنذ الصِّبا سَفراً ولا حَضرا، وهو الذي ربَّاني وعلَّمني وأدَّبني جزاهُ الله خيراً عني، قرأتُ عليه مِن حُروف التَّهجُّد الى أنْ حفِظتُ رواية ابن كثير فما سَمِعتهُ يذكُره إلَّا ويُعظِّمهُ ويُفخِّم أمرهُ ويثني عليه ثناءً جميلاً ويقول

" كان أخي مولانا علي صاحب جِد واجتهاد وقراءة وصلاة وأوراد لا يصحبُه التَّراخي في ثلاث، الصلاة إذا حضرَ وقتُها والقِراءة وزيارةُ الأولياء الأحياءُ والأمواتُ "

هذهِ حالُه الى أنْ ماتَ رَحِمهُ الله ورَضي عنهُ وكان يَتسوَّق الأسواق ويَحضر المَحافِل والجَماعات يَسألُ أهلَ عِلم القراءة عمَّا أشكلَ عليه، ويسألُ أهلَ الفِقه عمَّا يحتاج اليه ولا يَكسل ولا يَعجز ولا يَتكبَّر ولا يَستحي في ذلك قطُّ.

وسَمِعتهُ يقول

" زُرتُ معهُ الشّيخ الأعظم الشّريف الأكرم ولي الله تعالى شَيخُ مولاي الطّيب ابن مولاي مُحمَّد وزّان ﷺ سبع مرّات وأنا شابٌ صَغير، فوجدتُّهُ مرَّة عليه ازدحام كثير ففتح لي ﷺ طَريقاً في النّاس وأدناني اليهِ حتّى قبّلتُ يَدهُ ورُكبتهُ، وأنزلتُ بِحجرهِ لوحتين في أحدِهما سُورة الجُمعة فقبضَ بيدهِ الكريمَة على جبهتي وقرأ ما شاء الله عليّ وفرِحَ بي ودعا لي بخير فظهرِ منّي مِن الحِفظ والخيرِ والبَركة والسِّر بعد ذلك خرقُ العوائد بعد ما كُنتُّ قليل الحِفظ فهو عندي مِن جُملة أشياخه ".

وكذلك زُرت أبن عمِّهِ الولي الشّهير المُحقِّق الكبير الشّريف أبا عبدالله سيِّدي مُحمَّد بن علي بن رَيسون الحَسني العَلَمي بجبلِ بتازروت قُرب ضريح القطب الأكبر أبن عمهما مولاي عبد السلام بن مشيش سبع مرّات أيضاً مِن قبيلة بني زروال، ومرَّتين أو مرّة مِن مدينة فاس فمرَّة أعطاني خُبزتين سخونتين مملوئتين سِمناً مِن الغيب لم نرى أحداً ناولها إيّاه خصّني مِن دونِ جماعة الطَّلبة.

ومرَّة أخرى أتينا معَ جماعة مِن فاس ووجدناهُ غالباً عليهِ السُّكر مَجذوباً إذ كانت حالُه كذلك غالباً لا يصحوا إلّا قليلاً، عليهِ باب مُغلق لا يدخُل عليه أحد كالأسد أيّاماً عديدة، فدخلنا عليه محبةً وشوقاً فجعلَ يدورُ في وَسطِنا ويرقُص وتارةً يقرأ سورة طه وتارةً سورة يس وتارةً يذكر الحِلية وتارةً يبكي وتارةً يضحك، وهكذا ونحنُ نساعدهُ ونفعلُ معهُ كلّما يفعل فإذا به دفع الحيّ مُغلّفاً وضرَبني بيدهِ اليُمنى على كَتفي اليُسرى وقال لي

" الله يقويك "

ثم كرر فعلهُ المَذكور ثلاثَ مرّات، ولمّا ودّعَنا دَفعني بيدهِ المُباركتين ثمّ قال لي

" سِرْ أعطيناك الكبيرة "

قُلتُ يعني بها القطبانية والله أعلم إذ بها تتحقُّ المَعرفة الكاملة، قال فهو عندي مِن أشياخي كأستاذي وعُمدتي القُطب الكبير مولاي علي الجمل ﷺ " انتهى .

أمَّا زيارةُ غيرهما مِن الأحياء والأموات فلا نُحصي عددَ ذلك، لاسيما زيارة الى القُطب الشَّريف مَورد الظمآن مَولانا عبدالسَّلام بن مَشيش[١] ومولاي بو سلهام[٢] ومولاي أبي الشتاء[٣] الخمَّار وسيّدي علي بن داود[٤] والقُطب الجليل سيّدي الوارث اليلصوتي العُثماني[٥] وغيرهم مِن المَشاهير ﷺ.

فقد كان لا يترُك ذلك حتى أخذَ الله بيدهِ الأخذ الكبير الذي لا مثيلَ لهُ ولا نظير، لأنَّ زيارةُ الأولياء لها فضلٌ كبيرٌ وسِرٌّ واضحٌ شهيرٌ يَعرِف ذلك من مارسهُ وجرَّبهُ إذ هي بابٌ مِن أبوابِ الله، ومَن أراد أن يَقِف على بعض فوائدها فلينظُر قصيدة الشَّيخ الجليل ولي الله تعالى أبا سالم سيّدي ابراهيم التَّازي دَفين وَهران ﷺ التي مَطلعُها

زيارةُ أربابُ التُّقى مَرهمٌ بيدي ومِفتاحُ أبوابِ الهِداية والخَير
وتُحدِثُ في القلبِ الخَلي إرادةً وتَشرحُ صدراً ضاقَ مِن سِعةِ الوِزرِ

الى أنْ قال

---

١. عبد السلام بن مشيش الولي الكامل الشيخ ٥٥٩- ٦٢٤ هـ ولد بمنطقة بني عروس بالقرب من مدينة طنجة وانتقل بعدها للعيش بجبل العلم قرب العرائش وهناك توفي حيث يوجد ضريحه، أحد أعلام الصوفية وشيخ سيدي أبي الحسن الشاذلي وتلميذ الشيخ عبد الرحمن الزيات.

٢. الشريف عبدالله بن أحمد بن ناصر بن سليمان دفين ساحل البحر قرب مشرع لحضر من مسايف من طنجة توفي سنة نيف واربعين وثلاثمائة شهد له غير واحد من ارباب البصائر . سلوة الانفاس ج١.

٣. مُحمَّد بن موسى شاوي النسب دقين أمرجوا من بلاد فشالة من كبار المشايخ أخذ عن أبي مُحمَّد سيدي عبداللة الغزواني توفي سنة ٩٩٧هجرية.

٤. القطب أبو الحسن علي بن داود المرنيسي، أصله من الرباط حيث تتسمى ذريته بأولاد سيدي داود في الحي المسمى لعلو توفي الولي سيدي علي سنة ١٠٢٥ هـ.

٥. أبو مُحمَّد عبد الوارث بن الولي سيدي مُحمَّد بن الولي الشيخ العارف بالله أبي البقاء سيدي عبد الوارث بن عبدالله اليلصوتي توفي سنة ١٠٧٦ هـ ودفن بزاويته.

عليكَ بها فالقومُ باحوا بِسرِّها وأوصَوا بها ياصاحِ في السِرِّ والجَهرِ
ولا فَرقَ في أحكامِها بينَ سالكِ حرفٍ ومَجذوبٍ وحَيٍّ وذي قَبرِ
وذي الزُّهد والعِباد فالكُلُّ مُنعـــمٌ عليهِ ولكن لَيستِ الشَّمسُ كالبَدرِ

وهي قصيدة جليلة ومِن خصائصها يعني زيارة أهل الله أنها تُبلِّغ صاحبَها الى شيخٍ مِن شُيوخ الطَّريقة جامعاً بين الشَّريعة والحقيقة لأنه هو الذي يَصلحُ للاقتداء، فيُلقي زِمام نفسهِ بيدهِ فيُربيهِ حتى يبلغهُ حضرةَ ربِّه كما وقع لأستاذنا ﷺ وكما وقع لأستاذه أيضاً، إذ كان قد صَحِب الشَّيخ الجليل وليُّ الله تعالى سيِّدي العربي بن عبدالله سِنين والله أعلم ولَم يُفتح لهُ على يديه لأنه قد تخلَّق باسم الله تعالى " المانِع ".

فقصدَ القُطب الشَّريف مَولانا عبد السَّلام بن مَشيش نفع الله به فزارهُ مِن قرية الحصن التي بها دار أبيه سيِّدي مشيش سبعة وعشرين مرَّة حافي الرأس والقدمين، فوجد بالضَّريح في أخِرها رجُلاً عاصياً لا يَعرف شيئاً فأعطاهُ المِفتاح وهو جاهلٌ به يعني دلالة لا يعرف لها قدراً، ثم سافر مِن هناك الى تطوان حرَسها الله فوجد بها رجُلاً شَريفاً كبير السِّن حَسن الوجه نظيف الحالة عليُّ الهِمَّة كريم الأخلاق مِن ناحية المَشرق أسمه عبدالله، وَجدَه عند بعض النَّاس بالدَّار لا يخرُج ولا يدخُل ولم يعرفهُ أحد فصحِبه ففتح لهُ على يديه الفتح الكبير، قال فما رأيتُ أكرمَ منه قط لأنه قد تخلَّق باسم الله " الكريم " فلزمه سنتين.

ولمَّا توفى رَحمهُ الله ورضي عنه رجع هو الى فاس مفتوحاً عليه ولزِم صُحبة أستاذه الأول سيِّدي العربي بن عبدالله المخفية ستة عشر سنة، قال

والأسرارُ التي كُنتُّ نرى منهُ والمَعارف لا تُحصى ولا تُعد، والحاصل زيارة الأولياء لها شأن عظيم وخطر جسيم، وقد قال سيِّدي ابراهيم التَّازي[1]

فكم خَلصت مِن لُجَّة الإثم فاتكاً   فالفِتنةُ في بَحرِ الإنابةِ والسِرِّ

وكم مِن بعيدٍ قربتهُ بجذبةٍ   تفاجأه الفتحُ المُبينُ مِن البِرِّ

وكم مِن مُريد ظفرتُه بِمُرشدٍ   حكيمٍ خبيرٍ بالبلاءِ وما يُبري

فألِفتُ عليهِ حُلَّةً يمنيَّةً   مُطرَّزةً باليُمنِ والفَتحِ والنَّصرِ

قال أُستاذنا رضي الله عنه

" وكنت أزور الأماكن المعظمة أيضاً كالثغور والرباطات لأن شيخه وهو شقيقه مولاي علي كان لا يعرف إلَّا ذلك ولا يَسلك إلَّا تلكَ المَسالك، وهو كان لَهُ مُصاحباً في كل فضلٍ وخيرٍ لا يفارقُه في أعمالِ البِرّ كُلِّها سَفراً وحَضراً، والنَّفسُ مجبولة على حُبِّ الاقتداء كما عَلِمتَ سيما أهلُ الفطرة " انتهى.

قال صلى الله عليه وسلم

" كُلُّ مولود يولد على الفطرة "[2]

وقال عليه السلام

" المَرءُ على دينِ خَليلهِ "[3]

وقال الشَّاعِرُ[4]

---

[1] ابراهيم بن مُحمَّد علي التازي المهدي نزيل وهران من قبائل البربر توفي سنة ٨٦٦هـ

[2]. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "كُلُّ مَوْلُودٍ يُوْلَدُ على الفِطْرَة، فأبَواهُ يُهَوِّدانه ويُنَصِّرانه، كما تَناتَجُ الإبلُ من بَهيمة جَمْعاءَ، هل تُحِسُّ فيها من جَدْعاءَ؟ قالوا: يا رسول الله، أفرأيتَ من يموت وهو صغير؟ قال: الله أعلمُ بما كانوا عاملين". صحيح ، مسند أبو داود للترمذي

[3]. عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم "المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالط" وقال مؤمل من يخالل. صحيح مسند أحمد

[4]. الشاعر طرفة بن العبد

عَن المَرءِ لا تَسَل وَسَلْ عَن قَرينهُ　　فكُلُ قرينٌ بالمُقارنِ يَقترِنُ

وسَمِعتهُ يقول

" كُنتُّ بزاويةِ الشَّيخ الجَليل وليِّ الله تعالى سيِّدي عبد الوارث اليَلصوتي العُثماني أقرأ القرآن فابتدأتُ سِلكة واعتقدتُّ أن لا نقرأ شيئاً على غيرِ وضوء في كل وقتِ ولا أشتغلُ بغيرِ ما يَعنيني قطٌّ حتَّى نختمُها، فكنتُّ على هذه الحال أيّاماً عديدة فلمَّا كانَ بعضُ الأيام صلَّينا صلاةَ الغداة في أوَّلِ وَقتِها مع أستاذي المُحقّق البَركة سيِّدي عبدالله بن فراعين وقَرأنا حِزب الفَلاح وحِزب القرآن وخرجَ النَّاسُ مِن المَسجِد وطُفِئ المِصباح واضطَجعتُ على يَمين الدَّاخل مِن الباب السُّفلية.

فأخذتني سِنةٌ كالنَّوم وإذا بنورٍ قد أشرَق فأضاءَ منهُ المَسجِدُ كُلُّه فَظننتُ أنَّ المُقدَّم قد أوقدَ المِصباح ليُعيدوا الصَّلاة ظناً منهُ أننا صَلَّينا قبلَ الوقت لأنهُ رُبما كانَ يقع منَّا في بَعضِ الايَّام ذلك، فإذا به مولانا رَسولُ الله ﷺ واقفٌ أمامي يَنظُر إليَّ فأردتُّ أنْ أقوم إليهِ فأشارَ إليَّ بيدهِ الكَريمة مرَّتين أو ثلاثة أنْ أبقى على حالي وخَرجَ، وإذا بنورٍ مُشرق داخل المَسجد أيضاً فنظرتُ فإذا هي مَولاتنا فاطمةُ الزَّهراء البَتول رضي الله عنها قائمة أمامي تَنظُر إليَّ ولا تَتكلَّم، فحدَث بقلبي بسببِ رُؤيتها أمرٌ عظيمٌ مِن المَحبّة والشَّوقُ اليهما وبقيتُ نحو العَشرةِ أيّام وأيّامها جلتُ فيها تَفيضُ عيناي بالدُّموع فيضاً كبيراً فارتحلَ قلبي بسببِ ذلك عنِ الدُّنيا وعَن أهلِها وعَن كُلِّ شَهوةٍ كنتُّ أشتهيها وكلِّ لذةٍ كنتُّ أتلذَّذُ بها، ولمَّا عرَفتُ أستاذي الشَّريف الغوث الكامل أبا الحسن سيِّدي علي الجمل رضي الله عنه أخبرته بذلك فقال لي

" أمَّنك ﷺ بإشارته لك أنْ تبقى راقِداً "

فظهرَ لي وجهُ الأمان وشاهدتُّهُ بالعَيان والحَمدُ لله والشُّكرُ لله " انتهى.

ومَعنى شُهودُ الأمان بالعُيون والله أعلم وصولهُ لمقامِ البقاء بعد الفناء، لأنهُم يقولون

" مَن وصلَ البقاء أمِن مِن الشَّقاء "

إذ البقاء هو المُقام الأكمل الذي لا مَقامَ فوقهُ إلَّا مَقامُ الرُسُل عليهمُ السَّلام، لأنَّ صاحبهُ دائماً بين خَوفٍ ورَجاء ثُم قبضٍ وبَسطٍ ثُم هيبة وأُنس على حَسبِ تَرقّيهِ في المَقامات الثّلاث، إسلام وإيمان وإحسان، أو شَّريعة وطريقة وحقيقة، أو عِلم يقين وعَينهِ وحقّهِ، أو عبادة وعبودية وعبودة، أو محاضرة ومكاشفة ومشاهدة، أو فناء عن الفعل وعن الوصف وعن الذَّات في ذات الذَّوات التي لا وجود لشيءٍ معها من جميع الكائنات.

فصاحبُ هذا المَقام لا يأمن مَكر الله ولا يائس من رَوح الله جامعاً الضّدين وسالكاً للنَّجدين، سُبحان المَلِك الجبَّار الذي ألَّف بين الثَّلج والنَّار[١] ومَنَّ الله عليه بما مَنَّ به على أوليائهِ أنه جوادٌ كريم ذو فضلٍ عظيم.

وقد كان ﷺ في حالِ صِباه مؤيداً مَحفوظاً بما اصطفاهُ رَبُّهُ واجتباه، سَمِعتهُ ﷺ يقول

" اهتَمَمتُ بمعصيةٍ مرةً في حالِ الصِّبا معَ بعضِ مَن تتعلَّقُ الشَّهوة به فخَرَجتْ بجسمي قُروح كثيرة عِند ورودِ خاطرِ السُّوء على قلبي فاستغفرتُ الله فذهبَ ما بي في الحين فضلاً مِن الله ونعمة " انتهى.

فصل في مسألة الحفظ والعصمة

مسألة، فإن قلت فهل الولي محفوظ كما النَّبي مَعصوم ؟

وهل الحِفظ قبل الولاية وبعدها أم لا ؟

وهل الحِفظ مِن الكبائر والصَّغائر أم لا ؟

---

[١]. قال في العوارف عن خالد بن معدان قال " إن لله ملكاً نصفه من نار ونصفه من ثلج وإنَّ من دعائه اللَّهم فكما ألَّفت بين هذا الثلج وبين هذا النار فلا الثلج يطفئ النار ولا النار تذيب الثلج ألِف بين قلوب عبادك الصالحين".

وهل الأفضل ولي لم يصدر منه شيء أم لا ؟

وما الفرق بين العصمة والحفظ وكذلك المعجزة والكرامة ؟

فأقول والله أعلم

هل الولي محفوظ كما النَّبي مَعصوم ؟

لَيسَ مِن ضَرورياتِ الولاية الحِفظ قبلها بَلْ ولا بَعدها على الدَّوام مِن جَميع الآثام لأنهُ بَشرٌ تجري عليهِ تَصرُّفات الباري جلَّ وعَلا ولا يَنتقِص بِمعصية كما لا يزيدُ بطاعة لأنَّ الولي مَن تولَّاه الله فَغيَّبَهُ عَن شُهودهِ بمشهودهِ فلا يرى فَضيلةً إلَّا فيما يتجلَّى فيه وعليهِ مِن أوصافِ مَعبودهِ، إذ جاءَ في بعضِ الأحاديثِ القُدسية

" **الطَّائع والعَاصي مَحجوبانِ عنِّي فَمن رآني لا يَطيع ولا يَعصي** "

ومِن هنا لمَّا قيلَ لإمامِ الطَّائفة سيِّدي أبو القاسِم الجُنيد ﷺ أيزني العارِف ؟

فأجاب

﴿ **وكانَ أمرُ الله قَدراً مَقدورا** ﴾[1].

قال تاجُ الدِّين سيِّدي ابن عطاء الله ﷺ

" لَيتَ شِعري لَو قِيلَ لهُ أتتعلَّق هِمَّتهُ بغيرِ الله تَعالى لَقالَ لا "[2].

والمَعرفة هي نهايةُ العَبد في مَقاماتِ الكَمال والغاية التي لا تَتخطَّاها الآمال، إذ هي في إطلاق الصُّوفية ﷺ على مَعنى مَن كاشفهُ الله بشُهود الذَّات والصِّفاتِ والأسماءِ والمُسمَّيات مِن غيرِ تَعريف بينَ الذَّات والصِّفات أو الاسم والمُسمَّى بل هذا عين هذا، هذا أخصُّ مقاماتها وإن كان لها

---

[1]. الأحزاب ٣٨

[2]. الفتوحات الالهية في شرح المباحث الأصلية ابن البنا السرقسطي

عُموم تُطلق عليها لكن هذا مُراد القوم بها وهذا الجواب مِن سيِّدي الجُنيد ﷺ في غاية الحُسن إعطاء للرُّبوبية حقَّها ولتُبيَن مَرتبة النَّبي مِن الولي وإن كان هذا عسيرُ وجودهِ مِن الولي لا يكاد يوجد منه ذلك.

هل النَّبي معصوم ؟ وأمَّا النَّبي فهو مَعصومٌ مِن الكبائر اتفاقاً ومِن الصَّغائر على المَشهورِ بعدَ النُّبوَّة وقبلها على الخِلاف.

وجواز الصَّغائر على الولي أمرٌ واضح لا اختلاف فيه وإن وصل مَن صَدرت منهُ مُخالفات في أيَّام حُجبتهِ، ومَن لَم يصدُر مِنهُ شيء الى مَقامِ الجَمع والفَرق وشُهود الحقِ والخَلق وبلغَ غايةَ الكَمال في شُهود الجَلال والجَمال فلا فضيلة لأحدِهما على الآخر.

وكذلك لو كان أمِّياً وعالماً فهُما سواء، والكُلُّ في جواز الاقتداء بهم وأحداً

" إذ لم يتَّخِذ الله ولياً جاهلاً وإن اتَّخذهُ علَّمهُ "[1]

﴿ وعَلَّمَك ما لَمْ تَكُن تَعلَمْ ﴾[2] .

﴿ وعلَّمناهُ مِن لَدُنَّا عِلما ﴾[3] .

﴿ ما كُنتَّ تَدري ما الكِتبُ ولا الإيمانُ ﴾[4] .

﴿ وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهدَى ﴾[5] .

﴿ وإنْ كُنتَّ مِن قَبلِه لَمِنَ الغَافلين ﴾[6].

---

[1]. الفتوحات الالهية في شرح المباحث الأصلية ابن البنا السرقسطي

[2]. النساء ١١٣

[3]. الكهف ٦

[4]. الشورى ٥٢

[5]. الضحى ٧

[6]. يوسف ٣

﴿ الَّذينَ يَتَّبِعونَ الرَّسولَ النَّبي الأُمِّي ﴾[1].

والفَرقُ بينَ العِصمة والحفظ

هو إنَّ العِصمة في الظَّاهِر والبَّاطِن والله أعلم، والحِفظ في البَاطن كما قدَّمنا مِن أنَّ العارِف مُشاهِدٌ لأوصاف معروفه وإن اختَلفَت عليه أنواع تَصريفهِ، قالَ الشَّيخ الكبيرُ القُطبُ الشَّريفُ الشَّهيرُ أبو مُحمَّد سيِّدي عبد القادر الجيلاني ﷺ [2]

أراني كالآلات وهو مُحرِّكي أنا قلمٌ والاقتدارُ الأصَابعُ
ولَستُ بجَبريٍّ ولكن مُشاهِدٌ فِعالُ مُريدُ مالَهُ مَن يُدافعُ

الى أن قال

فآونة يقضي عليَّ بطاعـةٍ وحيناً بما عنهُ نَهتنا الشَّرائعُ
فإن كُنتُّ في حكم الشَّريعةِ عاصياً فإني في علم الحَقيقةِ طائـعُ

والحِفظُ في البَّاطن لازمٌ لكُلِّ نبي إذ البَّاطنُ مَحلُ الشُّهود ومَوضِع دوامُ السُّجود، ونهايةُ الولي هي بدايةُ النَّبي كما قال الشَّيخ الجَليل سيِّدي ابن البنَّا في مباحثهِ ﷺ

وحيثُ فيه ينتهي الولي فَمِن هُناك يَبتدئُ النَّبي

الفرق بين الكرامة والمعجزة

والفرقُ بينَ المُعجزة والكرامة هو التَّحدِّي والله أعلم، فالنَّبي يتحدَّى على المُعجزة، والولي لا يتحدَّى على الكرامة وقيل يجوز له التحدَّي، وأمَّا إن

---

[1]. الأعراف ١٥٧

[2]. هذا البيت في نادرات العينية للشَّيخ عبد الكريم الجيلي وليس الشَّيخ عبد القادر الجيلاني

تأمَّلتها على الطَّريق النَّظري فإنكَ تَجدُ الكرامة مُعجزة والمُعجزة كرامةً لا تُحدِّدُهما في الصِّفة والمَرجَع.

إذ المُعجزة مُعجزة وكرامة في حقِّ النَّبي، فلكونِها مِن الله هي لهُ كرامة في نَفسهُ أكرمهُ سُبحانهُ بها الله ومُعجزة لغيرهِ حيثُ تحدَّى عليها.

وكرامة كل ولي هي معجزة ذلك النَّبي المُتَّبع تدل على صدقه، والكرامة للولي كرامة ومعجزة أيضاً فلكونها هي من الله صادرة من غير استحقاق فهي كرامة له أكرمه بها سبحانه في نفسه ومعجزة أعجز بها غيره مِمَّن أخلدَ الى أرضِ الشَّهواتِ واتَّخذَ إلههُ هواهُ.

وقد قال الشَّيخ ابن البناء ﷺ في مباحثه في تفضيل الصُّوفي على العالِم والعابِد

حُجَّـةُ مَـن يُـرجِّح الصُّـوفية | على سِواهم حُجَّةٌ قوية
هُم أتبـاعُ النَّـاس لخيـرِ النَّـاس | مِن سائرِ الأنام والأُناس
تابعـهُ العـالِم فـي الأقـوال | والعابِد النَّاسك في الأفعال
وفيهمـا الصُّـوفي فـي السِّـباق | لكنَّهُ قد زادَ بالأخلاق
ثُـم بشـيئين تقـومُ الحُجَّـة | إنهم قَطعاً على المَحجَّة
مَـذاهبُ النَّـاس علـى اخـتلاف | ومَذهبُ القوم على ائتلاف
ومـا أتـوا بـه مِـن خـرقِ العـادة | إذ لم تكن لِمن سِواهُم عادة
والعِصمة والحفظ كلاهُما تأييـد | يَصحبُ المُخلصين مِن العَبيد

لا غير والله أعلم انتهى".

الباب الثَّاني

في ولادته المعنوية وكيفية تنقلات أطوار التَّربية

أعلم علَّمنا الله وإيَّاك حقيقة أنفُسنا وأذهَبَ عنَّا توهُّم وجود رَسمِنا وحِسِّنا، أنَّ مَن أراد سلوك الطَّريق وخصوصاً مريدي الكشف والتَّحقيق، لا بُدَّ له من ولادة وتربية ورضاع في حجر وتحجير الى أوان فطام، وليس لذلك وقت معلوم ولا قانون محتوم، بل كل واحد وكيف اتفق له في الولوج والخروج والنزول والعروج، وبيانُ ذلك أنَّ مَن أراد الله هُداهُ على سبيلِ الاستدلال والاكتساب والسُّلوك ألهَمهُ رُشدهُ وجعل له زاجراً من قلبه وواعظاً من نفسه، فَيتفكَّر بالعقل السَّالم في أصلية هذه العوالم، فتناديه حقائقها مالكِ خُلقتُ ولا للاشتغال بكِ أُمرتُ، إنما خُلقت للكمال الإلاهي، وأُمرت بالإعراض عن جميع الملاهي، فأنت مِلك والأكوان مَماليك، فكيف تُبدِّل المُلك بالمِلك، أستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير، فيقول العقل كيف السبيل، فتناديه هو مِن جنسك ولكنه قليل

﴿ لقد جاءكم رسول مِن أنفسكم ﴾[1].

﴿ وابعث فيهم رسولاً منهم ﴾[2].

فيرجع للجنس إذ به يطمئن القلب والنفس، فيبحث عن مَن هو أعلى مِنهُ عَملاً وعِلماً وأعرف بالطَّريق حالاً وذوقاً ومقاماً، حتى يجد كاملاً جامعاً بين السُّكر والصحو ثابتاً في عين الزوال والمحو، فَيُزوِّج نفسه منه ولا يلتفت لحظة عنه، فيخرج من بين صلب قلب الشَّيخ وترائب نفس المريد ماءاً

---

[1]. التوبة ١٢٨

[2]. البقرة ١٢٩

دافق يخلق الله منه الفريد والتوحيد، فيستقر في رحم الاستماع نطفة ثم في الانتفاع علقة، ثم في الانتفاع مضغة، ثم في الارتفاع خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين، وإن شئت قلت ينقله في أطوار العلم والعمل والحال، والملك والملكوت والجبروت، أو العبادة والعبودية والعبودة، أو المحاضرة والمكاشفة والمشاهدة، أو علم اليقين الى عين اليقين الى حق اليقين، أو الفرق والجمع وجمع الجمع

﴿ يهبُ لمن يشاء إناثاً ويهبُ لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكراناً وإناثاً﴾[1].

أي فرقاً وجمعاً الى غير ذلك مِمَّا أعطى الله عزَّ وجل لأوليائه المخلصين، ويُقال

" مَن أخلص لله أربعين صباحاً وَلَج الملكوت وتفجَّرت ينابيعُ العلوم مِن قلبهِ وأجرت على لِسانه "[2].

والإخلاص لا يُطَّلَع عليه إلَّا بالاطِّلاع على مَن اطَّلع عليه، قال تاج الدِّين في حِكَمه

" سُبْحانَ مَنْ لم يَجْعَلِ الدَليلَ عَلى أوْليائِهِ إلّا مِنْ حَيْثُ الدَّليلُ عَلَيْهِ ولم يوصِل اليهم إلَّا مَن أراد أن يوصِلُه اليه " انتهى.

وقال الشَّيخ شهاب الدِّين أبو النَّجيب السَّهروردي ﵁ سَمِعتُ المشايخ بالعراق يقولون

" مَن لم يرى مُفلحاً لا يفلح " انتهى.

---

[1]. الشورى ٤٩-٥٠

[2]. عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَخْلَصَ لِلَّهِ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا ظَهَرَتْ يَنَابِيعُ الْحِكْمَةِ مِنْ قَلْبِهِ عَلَى لِسَانِهِ» مسند الشهاب القضاعي

وهذا أبو يزيد البُسطامي ﷺ يقول

" مَن لا شيخَ لهُ فالشيطان شيخهُ "[1] انتهى.

وقال الشَّيخ محي الدِّين الحاتمي ﷺ

" مَن لا شيخَ لهُ لا قبلة له " انتهى.

وقال أبن شيبان ﷺ

" مَن ليس له استاذ فهو بطَّال " انتهى.

وقال تاج الدِّين ابن عطاء الله ﷺ

" من لم يكن له استاذ يصله بسلسلة الأتباع ويكشف له عن قلبه القناع فهو لقيط لا أبَّ له دعي لا نسبَ له"[2] انتهى.

وقال الشَّيخ أبا علي الثقفي ﷺ[3]

" لو أن رجُلاً جمع العلوم كُلِّها وصَحِب طوائف النَّاس لا يبلغ مبلغ الرجال إلَّا بالرياضة من شيخ أو إمام أو مؤدب أو ناصح، ومن لم يأخذ أدبه عن آمر له يريه عيوب أعماله ورعونات نفسه لا يجوز الاقتداء به في تصحيح المعاملات "[4] انتهى.

وضرب له الإمام حُجَّةُ الاسلام الغزالي مثلاً يعني مَن جَمع العلوم وعَمل أنواع الرياضات كالشَّجرة التي تنبُت في الجبال والأودية من غير غارس فإنها لا تثمر، ويمكن أن تثمر ولكن لا طعمَ لفاكِهتها كطعم

---

[1]. روى عن أبي يزيد أنه قال من لم يكن له أستاذ فإمامه الشيطان. الفتوحات الالهية في شرح المباحث الاصلية.

[2]. الفتوحات الالهية في شرح المباحث الاصلية لابن عجيبة.

[3]. الفقيه الشافعي أبو علي مُحَمَّد بن عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن عبد الوهاب من ذرية الحجاج بن يوسف الثقفي ولد في قُهستان من أعمال خراسان في سنة ٢٤٤ هـ، توفي في شهر جمادى الأولى سنة ٣٢٨ هـ.

[4]. القول ذكر في كتاب الفتوحات الالهية في شرح المباحث الأصلية لأحمد بن عجيبة

الغروس والبَساتين التي تَحتَ التَّصرُّف، وقد جرَّب ذلك ﷺ مِن نفسهِ ومِن غيرِه، وقد اعتبر الشرع الكلب المعلَّم وَحِل ما يقتله.

والحاصل والله أعلم أنَّ مَن لا شيخَ لهُ لا دين لهُ ولا فلاح ولا نجاح وإن أفلح ونجح فلا تجدهُ إلَّا ناقص تهذيب وتأديب عامِّي صِرف بالنسبة للخُصوص أولي التَّربية يَعرِفُ ذلك مَن تأمَّلهُ، قال الشَّيخ الشُشتري

مَن لَم تُربِّهِ أشياخ بُصارى   تلقاهُ في نفسهِ خَشين جَسيم

فَخمٌ يَبقى بِلا قُصارى   ولَو نَسجَ رِقة النَّسيم

الخ مقطعاته، ومَن لم يسلُك على هذا المنوال يبقى مُدة عُمره يَخوضُ في المُحال ولم يَحصل لهُ عَن نفسهِ وحِسِّه ارتحال.

ومِن هنا بَحثَّ استاذنا صاحب التَّرجمة ﷺ عن الطبيب حتى وجدهُ واستصغر واستحقر جميع ما كان عنده، وقصُر النَّظر عليه وسلَب الارادة اليه واغتسل مِن عِلمهِ وعمله فنالَ غايةَ أمنيتهِ وبُغيتهِ وأملهِ.

وقد كانت له قبل ملاقاته بالشَّيخ أعمال كثيرة، كسرد الصِّيام وطول القيام وتلاوة القرآن والاستغراق في الأذكار وتوزيعها على الأوقات آناء اللَّيل وأطراف النَّهار ولم يكترِث بها ولا التفتَ اليها ولا عوَّل عليها.

سَمِعتهُ ﷺ يقول

" أُلهمتُ الى ذكر ربي في حال شبابي مِن غير واسطة، وَوفِقتُ لذلك حتى كانت جوارحي كَيَدي وفخذي وكتفي وجنبي وغير ذلك يذكُرنَ قهراً عليَّ، ومهما قبضت عضواً تحرك الآخر بالذِّكر رَغماً على أنفي، وانخرَقَت ذاتي فكُنتُ أمثِّل نفسي كالحوت في الماء إذا خرج مِن الماء يموت كذلك كُنتُ في الاستغراق في الذِّكر، وحبَّبَ الله اليَّ العُزلة عن الخلق والصَّمت والجوع والسَّهر وقيام اللَّيل حتى كنت أعتقد في نفسي وفي غيري مِمَّن هو على حالي اعتقاداً جميلاً، ثم أنَّ الله بفضله وكرمه وجوده

صغَّر وحضَّر بين عيني جميع ما أنا عليه وشوَّقني لطلب الشَّيخ المربِّي واضطرني اليه اضطرار الظمآن للماء أو الخائف المطلوب للأمن.

وكان بعض الأساتذة وهو مِن أشياخي في قراءة السبع وحاله في الجِّد والاجتهاد كحالي وهو الشَّيخ النَّاصِح الأستاذ النَّاسِك الصَّالح أبو عبد الله سيِّدي مُحمَّد علي اللَّجائي رَحِمهُ الله ورَضي عنهُ، كم مَن مرَّةٍ يُهيئ لنا الزَّاد للسَّفر ويقول لي "يالله يا سيِّدي نسافر الى بعض السَّادات مَن أهل الوقت ليأخذ بيدِنا ونتَّخذهُ شَيخاً مِن شُيوخ الطَّريقة، أمَّا الى الشَّيخ الجليل الشَّريف الأصيل وليّ الله تعالى سيِّدي مولاي الطَّيب بن مُحمَّد الحسني العلَمي بوزَّان حرسها الله، أو الشَّيخ الجليل وليّ الله تعالى سيِّدي المعطي بن صالح الشرقاوي العمري بتادلا، أو الشَّيخ الجليل وليّ الله تعالى سيِّدي يوسف بن ناصر نجل الشَّيخ البركة وليّ الله تعالى سَنيّ أهل المغرب أبي العباس سيِّدي أحمد بن ناصر الدرعي بدرة أو الشَّيخ الجليل وليّ الله تعالى نجل الولي الصالح سيِّدي مُحمَّد بو زيان بالقنادسة فكنت أقول له في جميع ذلك المرَّة بعد المرَّة فالذي أطلبه وهو عِلمُ الباطن ليسَ هو عندهُم والله أعلم إذ لو كانَ عندهُم لكان عند أصحابِهم، وقد قيل " اختبروا النَّاس بأصحابهم" انتهى.

وإن كان عمل الظَّاهر فالذي عندهم عندنا فأنا أرجع الى رَبِّي سُبحانه هو الذي يحمِلني اليه أو يحملهُ إليَّ ويُبلِّغني به حيثُما كان بالمَشرق أو بالمَغرب ببرَ الإسلام أو ببَر النَّصارى فالقُدرة تَحمِلني اليه أو تَحملهُ إليَّ وتجمع بيني وبينهُ حيثُ هو مشهوراً عند النَّاس أو خامل الذِّكر بينهم، والغالب حاجتي لا تكون إلَّا عند الخاملين المستضعفين، قال تعالى

﴿ ونُريد أن نمُنَّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهُم أئمةً ونجعلهُم الوارثين ﴾[1]

وقال ﷺ

[1]. القصص ٥

" رُبَّ أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبهُ بهِ تَنْبُو عَنْهُ أَعْيُنُ النَّاسِ لَو أقسَمَ على الله لأبرَّهُ "[١]

قال

" ولزِمتُ زيارة سيِّدنا وسيِّد أهل غَربِنا مولاي ادريس بن ادريس بن عبدالله المحض ابن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء البتول ﷺ أجمعين ".

وقيل قرأ بضريحه ستين سلكة في طلب الشَّيخ المرشِد ولمَّا ختَم السِّتين بكى بُكاءً شديداً حتى أحمرَّتا عَيناهُ وسأل الله باضطرار كبير وخرجَ فمرَّ ببعض النَّاس وهو سيِّدي حفيدُ الشَّيخ الجليل قطب الأحوال وليُّ الله تعالى سيِّدي عبد العزيز الدَّباغ ﷺ وهو ابن بنته قال فقال لي

" مالك يا سيِّدي ومالي أراك في هذه الحال "

وكُنتُّ منظوراً بالتعظيم عنده وعند غيره فقلت له

" الذي نطلبه لا تعرفه أنتَّ "

فقال لا بُدَّ لك أن تخبرني ما هو، فلمَّا لم أجدُ بُداً منهُ قلتُ

" اضطررنا الى مَن يأخُذ بِيدِنا فلم أجدهُ ولا حولَ ولا قوَّة إلَّا بالله "

فقالَ لي

" أنا أدلُّك عليه إذا لم تشاور أهل الرأي القاصر والعقل الفاتر لانهم لا ينظرون إلَّا الى حال العلُّو والعمارة، وهذا حاله حال الدنوا والخراب وذلك يُنفِّر النَّاس لا محالة وأيضاً ربما دَلُّوك على ناقص يحسبونهُ كاملاً ونَهوك عَن كامل يظنونه ناقصاً، وقد قال الشَّيخ الأجل سيِّدي الشُّريشي ﷺ[٢] في رائيته وهذا المعنى

---

[١]. صحيح ، شرح مشكل الآثار

[٢]. حمد بن مُحمَّد بن أحمد بن خلف القرشي التيمي البكري الصديقي، أبو العباس، تاج الدين الشريشي السلوي. ٥٨١ – ٦٤١هجرية برع في علم الكلام وأصول الفقه استقر في الفيوم بمصر وتوفي بها

ولا تسألن عنه سوى ذي بصيرة   خليٌّ مـن الأهواء ليس بمغتـر
فمن صَدِيت مـرآة ناظر فهمه   أرته بوجه الشَّمس من كلف البدر

قال فقلت له

"ومن هو يا سيِّدي"

قال

" هو الشَّيخ الجليل الشَّريف الأصيل الغوث الجامع والبحر الواسع أبو الحسن سيِّدي علي بن عبد الرحمن العمراني المُلَقَّب بالجمل عند أهل فاس وعند ملائكة الرَّحمن بالجَمَّال في حكاية عَن بَعض الأولياء ﷺ كان مِمَّن تُكلِّمهم الملائكة وتُسلِّم عليهم

قال " أخبرتني الملائكة عن سيِّدي علي الجَمَّال أنه ولي الغوثية منذ ثلاثين سنة"

وقد أخبرنا شيخُنا صاحبَ التَّرجمة عن هذا الرجُل

" أنه رآهُ وقد تَروحَن حتَّى صار جسمه كالبلارج"[1] انتهى.

وهو قليل الألفة للناس، ولا جرم أن الملائكة والأنبياء عليهم السَّلام ينظرونهم الأولياء ويكلمونهم يقظةً ومناماً، ومَن أراد أن ينظر بعض ذلك فليطالع كتبهم " **كتنوير الحلَك في امكانية رؤية النَّبي والملك** " للإمام الحافظ جلال الدِّين السُّيوطي، وكتاب " **التَّوحيد** "، والإمام الزحيلي، والإمام اليافعي، والساحلي، والحاتمي، والجيلي، والغزالي، وابن مغيزل وغيرهم.

قال شيخُنا صاحبُ التَّرجمة رضي الله عنه

" كانَ لشيخهِ المَذكور وصلة عظيمة لرسول الله ﷺ وكان يَتبدَّلُ حالُه ويقشعِر جِلدهُ وتحمَر عَيناهُ وقتَ ذكرهُ لهُ ﷺ وتفكرُهُ فيه عليه السلام " انتهى.

---

[1] . طائر اللقلق

بل أخبرَ هو عَن نفسهِ أي سيِّدي علي في كتابهِ قال

" ومِمَّا منَّ به عليَّ أنْ جَعلني سُبحانهُ مَهما ذكرتُ رسول الله ﷺ أو جُلتُ فيه إلَّا وقد وجدتهُ حاضراً بين يَدي هو وأصحابُه العَشرة الكِرام المُبشَرين بالجنَّة ﷺ وذلك حِساً لا معنىً ونتكلَّمُ معهُم ونأخذ العِلم مِن عين العِلم والعمل من عين العمل ﷺ " انتهى.

قد كان أستاذنا يقول

" أنه يترجَّح لي أن أستاذي سيِّدي علي أكبر من الشَّيخ الجليل سيِّدي أبي العبَّاس المرسي في رؤية النبي ﷺ لما رأى أن عَلِم مِن حالهِ ونعته لرسول الله ﷺ في كل وقت نعتاً عيانياً واستغراقه في العبودية وتَعلُّقه بأوصاف الرُّبوبية، قال ومَن أراد أن يعرف الكامل منهما والقوي في رؤيته ﷺ فيهما فلينظر ما ترك أستاذنا سيِّدي علي مِن الأذواق ونعتهِ لرسول الله ﷺ في كتابه، ولينظر ما ترك تاج الدين سيِّدي أبن عطاء الله لأستاذه رضي الله عنهما فإنه يرى القوي فيهما والله ذو القوة المتين، والله حَسيبُنا إن قلنا في أستاذنا ما ليس في علمنا، واكتفاؤنا بِربِّنا هو الذي حَمَلنا على ما قُلنا في أستاذنا لا عَدَم اكتفائنا بِربِّنا، ولو سَكتنا عمَّا في عِلمِنا مِن قوَّةِ أستاذنا خيفةً أن يُقال فينا هذا مِن عَدَم اكتفاؤنا بِربِّنا أنه سواء قيل فينا أو لم يقل " انتهى.

واعلم أيَّدَك الله بروح منه ولا أخرجك في وقت عنه أنَّ ما أشار إليه شيخنا صحيح المعنى مؤسس البِنى والله أعلم، فلا تبادر لإنكاره وسأطعمك إن شاء الله شيئاً مِن أثماره.

قال الشَّيخ الجليل أبو العبَّاس المرسي ﷺ

" لي أربعون سنة ما حُجبتُ عن الله ولو غابَ عنّي رَسولُ الله ﷺ طرفة عين ما أعدَدتُّ نفسي مِن المُسلمين "[1] انتهى.

وقال تلميذهُ الشَّيخ تاج الدين

" كانت لأبي العباس المرسي رضي الله عنه وصلة برسول الله ﷺ وكان يرِد عليه السَّلام أذا سلَّم عليه "[2] انتهى.

قالَ وقالَ رَجُلٌ لأبي العباس المرسي صافحني بكفك هذه فإنك لقيت رجالاً وبلاداً، قال أبو العباس

" والله ما صافحت بكفي هذه إلَّا رَسول الله ﷺ "[3] انتهى.

فهذا وشبهه يقع لأولياء الله لا محالة، وقد وقع الاتفاق منهم قاطبة على أنهم بعد عروجهم الى سماء الحقيقة ونزولهم الى أرض الشَّريعة لم يشهدوا في الوجود غير الملك الموجود كما هو سبحانه ليس لغيره وجود، ولا يحجبهم عن شهود نبيه ﷺ لحظة ولا تقع لهم على ما سواه نظرة، إذ هو الشاهد والمشهود وبيت القاصد من المقصود، مع ذلك ينزلون الأشياء في محالها ويعقلون كل شيء بعقالها، ويُسمُّون كل شيء باسمه ويحكمون على كُلِّ حُكمهُ، لكن منازلهم في هذا المقام متفاوتة وفضيلة البعض على البعض ثابتة، قال تعالى

﴿ تلك الرسل فضَّلنا بعضهم على بعض﴾[4].

وقول شيخُ شيخنا سيِّدنا علي رضي الله عنه

---

[1]. قال أبو العباس المرسي " لي ثلاثون سنة ما غاب عني رسول الله ﷺ طرفة عين ولو غاب عني ما أعددت نفسي من المسلمين " ايقاظ الهمم في شرح الحكم لسيدي أحمد بن عجيبة.

[2]. ذكره السيوطي في كتاب الحاوي للفتاوي

[3]. ذكره السيوطي في كتاب الحاوي للفتاوي

[4]. البقرة ٢٥٣

" مَهما خَطرَ ببالي رسول الله ﷺ وجدتهُ هو وأصحابه العشرة الكرام البررة ﭬ حاضرين بين يدَي حِسَّاً لا معنىً ونتكلَّم معهم ونأخذ العلم والعمل من عين العلم والعمل ﷺ "

مؤذن بهذه الفضيلة والدرجة العالية الزائدة عن شهوده معنىً قائماً بالذات ساري سِرُّه في جميع الكائنات، إذ ذاك حاصل لكل مَن تَحقَّق عنده عياناً الذَّات عين الصِّفات، وهذه مزيَّة ومشاهدة حسِّية أتحفه الله بها بفضله ﴿ **والله ذو الفضل العظيم** ﴾[1] انتهى.

وإن أشار إليها أبو العباس ﭬ بذكر المصافحة لرسول الله ﷺ فذلك نادر والله أعلم، وقد وقع مثل ذلك للشَّيخ الجليل وليُّ الله أبي العباس سيّدي أحمد الرفاعي ﭬ حين كان بالرَّوضة الشَّريفة أنشد فقال[2]

في حالة البعد روحي كنت أرسلها   تُقبِّلُ الأرض عني وهي نائبتي
وهذه دولة الأشباح قد حضـرت   فامدُد يمينك كي تحضى بها شفتي

فمدَّ يده الكريمة ﷺ من الروضة الشَّريفة فقبَّلها أبو العباس الرفاعي نفعنا الله به، فهذا وشُبهه يقع لأولياء الله كثيراً كما قلنا، والمعنى التي تظهر منها الزيادة والتفاوت حقاً وصدقاً عند العارفين الكاملين الرَّاسخين هي الاستغراق في أوصاف العبودية.

فالنَّبي عليه السَّلام كان له كمال العبودية والعارفون يتفاوتون فيه عليه السَّلام وفي الجمع عليه بقدر تفاوتهم فيها وهي التي أشار إليها أستاذنا ﭬ وحَكَمَ بفضيلةِ أستاذهِ وقوَّتهِ في رؤيته ﷺ على الشَّيخ أبي العباس والله

---

[1]. البقرة ٢٠٥

[2]. ديوان أبو الهدى الصيادي

أعلم، لأن سيّدي علي ﷺ كان له الحظ الأوفر في العبودية وهذا المعنى ظاهر عند أربابه وهو عين مقصوده وخطابه والله أعلم، ولنرجع لِما كُنَّا بصدده مِن مُلاقاة أستاذنا بأستاذه.

قال ﷺ

" لمَّا أخبرني ذلك السَّيد المذكور به وكانت عادتي أن لا أقدم على أمرٍ من الأمور سواء كان جليلاً أو حقيراً إلَّا بعدَ الاستخارة النَّبوية، فاستَخرتُ الله تِلك اللَّيلة فَبِتُّ أخوض في صفاته كيف هو وكيف تكون مُلاقاتي معهُ حتَّى لم يأخذني النَّوم تلك اللَّيلة، ولمَّا صلَّيت الصُّبح قَصدُّتهُ لزاويته بأرميلة التي بين المدن عدوة الوادي من جهة القبلة شرَّفها الله وهي التي ضريحه بها الآن مشهور مقصود الزيارة، فَدَقيتُ الباب فإذا به قائم يشطب الزاوية إذ كان لا يترك تشطيبها بيده المباركة كل يوم مع كُبر سِنِّه وعلوِّ شأنه

فقال لي

" أيش تريد " ؟

قلتُ

" أريد أن تأخذ بيدي يا سيِّدي لله "

فقام معي قومة عظيمة ولبَّس عليَّ الأمر واخفى عنِّي حاله

وصار يقول

" مَن قال لك هذا ومَن أخذ بيدي أنا حتَّى آخُذ بيدك "

وزَجَرني ونهَرني وكُلُّ ذلك اختباراً لصدقي، فولَّيتُ مِن عندهِ لَمْ أدري حيثُ أنا حتى وصلتُ جامع الشَّوك الذي هو هناك بَينَ المدن، فشعرتُ كأنَّ قائلاً يقول لي

" يالعربي هذا الشَّيخ إنما أراد اختبارك ارجع إليه"

فإذا بي لم نرجع إليه في ذلك اليوم لأني كنت عائلاً يعني صبياً صغير السِّن والعقل بلسان البلد، قال وأنا باقٍ الآن عائلاً تواضعاً منهُ ﷺ وتحققاً بالوصف لأن شأن أهل العلم والدِّين هضم النفس "انتهى.

وأمَّا هو فقد كان في ذلك الوقت بلغ خمسين سنة غوثاً والله أعلم ولكن

" من تواضع دون قدره رفعه الله فوق قدره "[1] انتهى.

" كلَّما دفنت نفسك أرضاً سما قلبك سماءً سماء "[2] انتهى.

" أدفن وجودك في أرض الخمول فما نَبت مِمَّا لم يُدفن لا يتم نِتاجُه "[3].

" طريقتنا هذه لا تصلح إلَّا لقوم كُنِست بأرواحِهم المَزابل "[4] انتهى.

" وإسقاط المنزلة شَرطٌ في هذا الطريق "[5] انتهى.

" تحقَّق بأوصافك يمُدُّك بأوصافه "[6] انتهى الى غير ذلك.

قال " فاستخرت الله أيضاً تلك اللَّيلة فبت قوي العزم عليه ولم يأخذني في النَّوم أيضاً الى الصباح، صلَّيت الصُّبح وقصدته لزاويته أيضاً فوجدتهُ على حاله يشطب الزَّاوية ﷺ فدقيت الباب ففتح لي وقلت

" تأخذ بيدي لله "

قال فقبض على يدي وقال لي

" مرحباً بك "

وأدخلني لموضعه بالزَّاوية وفرح بي غاية الفرح وسُرَّ غاية السُّرور فقلت له

" يا سيِّدي كم لي أفتش على شيخ مرشد "

فقال

" وأنا كم لي أفتش على مريد صادق "

فلقَّنني الورد

---

[1]. ايقاظ الهمم في شرح الحكم لابن عجيبة

[2]. ايقاظ الهمم في شرح الحكم لابن عجيبة

[3]. ايقاظ الهمم في شرح الحكم لابن عجيبة

[4]. ايقاظ الهمم في شرح الحكم لابن عجيبة

[5]. الأقوال في ايقاظ الهمم في شرح الحكم لابن عجيبة

[6]. الأقوال في ايقاظ الهمم في شرح الحكم لابن عجيبة

وهو أستغفر الله مائة مرة، واللَّهم صلِّي على سيِّدنا مُحمَّد النبي الأُمّي وعلى آله وصحبه وسلِّم تسليماً مائة مرَّة، ولا إله إلَّا الله ألف مرَّة، وعند انتهاء كل مائة سيِّدنا مُحمَّد ﷺ وعلى آله، وقال لي رضي الله عنه

" هذا عندنا من طريق أهل الظَّاهر السَّادات الناصريين رضي الله عنهم ".

ولقنني الاسم الأعظم أسم الجلالة

" الله "

بكيفية جليلة وقال لي

" هذا عندنا من طريق أهل الباطن السَّادات أولاد بن عبدالله بالمخفية وهم عن السَّادات الفاسيين عن الشَّيخ المجذوب "

وقال لي حين فرِغ مِن هذا كُلِّه أمش وجيء، فكنتُّ أمشي وأجيء كل يوم فيذكِّرني مع بعض الإخوان من أهل فاس حرسها الله فنفعني تذكيره والحمد لله والشُّكر لله ولم يغشمني عالم بعلمه ولا سُنِّي بسنته ولا بدعي ببدعته إذ عرفت مَن هو على حال الذُّل ومَن هو على حال الغفلة لأن الناس منهم مَن هو على عبادة كثيرة وهم مع كثرة عبادتهم غافلون، ومنهم مَن قلَّت عبادتهم وهم مع قلة عبادتهم ذاكرون لأنهم تمسَّكوا بِلُبِّ العبادة وهو الأعراض عن الدُّنيا وعن كُل مالا يعني وأخلصوا أمرهم لله" انتهى.

مسألة. قال تاج الدِّين رضي الله عنه في الحِكم[1]

" ما قلَّ عَملٌ برز مِن قلب زاهد ولا كثُر عملٌ برز مِن قلب راغب " انتهى.

" والأعمال صور قائمة وأرواحها وجود سر الاخلاص فيها " انتهى.

[1]. الحكم العطائية ابن عطاء الله

" ومَن علامة الاعتماد على العمل نقصان الرجاء عند وجود الزلل" انتهى.

﴿ لا يستوي الخبيثُ والطَّيب ولو أعجبك كثرة الخبيث ﴾[1].

قال رجُل لأبي حازم ﷺ

" ما لنا أكثر أعمالاً مِن أصحاب رسول الله ﷺ وهم أفضل مِنَّا أو كما قال "

قال له

" نعم لأنهم كانوا أزهد في الدنيا " انتهى.

وقال بعض الصحابة ﷺ

" تتبعنا الأعمال كلها فلم نرى في أمر الآخرة أفضل من الزهد في الدُّنيا " انتهى .

وقال أُستاذنا صاحب الترجمة ﷺ

" ما نفع القلب شيء مثل الزُّهد في الدُّنيا والجلوس بين يدي الأولياء " انتهى.

قال

" وكان أُستاذي سيّدي علي ﷺ راسخ القدم في هذا المعنى لا يُبالي بنفسه بل كان لا يُسيرها إلّا على ما تكرهه ويثقل عليها مع فنائها وزوالها واضمحلالها وذهابها اثباتاً للأصول وتبصرة لمريدي الأصول "

قال

" وكان مع جلالة قدره وفخامة أمره يسأل القراريط بفاس مَن حانوت الى حانوت كالمضطر الكبير قال وقد عاش جُلّ عُمره غوثاً والله على ما نقول وكيل " انتهى.

---

[1]. المائدة ١٠٠

فصل في كيفية ذكر الأسم

قال أُستاذنا ﷺ

"كنتُ أُلهِمتُ الى ذِكر هذا الاسم توفيقاً مِن الله مِن غير واسطة، وكُنتُ أذكُرهُ بكيفية وقّفتُ عليها لإمام هذه الطَّريقة الشَّيخ الشَّريف سيِّدي أبي الحَسن الشَّاذلي ﷺ في بَعض الكُتب، لكن الَّتي علَّمني أستاذي الشَّريف سيِّدي مولاي علي الجَمل ﷺ أقربُ وأصوبُ منها والله أعلم، وهي أن نُشَخِّص حُروفهُ الخَمس بينَ عيني وَقت ذِكره ومعنى الألف و اللّامان والألف المحذوفة والهاء مِن غير أن نَرسُم ذلك بِحائط أو حَجر أو خَشب أو غير ذلك وإنما أستحضره وأُشَخِّصهُ بقلبي فقط، ومَهما زَهقتُ عَن تَشخيصهِ رَجعتُ اليهِ سَريعاً وَلَو زَهقتُ عنهُ ألَف مرَّة بالسَّاعة رَجعتُ اليه مِثل ذلك.

وقال لي أستاذي ﷺ وفائدةُ هذا التَّشخيص واستحضار هذه الحروف بالقَلب معَ ذِكر اللِّسان بالاشباع سِراً هي حَصرُ القلب وسِجنِه عَن الخَوضُ في الحِسِّ، فإن ثَبتَ على هذا الأمر بنظافةِ البَدن والثِّياب والمَكان واللِّسان والبَطِن والجَوارح كُلِّها مع الاعظام حالَ الذِّكر والأجلال والسَّكينة والوَقار والحالة السَّنية والاعتماد على الله، فإن مادة الحِسِّ وهو عالَم المُلك تَضعُف عنها لا مَحالة وتَتقوّى مادة المَعاني وهو عالَم المَلكوت، فتأتيك علومٌ وَهبيَّة وأنوار غَيبيَّة فلا تَقِف مَعها ولا تَلتفِت اليها بَل أعرِض عنها بما كُنتَ تَعرض عَن الحسِّيات قَبلها لأنَّ تلك العُلوم والأنوار قَد قَطعت كثيراً مِن أهلِ الطَّريق عَن الوصول الى غايةِ التَّحقيق". انتهى

قالَ في الحِكَم[1]

" رُبَّما وَقفت القُلوب مع الأنوار كما حُجَبت النُّفوس بكثائفِ الأغيار "

انتهى.

[1]. الحكم العطائية لابن عطاء الله.

وقالَ الشّيخ أبو الحَسن الشُّشتري رضي الله عنه[1]

وقد تَحجُب الأنوار العَبد مِثلَ ما تَقيَّد مِن اظلام نفسٍ حَوَتْ ضِغناً

والنُّور جُندُ القلب كما أنَّ الظُلمة جُند النَّفس وهُما لِمن وَقفَ مَعهُما حِجاب كلاهُما لأنهُما كونان مُكوَّنان " انتهى.

وقد قالَ تاج الدِّين[2]

" لا تَرحل مِن كونٍ الى كون فتكون كحِمار الرَّحا يَسيرُ والمكان الَّذي ارتحلَ اليهِ هو الَّذي ارتحلَ عنهُ ولكن أرحل مِن الأكوان الى المُكوِّن " ﴿ وانَّ الى رَبِّكَ المُنتهى ﴾[3] انتهى.

وقالَ أيضاً

" مَا أَرَادَتْ هِمَّةُ سَالِكٍ أَنْ تَقِفَ عِنْدَمَا كُشِفَ لَهَا إلاَّ وَنَادَتْهُ هَوَاتِفُ الْحَقِيقَةِ الَّذِى تَطْلُبُ أَمَامَكَ وَلاَ تَبَرَّجَتْ ظَوَاهِرُ الْمُكَوَّنَاتِ إلاَّ وَنَادَتْه حَقَائِقُهَا " ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ ﴾[4] انتهى.

حكاية وقالَ الشَّيخ عثمان بن عاشور رضي الله عنه

" قد خرجتُ مِن بغداد أريد الموصل فأنا أسير فإذا بالدُّنيا قد عرضت عليَّ بعزِّها وجمالها ورفعتها ومراكبها وملابسها ومزيناتها ومشتهياتها فأعرَضتُ عنها فعُرضت عليَّ الجنَّة بحورها وقصورها وأنهارها وأثمارها فلم أشتغل بها ولم ألتفت اليها فإذا عليَّ يُقال لي يا عثمان لو وقفت مع الأولى

---

[1]. ديوان الشُشتري

[2]. الحكم العطائية لابن عطاء الله

[3]. النجم ٤٢

[4]. البقرة ١٠٢

لحجبناك عن الثانية ولو وقفت مع الثانية لحجبناك عنَّا فهما نَحراك، وقِسطك مِن الدَّارين يأتيك " انتهى.

وقال الشَّيخ الشُّشتري رضي الله عنه[1]

فلا تلفت في السير غيراً وكلما	سوى الله غيرٌ فاتخذ ذكره حصناً
وكل مقام لا تقم فيه إنه	حجاب فجد السير واستنجد العونا
ومهما ترى كل المراتب تجتلي	عليك فَحُل عنها فعن مثلها حُلنا
وقل ليس لي في غير ذاتك مطلب	فلا صورة تجلى ولا طرفة تجنا

قال أستاذنا رضي الله عنه

" فكنت أذكر هذا الاسم الأعظم بهذه الكيفية الجليلة المذكورة ما يقرب مِن الشَّهر فتنتج بها فكري، ونرى والله أعلم أنَّ الفكر ينتج بها من الصباح الى المساء إن كان العزم قوياً ولا شكَّ أنَّ الفكر إن حصل لأحد ولو بعد سنة أو سنتين أو أكثر فقد حصل على خير كبير إذ جاء في الخبر

" تفكر ساعة أفضل مِن عبادة سبعين سنة "[2]

قال فكانت تأتيني علوم وهبية كموج البحر ولا جرم أنَّ لكل أحد أحد منها مثل ما للبحر من الأمواج أو أكثر، لكن الحس استولى عليهم وأخذ قلوبهم وجوارحهم وتركهم بكمٌ عميٌ فهم لا يعقلون ولم يتركه إلَّا النادر من النَّاس ولا حول ولا قوة إلَّا بالله ".

---

[1]. ديوان الششتري

[2]. أخرجه ابْن حبَان فِي كتاب العظمة من حَدِيث أبي هُرَيْرَة بِلَفْظ سِتِّينَ سنة بِإِسْنَاد ضَعِيف وَمن طَرِيقه ابْن الْجَوْزِيّ فِي الموضوعات وَرَوَاهُ أَبُو مَنْصُور الديلمي فِي مُسْند الفردوس من حَدِيث أنس بِلَفْظ «ثَمَانِينَ سنة» وَإِسْنَاده ضَعِيف جدا وَرَوَاهُ أَبُو الشَّيْخ من قَول ابْن عَبَّاس بِلَفْظ «خير من قيام لَيْلَة» كتاب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال للمؤلف علاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري الشاذلي الهندي البرهانفوري ثم المدني فالمكي الشهير بالمتقي الهندي (المتوفى: ٩٧٥هـ)

قال ﷺ

" فكنت لا أقبل تلك العلوم ولا ألتفت اليها بل نعرض عنها كما كانت حالي معها في الحس واشتغل بذكر الاسم وبتشخيص حروفه، حتى أتتني ذات ليلة بقوله تعالى

﴿ هو الأوَّل والآخِر والظَّاهر والبَاطن ﴾[1]

فأعرضت عنها فلم تتركني هي ولم تقبل اعراضي عنها بل تسلَّطت عليَّ تسلُّطاً كبيراً وقالت ما معنى قوله تعالى

﴿ هو الأوَّل والآخِر والظَّاهر والبَاطِن ﴾ ؟

فلمَّا لم تتركني ولم نجد بُداً من ذلك قلت لها قوله تعالى هو الأوَّل والآخِر والبَاطِن فقد فهمته حقاً، وأمَّا الظَّاهر فلا نرى ظاهراً إلَّا المكونات، فقالت لي حينئذٍ فلو كان المُراد بقوله والظَّاهر خلاف ما ترى لكان باطناً ولم يكن ظاهراً وأنا أقول لك والظاهر والباطن، فهزمتني بسطوتها وغلبتني بعنايتها إذ لم تبق لي حجة قط عليها فتحققت بأن لا موجود إلَّا الله وليس في الاكوان إلَّا إيَّاه والحمدُ لله والشُّكر لله، فأخبرت أستاذنا بهذا ففرح بي غاية الفرح وسُرَّ بي غاية السُّرور وعاد يتكلَّم معي في التوحيد الخاص ولا يبالي، وقد كان مِن أهل التوحيد الخاص كَولي الله تعالى سيّدي الشُّشتري ونُظرائه والله ما نقول وكيل " انتهى.

---

[1]. الحديد ٣

فصل أعلم علَّمنا الله وإيّاك من عِلمهِ المكنون وأطلعنا على غيب سره المصون

أن هذا المعنى الذي لاح لأستاذنا ﷺ هو غاية المطلوب ونهاية المحبوب والمرغوب، وذروة الكمال ورفعة الآمال، ومَحط رِحال المُسافرين وأمنية القاصدين والطَّالبين، ومَوضع استقرارهم ومَطمح نَضرهم، والقبلة التي اليها يتوجَّهون والسِّدرة التي اليها يَعرجون ويَنتهون، ولأجلها جَعلوا الرياضات وخَرقوا العادات وخالفوا الشَّهوات ولم ينظروا للمُستحسنات وأيتموا البَنين والبَنات، وتَركوا الأزواج أرامِل ولَم يلتفتوا للمُرضع ولا لِلحامل، وبَذلوا النُّفوس والأموال واستلذُّوا ما يَلقونهُ مِن جَميع الأذى والأهوال، وسَار كُل واحد على حسب ما سَبق به العِلم وحَكَم الباري وحَتم

" إذ ما تَجلَّى لولي مثل ما تجلَّى به لآخَر في صورة واحدة لشخصين ولا في صورة واحدة مرتين "[١] انتهى.

قاله الشَّيخ محي الدِّين

﴿ والله واسعٌ عليم ﴾[٢]

فعبَّر كُلُّ واحد على قدر ذوقه وشربه وما استولى على سويداء لبُّهِ

عباراتنا شتَّى وحسنك واحدُ   وكلُّ الى ذاك الجمال يُشيرُ [٣]

وقول الششتري[٤]

١. " ما تجلى في صورة واحدة مرتين ولا في صورة واحدة لشخصين " الفتوحات المكية لابن العربي

٢. البقرة ٢٤٧

٣. القول لمولانا جلال الدين الرومي

٤. ديوان الششتري

يسقى بماءُ واحد   والزَّهر ألوان

فلذلك اختلفت العبارات وتباينت الرُّموز والإشارات فمنهم مَن صرَّح باسم المعنى ومنهم من عدل للتَّورية واللَّقب والكُنى

﴿ تُسقى بماءٍ واحد ونُفضِّلُ بَعضها على بعضٍ في الأُكل﴾[1]

قال في الحِكم [2]

" ربما عبَّر عن المقام مَن استشرف عليه، وربما عبَّر عنه مَن وصل إليه، وذلك ملتبس إلَّا على صاحب بصيرة " انتهى.

وقال أيضاً

" عباراتهم إمَّا لفيضان وجد، أو لقصد هداية مريد، فالأول حال السالكين والثَّاني حال أرباب المَكِنة والمحققين " انتهى.

وما أخبر به شيخنا عن ما فاجأه من وارد الحق تعالى في ابتداء أمره هو حقيقة المراد وعين فيضان التوفيق والإرشاد فكل حقيقة ترجع اليه، إذ هو مأخوذ من الكتاب الذي لا يعول إلَّا إليه، قال مولانا جلَّ ثناؤه وتقدَّست صفاته وأسماؤه

﴿ فذلكُم اللهُ ربُّكم الحقُّ فما بعد الحقِ إلَّا الضَّلال ﴾[3]

﴿ ذلكَ بأنَّ الله هو الحقُّ وأنَّ ما تدعون مِن دونه هو الباطِل ﴾[4]

﴿ وقُل جاءَ الحقُّ وزهق الباطل إنَّ الباطل كان زهوقا ﴾[5]

﴿ كلُّ شيءٍ هالكٌ إلَّا وجهه ﴾[1]

---

[1]. الرعد ٤

[2]. الحكم العطائية لابن عطاء الله.

[3]. يونس ٣٢

[4]. الحج ٦٢

[5]. الاسراء ٨١

﴿ كلُّ مَن عليها فانٌ ويبقى وجه ربِّك ذو الجلال والإكرام ﴾[٢]

﴿ قُلِ الله ثُمَّ ذَرهُم في خَوضِهم يَلعبون ﴾[٣]

﴿ وهو الله في السَّموات وفي الارض ﴾[٤]

﴿ هو الأوَّل والآخر والظَّاهر والباطِن ﴾[٥]

الى غير ذلك من الآي العظام.

وقال ﷺ أصدق بيت قاله الشَّاعر[٦]

أَلَا كُلُّ شيءٍ ما خلا الله باطِل وكُلُّ نَعيمٍ لا مَحالةَ زائل

وقال ﷺ

" ما رأيتُ شيئاً إلَّا رأيتُ الله فيه "

وقال أستاذنا

" ومُحال أن يُرى ربُّنا سُبحانه ويُرى معهُ سِواهُ كما عليه سائرِ أهلِ التَّحقيق ولا يَدريهِ مَن ليسَ لهُ قدمٌ في الطَّريق " انتهى.

وقال بعضهم[٧]

مُذ عرفتُ الإله لم أرى غيراً وكذا الغيرُ عندنا ممنوعُ

مُذ تجمَّعتُ ما خشيتُ افتراقاً وأنا اليوم واصلٌ مجموعُ

قال أستاذنا

---

١. القصص ٨٨

٢. الرحمن ٢٦-٢٧

٣. الانعام ٩١

٤. الأنعام ٣

٥. الحديد ٣

٦. مسند أحمد

٧. ايقاظ الهمم لابن عجيبة

" معناه والله أعلم مُذ عرفتُ ربي سبحانه معرفة أهل الشُّهود والعيان لا معرفة أهل الدَّليل والبرهان لم أرى حينئذٍ في كل شيءٍ شيء إلَّا هو كما رآهُ ﷺ.

قال وقوله أيضاً مُذ تجمَّعت الخ، معناه والله أعلم

"منذُ رأيتُ الوحدة في الكثرة ما خشيتُ أن أرى الكثرة في الوحدة كما كان شأني قبل أن نشاهد ربي في كل شيء شيء ".

قال

" ولا شكَّ أنَّ لا موجود إلَّا الله إنما الوهم حجبنا عن شهوده والوهم باطِل " انتهى.

قال تاج الدِّين في الحِكم

" ولو انهَتكَ حجاب الوهم لوقع العيان على فقد الأعيان ولأشرق نور الإيقان فغطى وجود الأكوان " انتهى.[1]

وقال أيضاً

" ما حَجبكَ عَن الله وجود مَوجود معهُ إذ لا مَوجود معهُ وإنما المَحجوب أنتَّ عَن النَّظر اليه، إذ لو حَجبهُ شيء لَسترهُ ولَو سَترهُ شيء لَحصرهُ وكُلُّ حاصرٌ للشيء فهو له قاهر" وهو القاهر فوق عباده "[2] انتهى.[3]

قال رسول الله ﷺ

" **كان الله ولا شيء معه وهو الآن على ما عليه كان**"[4].

---

1. ايقاظ الهمم في شرح الحكم لابن عجيبة
2. الأنعام ١٨
3. الحكم العطائية لابن عطاء الله السكندري
4. نوادر الاصول في شرح احاديث الرسول للحكيم الترمذي المتوفى ٣٢٠ هجرية

قال فلا يتصوروا في عقولكم وجود موجود مع الله إذ ليس مع الله سوى الله كما عليه كافة أهل التَّحقيق ولا يدريه مَن ليس له قدم في الطَّريق كما قلنا.

وقال السِّيد المجذوب ﷺ

غيبت نظري في نظره   وفنيت عن كل فان
حققت ما وجدت غيره   وأفنيت في الحال هان

ثم قال

" فأهل العلم بالله لا يفرِّون من الأشياء كغيرهم إذ هم يشهدون ربهم في كل شيء وغيرهم يفرُّون منها إذ هم لَطف الله بهم محجوبون بشهود الأكوان عن شهود المُكوِّن كما إن أهل العلم محجوبون بشهود المُكوِّن عن شهود الأكوان "[1] انتهى.

قال ولذلك قال الشَّيخ الجليل سيِّدي ابن عطاء الله ﷺ في حكمه[2]

" إنما يستوحش العباد والزهاد من كل شيء لغيبتهم عن الله في كل شيء فلو شهدوه في كل شيء لم يستوحشوا من شيء " انتهى.

قال

" والمشاهدة بالبصيرة لا بالبصر، ومَن زعم أنَّ الاشياء تمنع منها فليس له علم بها، إذ لا مانع منها إلَّا الوهم والوهم باطل ولو ذهب لوجد كل شيء وسيلة الى الله ولا وسيلة اليه سواه "[3] انتهى.

" **عرفت ربي بربي ولولا ربي ما عرفت ربي** "[1].

---

1. رسائل مولاي الدرقاوي ص١٣٦.
2. شرح الحكم العطائية للشرنوبي.
3. كتاب بشور الهدية في مذهب طريق الصوفية لمولاي الدرقاوي.

قال بعضهم

" لو كُلِّفت أن أرى غيره لم أستطع فإنه لا غير معه حتى أشهده معه "[٢] انتهى.

وقال الشَّيخ الشَّريف أبو الحسن الشَّاذلي ﷺ

" أبا المحققون أن يشهدوا غير الله لمَّا حققهم من شهود القيومية واحاطة الديمومية "[٣] انتهى.

وقال آخر[٤]

الله قل وذر الوجود وما حوى   إن كنت مرتاداً بلوغ كمالـه

فالكل دون الله إن حققته   عدم على التفصيل والإجمال

واعلم بأنك والعوالم كلها   لولاه في محو وفي اضمحلال

من لا وجود لذاته من ذاته   فوجوده لولاه عين محال

فالعارفون فنوا ولمَّا يشهدوا   شيئا سوى المتكبر المتعال

ورأوا سواه على الحقيقة هالك   في الحال والماضي والاستقبال

وقال الشَّيخ الجليل أبو زيد سيِّدي عبد الرحمن بن مُحمَّد الفاسي[٥] الشَّهير بالعارف بالله في شرحه للحزب الكبير ناقلاً عن بعضهم

---

١. كتاب مدارج السالكين لابن القيم " وقيل لذنون المصري " بم عرفت الله ربك " قال " عرفت ربي بربي ولولا ربي ما عرفت ربي "

٢. ايقاظ الهمم في شرح الحكم لابن عجيبة

٣، البحر المديد في تفسير القران المجيد ج٤ ص٣٣

٤. القول لأبي مدين الغوث

٥. عبد الرحمن بن مُحمَّد بن يوسف بن عبد الرحمن بن أبي بكر شيخ سيدي مُحمَّد بن عبدالله وتلميذ سيدي ابو المحاسن يوسف الفاسي توفي سنة ١٠٣٦هجرية.

" الحق تعالى مُنزَّه عن الأين والجهة والكيف والمادة والصورة ومع ذلك لا يخلوا منه أين ولا مكان ولا كم ولا كيف ولا جسم ولا جوهر ولا عرض لأنه للطفه سار في كل شيء ولنورانيته ظاهر في كل شيء ولإطلاقه وإحاطته متكيف بكل كيف غير متقيد بذلك ومن لم يذق هذا ولم يشهده فهو أعمى البصيرة محروم عن مشاهدة الحق "[1] انتهى .

قال وقال سيِّدي مُحمَّد بن وفا ﷺ[2]

تعالى الله قيوم البرايا مفيض الكل في الجزء المعيد
تجلَّى في تمثله بوجه تريه في المراد وفي المريد
هو الحق المحيط بكل شيء هو الرحمن ذو العرش المجيد
هو النور المبين بغير شك هو الرَّب المحجب في العبيد
هو المشهود في الأشهاد يبدوا فيخفيه الشهود عن الشهيد
هو عين العيان بكل غيب هو المقصود من بيت القصيد
جميع العالمين له ظلال سجود في القريب وفي البعيد
وهذا القدر في التحقيق كاف فكف النفس عن طلب المزيد

وقال الشَّيخ الجليل الشريف الأصيل أبو مُحمَّد سيِّدي عبد القادر الجيلاني[3] ﷺ ونفعنا ببركاته في العينية المنسوبة اليه بعد كلام تقدَّم

تجلى حبيبي في مرادي جماله ففي كل مرءٍ للحبيب طلائع
فلما تبدى حسنه متنوعا تسمى بأسماء فهن مطالع

---

[1]. ايقاظ الهمم شرح متن الحكم لابن عجيبة
[2]. ايقاظ الهمم شرح متن الحكم لابن عجيبة
[3]. القصيدة في النادرات العينية للشَّيخ عبد الكريم الجيلي

وأبرز منه فيه أثار وصفه فذلكم الآثار من هو صانع
فأوصافه والاسم والأثر الذي هو الكون عين الذات والله جامع
فما ثم شيء سوى الله في الورى ولا ثم مسموع وما ثم سامع
هو الموجد الأشياء وهو وجودها وعين ذوات الكل وهو الجوامع
بدت في نجوم الخلق أنوار شمسه فلم يبق حكم النجم والشمس طالع
حقائق ذات في مراتب حقه تُسمَّى باسم الخلق والحق واسع
ونزهه عن حكم الحلول فما له سوى وإلى توحيده الأمر راجع
وغص في بحر الاتحاد منزها عن المزج بالأغيار إذ انت شاجع
وإياك والتنزيه فهو مقيد وإياك والتشبيه فهو مخادع

الى أن قال

تجمعت الأضداد في واحد البها وفيه تلاشت فهو عنهن ساطع
فيا أحدي الذات في عين كثرة ويا واحد الأشياء ذاتك شائع
تجليت في الاشياء حين خلقتها فما هي ميطت عنك فيها البراقع
قطعت الورى من ذات نفسها قطعة ولم يكُ موصولاً ولا فصل قاطع
ولكنها أحكام رتبتك اقتضت الوهية للضد فيها التجامع
فأنت الورى حقا وأنت امامنا وأنت لما يعلو وما هو واضع
وما الخلق في التمثال إلا كثلجة وأنت بها الماء الذي هو نابع
فما الثلج في تحقيقنا غير مائه وغير آن في حكم دعتها الشَّرائع
ولكن بذوب الثلج يُرفع حكمه ويوضع حكم الماء والأمر واقع

الى آخر كلامه رضي الله عنه وقال آخر [1]

---

[1] . كتاب الكهف والرقيم في شرح بسم الله الرحمن الرحيم عبدالكريم الجيلي

هذا الوجود وإن تعدَّد ظاهراً   وحياتكم ما فيه إلَّا أنتم

وقال آخر[1]

لقد ظهرت فما تخفى على أحد إلَّا على أكمه لا يبصر القمرا

وقال آخر[2]

يا من بدا ظاهر   حين استتر

واختفى باطن   لمَّا ظهر

والحاصل أنهم قد جعلوا في هذا المعنى دواوين شعر ومقطعات ودفاتر نثر ونظم وارجزات لكل مقال ولكل ميدان مجال ولكل نهج رجال، إذ السُكْر وهو العلم بالله والوصول اليه يتجزأ وينقسم في حق العبد على حسب ما أدرك المُدرك مِن التلف في الله والهلك إذ الإسم بالاسم والوَصف بالوَصف والذَّات بالذَّات.

ولذا قيل الفناء ثلاث درجات، وقالوا يفنى ثم يفنى ثم يفنى فكان فناؤه عين البقاء، لكن غايته عندهم الفناء عن الفناء، ومتى شعر بفنائه فذلك عين وجوده وبقائه، قال الشافعي

" والمُكاتب عبدٌ ما بقي عليه أدنى درهم "[3].

قال بعضهم

إن ترد وصلنا فموتك شرطٌ   لا ينال الوصال من فيه فضلة[4]

---

1. ايقاظ الهمم شرح متن الحكم لابن عجيبة
2. ديوان الششتري
3. الحاوي الكبير في مذهب الامام الشافعي
4. ديوان ابو الحسن الششتري

وقال آخر على لسان الحقيقة

ليسَ يُدرك وصالي   كُلُّ مَن فيهِ بقيَّة[1]

فشعاع البصيرة وهو علم اليقين يشهدك قرب الحق منك وعينه يشهدك عدمك لوجوده وحقه يشهدك وجوده لا عدمك ولا وجود

" كان الله ولا شيء معه وهو الآن على ما عليه كان "[2] انتهى.

وقال القوم ﷺ في الفناء أقوالاً منها قول الشَّيخ أبو المواهب التونسي رضي الله عنه[3]

الفناء محو واضمحلال   وذهاب عنك وزوال

ومنها قول الشَّيخ أبو سعيد بن الأعرابي رضي الله عنه[4] لما سُئل عنه

" هو أن تبدوا العظمة والاجلال على العبد فتنسيه الدنيا والآخرة والأحوال والدرجات والمقامات، والأذكار تفنيه عن كل شيء وعن عقله وعن نفسه وفنائه عن الأشياء وعن فنائه عن الفناء لأنه يغرق في بحار التعظيم "[5] انتهى.

---

[1]. ديوان أبو الحسن الششتري

[2]. ايقاظ الهمم شرح متن الحكم

[3]. مُحمَّد بن أحمد بن سلامة البزلتيني التونسي القاهري المالكي الوفائي الشاذلي ولد سنة ٨٢٠ هـ وتوفي بالقاهرة ودفن في مقبرة الشاذلية بالقرافة له ديوان شعر سماه مواهب المعارف .

[4]. أَحْمد بن مُحَمَّد بن زِيَاد بن بشر بن دِرْهَم الْعَنزي" ٢٤٦- ٣٤٠ " هجرية، أحد علماء أهل السنة والجماعة ومن أعلام التصوف السني في القرن الرابع الهجري، قال عنه أبو عبد الرحمن السلمي بأنّه كانَ فِي وقته شيخ الحْرم

[5]. ايقاظ الهمم شرح متن الحكم

وقال الشَّيخ أبن الفارض ﷺ[1]على لسان الحقيقة

فلم تهوني مالم تكن فيَّ فانياً ولم تفن مالا تُجتلى فيك صورتي

قال الشَّيخ الشُّشتري ﷺ [2]

ولم نلف كنه الكون إلَّا توهماً وليس بشيء ثابت هكذا الفناء

وقال

يا أخي افنا تُشاهد كُل سرٍ عَجيب

وقال سيِّدي ومولاي عبد القادر الجيلاني[3] ﷺ ونفعنا به

فأفنَيتُها حتى فَنيتُ وهي لَم تكُن ولكنَّني بالوَهمِ كُنتُّ أطالعُ

الى غير ذلك من أقوالهم ﷺ في هذا المعنى، واعلم وما جهلته فصدِّق به أو سلِّم أن مقام الفناء هو شهود الحق بلا خلق وهو شهود الجمع الصرف بلا شهود ولا شاهد إذ العقل المُفرق للأشياء المميز للإدراكات صاحب المعية والعندية قد ذهب وتلاشى واضمحل بإشراق شمس الأحدية قال مخبرهم وهِمت في سكري ولم أفيقا

﴿ فلمَّا تجلَّى ربُّهُ للجَبل جَعلَهُ دَكا وخرَّ مُوسى صَعِقا ﴾[4].

---

1. أبو حفص شرف الدين عمر بن علي بن مرشد الحموي، أحد أشهر شعراء الصوفية، وكانت لقب بـ "سلطان العاشقين." ولد بمصر سنة ٥٧٦ هـ توفي سنة ٦٣٢هـ.
2. ديوان الششتري
3. القول في النادرات العينية للشَّيخ عبدالكريم الجيلي
4. الاعراف ١٤٣

فصل في السالك والمجذوب

ولا يلزم تقسيم الوصول وتجزئة لكل عارف بتجلِّي الحق وبرُوزه، بَلْ رُبما طُويَت الطَّريق لبعضهِم فبدؤا به بأعلى المَقامات ثُم يَسلكُها تَدلياً، فهذا مَقامُ المُرادين والمَجذوبين وذاك مَقامُ المُريدين والسَّالكين.

قالَ تاجُ الدِّين في حِكَمِهِ[1]

" فأربابُ الجَذب يُكشَف لهُم عَن كمالِ ذاته ثُم يَرُدُّهم إلى شُهود صِفاتهِ ثُم يَرجعهُ إلى التَعلُّق بأسمائهِ ثم يَردُّهم إلى شُهود آثاره، والسَّالكون على عَكسِ هذا، فنهايةُ السَّالكين بدايةُ المَجذوبين لكن لا بمعنى واحد فرُبما التقيا في الطَّريق هذا في تَدلِّيه وهذا في تَرَّقيهِ " انتهى.

فإن قُلت فما معنى قولُك فيبدؤا به بأعلى المقامات وقول تاجُ الدِّين عَن كمال ذاته

" والكمالُ حقيقة وعُرفاً واصطلاحا و مَشهداً ليسَ هو في الجذب الصِّرف والجَمع المَحض، إنما هو في الجَمع بينَ السُّكر والصَّحو والثَّبات والمَحو والجَمع والفَرق وشُهود الحقِّ والخلق والجَذب والسُّلوك " انتهى.

الجواب نعم كما تقول وإنما قُلنا أعلى المَقامات.

وقالَ تاجُ الدِّين كمالُ الذَّات مِن حيثُ انتهاء الفناءات، إذ الاسم والوَصف والذَّات أمرٌ واحد وشيء مُتَّحِد وإنما تَعدَّد بِحسبِ ما أدركَ المُدرك، فَمن فَنى في الاسم دونَ الوَصف والذَّات فهو ناقص، ومَن فنى في الاسم والوَصف دونَ الذَّات فهو ناقِص أيضاً، ومَن أدركَ الاسم والوَصف والذَّات فهو كامل لأنَّ انتهاء العُروج وكمالهِ شُهود الذَّات الأقدَس، فعبَّرنا

---

[1]. الحكم العَطائية لابن عطاء الله

عَن مَن أدركَ الذَّات دونَ الوَصف والاسم بكمال الذَّات مُراعاتاً لكمالِ السَّالك المُترقِّي إذ هو مَسلكُ الجُمهور والجَمُّ الغفير، والنَّادر لا حُكم لهُ وأيضاً ما قَرُب لشيءٍ أعطى حُكمهُ، فَمن كُشف لهُ عَن الذَّات فالوَصفُ والاسمُ وشُهود الأثر بالمؤثر قريبٌ منهُ جداً بَل حولهُ ضربة لازب فشعوره بذلك كالبَرق الخاطِف لأنَّ مُروره بالمَقامات وتَدلِّيه اليها بالله لا بنفسهِ

﴿ **الله يجتبي اليه من يشاء** ﴾[1]

﴿ **الله ولي الذين أمنوا** ﴾[2]

﴿ **وهو يتولى الصالحين** ﴾[3]

" ما توقَّف مَطلبٌ أنتَّ طالبُه بِربِّك، ولا تيسَّر مطلبٌ أنت طالبهُ بنفسك"[4]

نَعم إذا لم يَكُن لهُ خبير ولا تَداركتهُ عنايةُ السَّميع البَصير فذلك غايةُ مَقامهِ في ضَعنه ومَقامه، فكم مِن واحدٍ مات على أنهُ قد يقع الكَمال لبعضِهم في أوَّلِ أمرِهم.

قالَ شيخُ أشياخِنا أبو العبَّاس سيِّدي أحمد اليَمني ﷺ

" ومنهُم يعني مِن الصُّوفية العارفين بالله تعالى مَن يَجِد البقاء في أوَّلِ وهلة وذلك قليلٌ مالَهُ مَثيل " انتهى.

وقد وقَع والحَمدُ لله هذا لأُستاذنا صاحبُ التَّرجمة ﷺ فأوَّلُ ما كَشف الله لهُ عن ذاتِ نَبيِّه ﷺ ، فكانَ ﷺ لا يرى في نفسه في كُلِّ أحدٍ أحد ولا في

---

[1]. الشورى ١٣

[2]. البقرة ٢٥٧

[3]. الأعراف ١٩٦

[4]. الحكم العطائية لابن عطاء الله

كُلِّ شيءٍ شيء إلَّا ذاتُ رسول الله ﷺ لكن بنفسِ ما يراهُ ﷺ يرى الله تعالى رؤية واحدة مُفردة مُتَّحدة

﴿ فضلاً مِن الله ونعمة ﴾[1].

﴿ وأنَّ الفضل بيد الله يؤتيهِ مَن يَشاء ﴾[2].

﴿ وكان فضل الله عليك عظيما ﴾[3].

قال

" والكونُ قد فقدتهُ بالكُلِّية كما هو لا وجودَ لهُ في الأحَديَّة، وكان سُكرهُ مَصحوباً بِصحوهِ وجَمعهُ لا يَحجُبهُ عَن فَرقهِ في شُهود الله وشُهود رَسوله

قال

فَما صَدرت مِنِّي مُصافحة للشَّريعة ولا تَعدَّيت حُدودَها

فهو ﷺ مِمَّن وَجد البقاء أول وهلة وقد كان يتقوّى عليه الحَال بَعض الأحيان لكن لا يُخرجهُ عَن حَدِّ الاعتدال ولا يَنحرِف عَن مَشهدِ الكَمال كُل الانحِراف

قال

كانَ يَتقوّى حالي حتَّى يَكادُ جلدي أن يَتمزَّق وذاتي أن تَتلاشى وتَمتحِق فنقصُد جَماعة أهلِ اللَّعِب واللَّهو كَحَلائلي وأقاربي بقصدِ أن يَضعَف حالي ونتفتَّر في شهودي فإذا به يتقوّى أكثر مِمَّا كانَ عليهِ، فرجعت الى رَبِّي سُبحانهُ فقوَّاني حتَّى جَعلني مِن أهلِ الصَّحو التَّام والسُّكر التَّام جامعاً بينهُما وقوياً فيهما القوة الكبيرة والله على ما نقول وكيل " انتهى.

ومثلُ هذا وقعَ للشَّيخ الشَّريف إمام الطَّريقة وقُدوة قادة أرباب الحقيقة سيِّدي أبي الحَسن الشَّاذلي ﷺ قال

---

1. الحجرات ٨
2. آل عمران ٧٣
3. النساء ١١٣

" قوي عليَّ الشُّهود مرَّة فَضِقتُ ذَرعاً فَقُلتُ إلهي احتَجب عنِّي كما احتَجبتَ عَن خَلقِك، فقال لي لو سألتني بِما سألني به ابراهيم خليلي ومُوسى كَليمي وعيسى رُوحي ومُحمَّد صَفيِّ وحَبيبي لَم أفعل ولكن سلني أن نقوِّيك، قال فسألته فقوَّاني فوَ الله لَو احتجبَ عنِّي طَرفة عين لَمُتُّ " انتهى.

ومِن هُنا قال الشَّيخ أبو طالب المَكِّي ﵁

" حتَّى لو طَلبَ التَّشتُّت بالأسباب لردَّهُ بها ربِّ الأرباب لأنهُم مواجَهون بها ومَسلوك بهم طريقها الخ كلامه في هذا المعنى ﵁ "[١] انتهى

نكتة رقيقة فأنظر يا أخي هذه الأسرار العظيمة والمواهب الكريمة والمملكة الجسيمة التي جعل الله تعالى في كل أحد أحد من الناس كائناً من كان ولكن لا نشعُر، ونَمرُّ بالآياتِ العِظام بُكرةً وعَشيًا ولا نعتبر ونشتغل عنها بالدنيا ونغفل ولا نتذكر، فنفوسنا هي السِّر الأكبر ونحن نجهلها وفيها ومنها غاية المُنى والوطر ونحن نهملها، قال عليه الصَّلاة والسَّلام

" **مَن عَرف نَفسهُ عَرفَ ربَّه** "[٢]

واسمَع بَعض القول مِمَّن عَرَفها حقيقة، قالَ الشَّيخ ابن البنا ﵁ في مَباحثِهِ بعد كلام[١]

---

[١]. " ولربما طلب أحدهم التسبب بالأسباب فيجمعه به رب الأرباب لأنه مراد بالاجتماع، وإنما استروح بالشتات لاستجمام ما هو في قلبه آت ثقة منه بحبيبه وتمكناً عند محبوبه إذ قد علم أنه طالب فطرح نفسه ليحمله فحمله بما تولاه ولم يكله إلى نفسه وهواه، فهذه مقامات لأهلها لا يعرفها سواهم ولا تصلح إلاّ لهم ولا تليق إلاّ بهم ولا يقاس عليها ولا يدعى مكانها ولا تنتظر فتترك لها الأوراد ولا تتوقع فيقصر لأجلها في الاجتهاد، و المرادون بها محمولون بها مواجهون بعلمها مسلوك بهم طريقها مزوَّدون زادها وهي محبوسة عليهم مقصورة لهم فهم لها سابقون " نص كتاب قوت القلوب ص ١٢٨.

[٢]. هذا ليس بحديث وإنما هو من كلام يحيى بن معاذ الرازي

كم أنت ذو وسائد عراض لاهٍ عن الجوهر بالإعراض

فأنت لست من قبيل الأرض حتى إذا رميت بها تمضي

اعقِل فأنت نُسخة الوجود لله ما أعلاك من موجود

أليس فيك العرش والكرسي والعلم العلوي والسفلي

ما الكون إلّا رجل كبير وأنت كون مثله صغير

وقال الشَّيخ أبو العباس المرسي رضي الله عنه[٢]

يا تائها في مهمه عن سره انظر تجد فيك الوجود بأسره

أنت الكمال طريقة وحقيقة يا جامعاً سر الاله بأسره

وقال تلميذه تاجُ الدِّين رضي الله عنه[٣]

" جَعلكَ في العالَم المُتوسِّط بينَ مُلكهِ ومَلكوتهِ ليُعلِّمك جلالة قَدرِك بينَ مَخلوقاته وإنك جوهرة تُطوى عَليك أصداف مُكوناته " انتهى.

" إنما وَسعك الكونُ مِن حيثُ جثمانيتك ولَم يَسعك مِن حَيثُ ثُبوت رَوحانيتك " انتهى.

" أنتَّ معَ الأكوانُ ما لم تَشهد المُكوِّن فإذا شَهدتَّهُ كانت الأكوانُ مَعك" انتهى.

" سُبحان مَن سَترَ سِرَّ الخُصوصية بِظهورِ وَصفِ البَشريَّة وظَهَّر بِعظمة الرُّبوبية في اظهارِ العُبودية " انتهى.

---

١. القصيدة من الفصل الرابع في الرد على من ردَّهُ

٢. ايقاظ الهمم شرح متن الحكم

٣. جميع الأقوال الأربعة من كتاب الحكم العطائية لابن عطاء الله

وقال الشَّيخ الأعظم مولاي عبد القادر ﷺ [1] ونفعنا ببركاته

آنيَّاتُك اللَّاتي هي القصد والمنى   بها الأمر مرموز وحسنك بارعُ

ونفسك تحوي بالحقيقة كل ما   أشَرتُ بِجدِّ القول ما أنا خادعُ

وقال الشَّيخ الشُّشتري ﷺ[2]

الخُبر مِنكَ والخَبر   والسِّرُ عِندك

أرجِع لذاتك واعتبِر   ما ثَمَّ غيرُك

وقال استاذنا الشريف صاحب الترجمة ﷺ بعد كلام تقدم في هذا المعنى

" **وقد قيل أن لله ثمانية عشر ألف عالم كل عالَم كعالمنا** "[3] انتهى.

هذا كما هو في " **حلية الأولياء** " عند الشَّيخ الإمام الحافظ أبي نُعيم الأصبهاني ﷺ [4]

" والكل قد انطوى في الانسان وهو لم يشعر إلَّا مَن تولَّاه الله فغطَّى وصفُه بوصفِه ونعتُه بنعتِه وقد تولى الله سبحانه وتعالى كثيراً من عباده ولا زال يتولَّاهم الى خاتمتهم ﷺ " انتهى.

فهذا الكلام وإن طال فلا تنسبه إذ لا يخلوا والله أعلم من فوائد وغنى لم تفهمه، ولا تشك أن مرادنا من هذه الورقات الاختصار لواجب الجَهل منَّا

---

1. القول في النادرات العينية للشَّيخ عبدالكريم الجيلي
2. ديوان الششتري
3. رسائل مولاي الدرقاوي ص٤٩
4. أبو نعيم الأصفهاني ٣٣٦- ٤٣٠ هجرية، المؤرخ والرحالة أبو نُعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى ابن مهران مواليد أصفهان وصاحب كتاب حلية الأولياء.

بحقائق استاذنا وعدم الاطلاع والاستبصار، لكن قصدي أن نهيج سماسرة العلماء وفصحاء الحكماء بقطع هذه المفاوز القفار وللسباحة في لجَّة هذا البحر إذ هو بحر زاخر تحيَّر في كنه حقيقته الأوائل والأواخر وإن فهمت ما تلونا عليك وعلمت أن الغائب عنك هو الحاضر لديك فأعلم أن الله قد تولَّاك ما ودَّعك ولا قلاك إذ هو الكريم سبحانه ولا علينا إلَّا فضله واحسانه.

الباب الثَّالث في سلوكه طريقة الصُّوفية وما حلَّ مِن المَناهل العذب الصَّفية وفيه فُصول تُنبئ بقواعد الاصول وتُعرِّف عن أوَّل مَدارج الارتقاء والوصول

أعلم سلك الله بنا وبك سبيل العارف وحملنا وإيَّاك في سفينة هذا الرئيس الماهر العارف، أن هذا العارف هو كهف الاسلام وملاك الأنام وملجأ الخاص والعام، والولي الشَّهير والصِّديق الكبير، والعارف الكامل والمحقق الواصل، المشاهد للأحدية المتلاشي في عظمة الذَّات العليَّة، المُتمكِّن الراسخ الطود الشامخ، الكامل في الشَّريعة والحقيقة، غاية الكمال والبالغ فيهما مبلغ كبراء فحول الرجال، الوارث الجامع المربي النافع، الداعي الى الله بحاله ومقاله الجامع عليه في وصفَي جلاله وجماله، حجة المريدين ومحجة المسترشدين، جبل السُّنة والدين وعَلم المتقين والمهتدين، الواضح الآيات اللائح في العالم البراهين البينات، خليفة الرحمن هو نادرة الزمان، وإني لا استوفي أبد الآبدين نعت قشر نواته فأحرى لآله وجوهراته، لأني كلَّما تذكرت فضيلة وجدتُّ فضائل أخرى، وكُلَّما تدبَّرت منه لطيفة جاءت لطائف تترا، ولو كان من يكون معد من أول الزمان الى هلُمَّ جرا، لأنَّ مَن كان بالله وتخلَّق بأخلاق الله شمائله لا تعد وديمة قطر سحابه لا تنحصر ولا تُحد، وإن لم نكن نحن من خيل هذا الميدان ولا مِمَّن بسطت له في الأخذ والعطاء اليدان، فَحَولَ حِماهُ نَحوم ولِعُرفِ نَشره الفاتح نروم، فأنت كن كما قال القائل

خذ ما دنى إن فاتك الأجل   إن لم يصبها وابل فطل[1]

[1]. كتاب جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض ابي العباس التيجانية للمؤلف علي حرازم المغربي

مع أني أجزم بأن مَن أكثر مضغ خير حديثه استلذَّ طعم قديمه وحديثه ونال خيره ودخل ديره، وعلق منه بفائدة تكون إن شاء الله منفعتها عليه صادرة عائدة، على أن قصدنا مِن ذكر هذا الابراهيمي المنيب إلَّا مرآة التَّعرُض لنفحات الله لقوله عليه الصَّلاة والسَّلام

" **إنَّ لربكم في أيام دهركم لنفحات ألا فتعرَّضوا لها لَعلَّهُ أن يُصيبكم نفحةٌ منها فلا تَشقون بَعدها أبداً** "[١] انتهى.

ولا غرو إن ذكر شيخ هذا الإمام الصدر الهمام وذكر أمثاله هو تعرُّض للنفحات واستنزال للرحمات والبركات لا أحرمنا الله من ذلك، ولتتبين لك مواهبه وتجلياته وأحواله ومقاماته وموافقاته ومنازلاته من كل ما أنسبُه اليه ونحكم به عليه، إذ لا نُسمِّي إلَّا قضايا مُنبئة عنه وجزئيات أو ما قاله أو سمعته منه من بعض الحكايات وفهمته على قدري وتصرَّفتُ فيه بحسب بلوغ صدره، فما كان من صواب منِّي فسيِّدي أكبر من ذلك بأضعاف مضاعفة، وما كان مِن خطأ فهو بريء منه وبعيد عنه والله تعالى يُبرئ ذمتنا منه ومن غيره فكل واحد يَصف المعالي على قدر وسعه.

حكاية. وقد قيل أن رجلاً كان ماهراً في صنعته البرادع فدخل في قلبه حب الله فقال

" يا ربِّ لو عرفت حمارك أين هو لجعلت له بردعة جيدة لم نجعلها لحمار أحد "

فأراد سيِّدنا موسى عليه السَّلام أن يبطش به وزجره ونهره فنهاه الله عنه وقال له

---

[١]. جامع الأسانيد والسنن ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي .

" **دعه يا موسى فإنه عظَّمني على قَدر وسعهِ** "

ولعلَّنا مثل هذا الرجل فياليتنا لو شكر الله سعينا كما شكره ولكن

﴿ هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾[1]

﴿ أم هل تستوي الظلمات والنور ﴾[2]

﴿ وما يستوي الأحياء ولا الأموات ﴾[3]

﴿ ولا الظل ولا الحرور﴾[4]

أو الألكَن والفصيح والسَّقيم والصحيح لا والله، وأيضاً الحال وارد ربَّاني ونازل صَمداني مَحلُّه القلب لا يَصِفُه إلَّا واجدهُ ولا يذوق طعمه إلَّا ناهله ووارده، بل قالوا

" العارف فوق ما يقول والعالم دون ما يقول "

لا يعرف الشوق إلَّا من يكابده   ولا الصبابة إلَّا من يقاسيها[5]

" وأهلُ مكة أعرف بشعابها "

فعلى هذا إذاً لا بأس إن خرجنا لهذا السوق بدرهمنا الزائف ونحتال به احتيال المرجف الخائف ونشتري به القوت لئلا يفوت فينا الفوت

﴿ فابعثوا أحدكم بورقكم هذه الى المدينة ﴾[6] .

---

[1]. الزمر ٩

[2]. الرعد ١٦

[3]. فاطر ٢٢

[4]. فاطر ٢١

[5]. من أقوال الشاعر المتنبي

[6]. الكهف ١٩

فلنرجع لما ترجمنا لأمر سَير استاذنا في بدايته وسلوكه وبيان رواتبه ونسكه، فمعظمها زهداً في الدُّنيا وتجرده منها حِسّاً ومعنىً وتحققه بوصفه ومخالفته لنفسه وتركه للأخف عليها ومتابعته لما يَثقُل عليها، إذ لا يَثقُل إلّا ما كان حقاً وكان أسرع إجابةً وفتحاً كما قال

" وإقباله على الملك الحق وإعراضه عن الخلق لا يبالي بهم سواء مدحوه أو ذمُّوه قائلاً بلسان حاله أو مقاله "

" إن الذي تكرهون مني ذاك الذي يشتهيه قلبي " انتهى.

ومتمسكاً بالفاقة والافتقار مؤثراً للذُّل والاحتقار محذراً لما ألِفهُ الناس مِن الادِّخار، لا يترك مِن عَشاءِهِ لغداءِهِ ولا مِن غَداءِهِ لعشاءِهِ بل يأخذ قدر ما يُقيم به بُنيته وعيالُه ويُخرج الباقي لعباد الله، وهذا مَسلكٌ عظيم مع وصف جسيم لا يَقدر عليه إلّا مَن أقدره الله ولا يَسيرُ عليه إلّا مَن نَبذ نفسهُ وراء ظهره وهواه.

سمِعتُ الأخ في الله والحبُّ في ذات الله العلّامة النحرير الصوفي المحقق العارف المكاشف الكبير ولي الله تعالى أبا العباس سيِّدي أحمد بن عجيبة المنجري الحسيني رحمه الله ورضي عنه[1] يقول

" مكثَ أستاذنا صاحبُ الترجمة على هذه الحال الموصوفة خمسة وعشرين سنة لا يترك مِن عشاءه شيئاً لغداءه ولا من غداءه لعشاءه حتى ما يكون في المصباح من دهن الفتيلة ثقة بالله واعتماداً على الله واعتصاماً به وكانت تأتيه الفتوح من عند الله ولا يأخذ منها إلّا قدر ضرورته وزوجه وأولاده منها جماعة كالطير في وكرها غدواً وأصيلا حتى أتاه الأذن من الله، فكان يأخذ بالله كما كان يترك لله وصار يزيد بكل شيء ولا ينقص

[1]. من أكابر أصحاب مولاي الدرقاوي " ١١٦٠- ١٢٢٤هجرية "

بشيء ويأخذ النصيب من كل شيء ويصفوا بكل شيء ويَفتَرس ولا يُفترس ويجُرُ ولا يُجَر ويأخُذ ولا يؤخَذ ويَملُك ولا يُملَك وهذه عادة الدنيا إنَّ كُلُّ مَن تركها حقيقة لله أخذها بالله كما قال الشَّيخ سيّدي أبو العباس المرسي ﷺ في قوله تعالى

﴿ وما تِلكَ بيمينكَ يا مُوسى قَالَ هيَ عَصاي ﴾[1]

الى قوله تعالى

﴿ خُذها ولا تَخفْ ﴾[2]

" هي دنيا الفقير أمره الله أن يُلقها فإذا ألقاها أمره بأخذها وأعطاه الأمن مِن شرّها أو كما قال " انتهى.

وسَمِعتُ شَيخنا صاحب الترجمة ﷺ يقول في قول بعضهم

" كابدتُ الليل عشرين سنة فتنعمت به عشرين سنة، وقول الآخر كابدتُ القرآن عشرين سنة فتنعمت به عشرين سنة "

" والله لو كابدوا الفقر أقلَّ مِن هذا العَدد لتَنعَّموا به أبد الآبدين " انتهى.

وكانت حاله ﷺ في ابتداء أمره يلبس الخشن كالتليس[3] والدربال[4] والغرارة والكساء الغليظ جداً المخطط بالسواد أو القشابة[5] المقلوبة وحدها

---

[1]. طه ١٧

[2]. طه ٢١

[3]. التليس نوع من السجاد الرخيص خفيف النسج يفرشه الفقراء على الأرض ويستعملونه غطاء

[4]. الثوب المرقع

[5]. لباس تقليدي شهير في شمال المغرب، خصوصا في مدن شفشاون ووزان وطنجة وتطوان. فهو لباس مصنوع من الوبر والصوف وتختلف عن الجلباب بكونها قصيرة الطول ولا تتوفر على أكمام وتلقى رواجا في فصل الشتاء والبرد القارس.

والشاشية[1] البالية المرشوقة بل كان يردفهم أي الشراشي عن بعضها فوق رأسه ثلاثة وأربعة ويحمل على ظهره قَرابين ثلاثة وأربعة، وأما تعرية الرأس والمشي بالحفا والسؤال بالأسواق وغيرها، والجلوس على المزابل مع الحَرَز من النجاسة والرقاد بالطريق وحمل القربة على الظهر واعطاء الماء لله الى غير ذلك من أحوال الملامتية من الأولياء وأفعالهم التي تُبعد من الخلق وتُقرّب مِن المَلك الحق ولا يفعله إلّا المُخلص الذي لا يبالي بنفسه ولا لأبناء جنسه، فكان على كثير منها بل كان على أحوال غريبة ونوافل شاقة على النفوس صفية وسنورد عليك منها شوارد شرذمة انفردت عن جيوش عظيمة من كلامه.

قال ﷺ بعد كلام تقدَّم

" ولا شك أن الصدق يحمل صاحبه على أن يُظهر للناس ما يكرهون منه كأكل الفجل بالسوق أو اللفت أو خز[2] أو البقل أو كباب أو ماح ومليح[3] أو السفنج[4] أو الشوي أو شق عين[5]، ويحب الصادق أن يكون على هذا بمحضر أهل المروءة وهم ينظرون اليه ويتأسفون عليه، ولا يأكله في غيبة عن أهل المروءة أو مع السقاط مثله لئلا يهون عليه ذلك، إذ لا يحب أن يهُون عليه إنما يحب أن يكون كالكلب أو أقل من الكلب، ويحب أن يكشف رأسه أمام مَن ذكرنا وغيره كأقاربه وعشيرته وأحبته ويسأل كالمضطر الكبير قراريطهم أو ما شاء.

[1]. قبعة من السعف يعلوها نسيج حريري على هيئة حبل لأحمر أو أخضر أو أصفر وهي منسوبة الى شاش بلاد ما وراء النهرين

[2]. الجزر بالدارجة المغربية

[3]. الحمص المسلوق بالماء الماء المالح

[4]. نوع من الزلابيا وصانعها سفَّاج

[5]. نوع من أنواع الفطائر

ويُكبِّر اللُّقمة حين يأكل ويفتح فاهُ كثيراً لها، ويلبس القشابة المقلوبة[1] وحين يجلس يمد رجليه ويفرقهما ولا يجمعهما و يكشف عن قرب دبره لا عن دبره بل يترك عورته مستورة حفظاً للشَّريعة المُحمَّدية وليُعلم مَن يراه أنه بعقله، ويسكت عن مَن يتسلَّط عليه مع وجود مَن يكره أن يكون حاضراً ولا يقابله بشيء حتى يشفي غرضه في ذمِّه واذايته، ويلبس الشَّاشية المرشوقة البالية النقية إذ لا شيء أحبُّ الى أهل الصدق من الأسباب التي تسقطهم مِن أعين الناس، فهذا دأبهم وهذا حالهم ولا شكَّ أن الأحوال التي ذكرنا كلُّها نُسك عندنا وهي سيئات عند غيرنا " أنتهى .

وقال أيضاً رضي الله عنه

" فالدربال والسؤال وكشف الرأس والمشي بالحفا والجلوس بالمزابل شرط الحذر من النجاسة والمأكل بالأسواق والرقاد بالطرق وغير ذلك من الأحوال التي عليها بعض الصوفية كأهل طريقنا وغيرهم رضي الله عنهم، لا يدري هل هي حقٌّ أم باطل إلَّا المخلص، ونرى أن الاخلاص هو الذي رمى القوم هنالك إذ هم رضي الله عنهم لا يبالون بأنفسهم قط ولا يختارون حالاً على حال إذ هم غرقى في بحار التعظيم" انتهى.

وقال أيضاً

" لا شكَّ أن أهل الصدق لا ينظرون إلَّا إلى ما بينهم وبين خالقهم، ولا ينظرون الى ما بينهم وبين الخلق قط، كان بعض السَّادات رضي الله عنه يسقي الماء بالأسواق وبعضهم كان يُدلِّل الحمير وبعضهم كان بالمزهر[2] وبعضهم كان يتسوَّق راكباً على حمارته ويردف زوجته خلفهُ ، وقال بعضهم

" طريقنا هذا لا يصلح إلَّا لقوم كنست بأرواحهم المزابل "[3] انتهى .

وقال آخر

---

1. من الألبسة المغربية التقليدية وتشبه البرنوس

2. عود يعزف عليه وهو من آلات الطرب

3. ايقاظ الهمم شرح متن الحكم لابن عجيبة

تمسَّك بأذيال الهوى واخلع الحيا وخلِّ سَبيل النَّاسكين وإن جَلوا[١]

قال

" فعليك أيها الفقير بما يميت نفسك ويحيي قلبك ولا عليك في الناس إن ذمُّوك أو مَدحوك رأوك على ما يكرهون أو على ما يحبُّون قائلاً بلسان حالك ومقالك[٢]

فليتك تحلـوا والحياة مريـرة وليتك ترضى والانام غضاب
وليت الـذي بينـي وبينـك عامـر وبيني وبين العالمين خـراب
إذا صحَّ منك الود فالكل هين وكل الذي فوق التراب تـراب

وقال آخر[٣]

عريان نريد نمشي وأجل شيء
كما مشى قبلي غيلان مي

وسَمِعتهُ يقول

" الذُّل والفَقر وصفان مِن أوصافنا اللَّازمة لنا ومع ذلك يثقُل علينا أن نكون فقراء أذلَّة، ولا طريق الى الحُريَّة إلَّا مِن بابِ الذِّلة والافتقار فعليك بها أيُّها الفقير إن شئتَ أن تفوز وعَن الأكوان تجوز إذ بهما تُفتح الكنوز " انتهى.

قال قائلهم ﷺ[٤]

تذلل لمن تهوى وتكسب عزة فكم عزة قد نالها المرء بالذل
إذا كان من تهوى عزيزا ولم تكن ذليلا له فأقرأ السلام على الوصل

---

١. شرح ديوان ابن الفارض من شرحى الشيخ بدر الدين الحسن بن مُحمَّد البورينى و الشيخ عبدالغنى بن اسماعيل النابلسى

٢. الأبيات لأبو فراس الحمداني

٣. البيت من ديوان الششتري

٤. رسائل مولاي الدرقاوي الرسالة الثامنة والأربعون بعد المائة

وقال آخر[١]

تذلل لمن تهوى فليس الهوى سهل إذا رضي المحبوب صحَّ لك الوصل

وقال آخر[٢]

إذا كنت لم تصبر على الذل في الهوى   تفارق من تهوى وانفك راغم

وقال آخر[٣]

ولو عزَّ فيها الذل ما لذَّ لي الهوى   ولم تك لولا الذل في الحب عزتي

وقال أمامنا سيِّدي الشَّاذلي ﷺ

" والله ما رأينا العز إلَّا في الذُلِّ "[٤] انتهى.

وقال أستاذنا صاحب الترجمة ﷺ

" والله ما رأينا الذُلَّ إلَّا في الفقر فمن أراد أن يذل نفسه فليفقرها من الدُّنيا ومن الناس إلَّا مَن ينهض منهم حاله ويَدلُّ على الله فعاله إذ لا شيء أثقل على النفوس من ذلك " انتهى.

قلت ويكفينا في فضل الفقر وشرفه و فخره قوله تعالى

﴿ إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله ﴾[٥]

وقوله

---

١. البيت لابن الفارض

٢. البيت لابن سهل الأندلسي

٣. قصيدة نظم السلوك لابن الفارض

٤. ايقاظ الهمم شرح متن الحكم لابن عجيبة

٥. النور ٣٢

﴿ **إنما الصدقات للفقراء** ﴾[١]

وقوله

﴿ **للفقراء المهاجرين**﴾[٢]

وقوله ﷺ

" **الفقر فخري وبه أفتخر** "

وقد اختاره عليه السلام على الغنى حيث خُيِّر بينهما.

وقال الشَّيخ استاذنا سيِّدي علي الجمل رضي الله عنه

" والله لو علِم الناس ما في الاحتياج وهو شدة الفاقة من الأسرار والميزات لم يحتاجوا الى شيء سوى الاحتياج لأنه يقوم مقام الاسم الأعظم "[٣] انتهى.

وكان شيخ سيِّدي علي رضي الله عنه وهو سيِّدي العربي بن عبدالله يُسمِّي شدة الافتقار بالحيزة ويقول لها

" مرحبا بكل الحيزة لأنها تحوز صاحبها الى الله وكان يفسر ليلة القدر بالضيف"[٤] انتهى.

وقال سيِّدي تاج الدِّين في حكمه[٥]

" ورود الفاقات أعياد المريدين " انتهى.

وقال

---

١. التوبة ٦٠

٢. الحشر ٨

٣. رسائل مولاي الدرقاوي

٤. كان شيخ شيوخنا سيدي على العمراني رضي الله عنه يسميها ليلة القدر ويقول " الحيزة هي ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر " وذلك لأجل ما يجتنيه العبد منها من أعمال القلوب التي الذرة منها أفضل من أمثال الجبال من أعمال الجوارح " ايقاظ الهمم شرح متن الحكم "

٥. الحكم العطائية

" ربما وجدت من المزيد في الفاقات ما لا تجده في الصوم والصلاة " انتهى.

وقال

" إن أردت بسط المواهب عليك صحح الفقر والفاقة لديك " انتهى.

﴿ إنما الصدقات للفقراء والمساكين ﴾

وقال

" خير أوقاتك وقت تشهد فيه وجود فاقتك وتُرد فيه الى وجود ذِلَّتِك " انتهى.

وقد كان استاذنا يحب هذا الكلام ويكرره غاية ويثني على صاحبه وكانت تظهر منه قوة وزيادة في حاله حساً ومعنى ظاهراً وباطناً عند ورود الفاقة عليه أو سماع ذم الناس اليه والله حسبنا ونعم الوكيل.

وهذا المسلك صعيب على النفوس جداً فلذلك لا يسلكه إلّا الأقوياء الفحول الأصفياء الشجاع كسلطان الأولياء الشَّيخ الجليل الشَّريف الأصيل أبي مُحمَّد سيِّدي مولاي عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه قال

" رُمتُ الدُّخول والوصول الى الله مِن كُل باب فوجدتُ على جميعها الازدحام حتى أتيتُ بابَ الذُّل والافتقار فوجدتها خالية فدخلتُ "[1] انتهى.

واعلم هداك الله لبابه وأدخلك حضرة دنوه واقترابه على ما يليق بعزِّ جنابه، إننا ذكرنا هذه المقدمة أمام أحوال سيِّدنا السَّمية وخلاله الجميلة السَّنية السُّنيَّة وما شاع وذاع من أسراره اللَّدنية، لتعرف فضلها ومزيتها ومرتبتها ولكونها أجدر وأقرب لأهل الابتداء في موت النفوس الذي هو باب

---

[1] " أتيت الأبواب كلها فوجدت عليها أزدحاماً فأتيت باب الذل والإنكسار فوجدته خالياً فدخلت " ايقاظ الهمم شرح متن الحكم

دخول حضرة القدوس، كما سنذكر بعضه ونجعله واجب التصوف وفرضه، حسبما هو عند جميعهم ﷺ.

أمَّا هو فقد نال من الله بهذه الرواتب الحظ الأوفر والنصيب الأكبر، ولا يزال يتقرَّب اليه بها وبغيرها حتى اجتباهُ ولحضرته بِمنِّه حباهُ، فكان والله آية في المعارف بالله والعلم والعمل والحلم والكلام، والصبر والتأني والعفة واللِّين والخَشية والسَّكينة والتَّواضع، والحياء والجود والسَّخاء والزُّهد والوَرع والرَّحمة والتَّوكُّل والشَّفقة والقَناعة والعِشق والشَّوق والعَزم والقريحة والنِّية الصَّالحة والمَحبَّة، والظَّن الحَسَن والصِّدق والهِمَّة العَلية والقَلب الجَداوي والأخلاق الكريمة والمَحاسن العظيمة والأحوال السنيَّة والمَقامات السَّامية والمَواهب اللَّدنية والمَواجيد الربَّانية، صاحبُ مَحو وفناء وغيبة في مولاه وشُهود لِما به تولَّاه، قد أُغرق في بحر الحقيقة وأوتيَ الجذب حقيقة وأُعطي القوَّة والتَّمكين والرُّسوخ في المَعرفة واليقين، وشَرِب مِن الخمرة الأزلية صفواً وَورَد مِن مَنهلها الأروى وسَلك مِن السُّنة نهجاً قويماً وصراطاً مستقيماً، ورَكِب سَفينتها وأجراها التي بالله مرسيها ومجراها فقويت أنوارهُ وفاضت في الآفاق بيِّناتُه وأسرارهُ، وسَقى الجمِّ الفقير مِن شرابه كؤوساً وملأ قلوبهُم وأرواحهُم وقوالبهُم أقماراً وشموساً فترامت بذلك وارداته وذابت لديهم منازلاته ومُدُّوا منها على الأبد مَدد جَسيم

﴿ ذلك فضلُ الله يؤتيهِ مَن يشاءُ والله ذو الفَضلِ العَظيم ﴾[1]

---

[1]. المائدة ٥٤

فصل في قاعدة الأصول التي هي شرط واجب في الوصول

أعلم أخرَجكَ الله عن حِسِّك ولا أذاقكَ طَعم نَفسِك، أن السَّير والسُّلوك الى حَضرة مَالِك المُلوك الذي لا مَسافة بينكَ وبينهُ حتَّى تقطعُها رِحلتك، ولا قِطعة أثبتت أينكَ وعَينك حتَّى تَمحوها وَصلَتك، سِوى النِّسب والاضافات التي لا وجود لها في المُشاهدات لا وجود لهُ في الحقيقة، إذ لا وصول الى الله إلَّا بالله ولا يَعرِف الله إلَّا الله، والمُحدَث الفاني مادام لا يرى القديم الباقي لا تُدركه الأبصار وهو يُدركها ولا تُحيط به الأفكار وهو يُمسكها، ولكن إذا أراد أن يوصل عبدهُ اليه ويَجعلهُ مِن المُصطَفين لديه غطَّى وَصفهُ بوصفهِ ونَعتهُ بنعتهِ فَوصلهُ به إليه كما قال تاج الدِّين ﷺ[١]

وقال الشَّيخ الجيلاني ﷺ [٢]

وليس يُرى الرَّحمن إلَّا بعينه وذلك حكم في الحقيقة واقعُ

وقال الشَّيخ عزالدِّين بن عبدالسلام[٣] في وصف هذا المقام

فإن رام عاشقها نظرةً ولم يستطع لعُلا وصفها
أعارَته طرفاً رآها به فكان البصير لها طرفها

الى غير ذلك ومن هنا قالت مولاتنا عائشة رضي الله عنها
" مَن زعم أن مُحمَّداً ﷺ رأى ربَّهُ فقد افترى على الله الفرية "[١]

---

١. كتاب شرح الحكم العطائية للشيخ عبد المجيد الشرنوبي الأزهري

٢. القول في النادرات العينية للشَّيخ عبدالكريم الجيلي

٣. أبو مُحمَّد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن حسن السُلَمي الشافعي ٥٧٧- ٦٦٠ "هجرية عالم وقاضٍ مسلم، برع في الفقه والاصول والتفسير واللغة، وبلغ رتبة الاجتهاد،

وهذا الوفاق بينها وبين الأئمة الذين يقولون بروبته ﷺ بعين بصره، ومراد الجميع

" لا يرى الله إلّا الله "

وإن اختلفت العبارات وأثبتت بعض الأسماء كموسى عليه السلام والجبل على قول البعض، وسيِّدنا مُحمَّد ﷺ على قول الجمهور والجمِّ الغفير من الصحابة، سيما بني هاشم والتابعين وكافة المتأخرين واعتقاد الكل

" أنَّ الحي الموجود لا يرى الله ولا يدخل حضرة الشهود ".

وكذلك قال الشَّيخ سيِّدي أبو مدين الغوث رضي الله عنه

" مَن لم يَمُت لم يرى الحقَّ "[2] انتهى.

وقال الشَّيخ أبو العباس المرسي رضي الله عنه

" لا يُدخل على الله إلَّا مِن بابين، الموت الأكبر وهو الموت الحسِّي والثاني الموت الذي تعنيه هذه الطائفة يعني موت النفوس يعني الشَّاذلية " انتهى.[3]

وهم أهل التَّصوف الذي قال فيهم الشَّيخ ابن أبي جمرة رضي الله عنه[4]

" الواحد منهم يموت في اليوم أكثر من سبعين موتة، والموت شرط في رؤية الحق تعالى " انتهى.

قال الشَّيخ ابن الفارض على لسان النور الفائض[1]

---

[1]. عن مسروق قال :"كُنْتُ مُتّكِئاً عِنْدَ عَائِشَةَ. فَقَالَتْ: يَا أَبَا عَائِشَةَ! ثَلاَثٌ مَنْ تَكَلّمَ بِوَاحِدَةٍ مِنْهُنّ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ الْفِرْيَةَ. قُلْتُ مَا هُنّ؟ قَالَتْ: مَنْ زَعَمَ أَنّ مُحَمّداً ﷺ رَأَى رَبّهُ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ الْفِرْيَةَ " صحيح مسلم"

[2]. ايقاظ الهمم شرح متن الحكم

[3]. لطائف المنن لابن عطاء الله

[4]. ابن أَبي جَمْرة هو عبد الله بن سعد بن سعيد بن أبي جمرة الأزدي الأندلسي، أبو مُحمَّد من العلماء بالحديث، مالكي. أصله من الأندلس ووفاته بمصر سنة ٦٩٩هـ

إن ترد وصلنا فموتك شرط   لن ينال الوصال مَن فيه فضلة

وقال الشَّيخ الشُّشتري رضي الله عنه[2]

ليس يدرك وصالي   كل من فيه بقيًّا

وقال أستاذنا صاحب الترجمة رضي الله عنه

" فلا وصول الى الله إلَّا مِن باب موت النَّفس ولو عمَل العامِل ما عمَل لا يكون له ذلك إلَّا بعد موتها ومحوها واضمحالها وذهابها وزوالها وبعد فنائها عن فنائها، وموتها يكون بمخالفتها وبترك رأيها بالكُلِّية ومتابعة الثقيل عليها أو اجتناب الأخف عليها قال ويكون الوصول الى الله بمحض كرمه "انتهى.

قال تعالى

﴿ ولولا فضلُ الله عليكُم ما زَكى مِنكُم مِن أحدٍ أبدا ﴾[3].

نتيجة المؤمن الكامل الإيمان يجب عليه ألَّا يترك العمل اعتماداً على الأزل ولأن السابق لاحق كان الله قد علق نزول ما عنده مِن الرحمات والمواهب على ما يُوجدهُ مِنَّا ويُخلِفهُ فينا ويَنسبهُ الينا مِن عرية الأسباب والمكاسب إذ قال

﴿ إن رَحمة الله قريبٌ مِن المحسنين ﴾[4]

وقال

﴿ ادخلوا الجنَّة بما كنتم تعملون ﴾[1]

---

1. القول للششتري في كتاب ايقاظ الهمم شرح متن الحكم ص٢٦٠
2. ايقاظ الهمم في شرح الحكم لابن عجيبة ص٣٧
3. النور ٢١
4. الاعراف ٥٦

وقال في الحديث القدسي

" لا يزال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت "

قوله مذكور في الحديث الشَّهير[٢].

فلهذا لمَّا سَمِع أهلُ الفِهم عن الله هذا وأمثاله نهزوا فرصة ائتمانه وامتثاله، لكنهم افترقوا في ذلك على ضربين واختلفت نوافلهم على مذهبين، ففِرقة نهضوا للباطن فرغوه مِن كل ساكن وقاطن، وفرقة اشتغلوا بالظاهر قالوا هو باب القلوب والسَّرائر، فلذلك تباينت أحوالهم وتميزت لذوي العقول أقوالهم

" تكلَّموا تُعرفوا فإن المرء مخبوء تحت لسانه"[٣] انتهى.

" كل كلام يبرز عليه كسوة القلب الذي منه برز" انتهى.

" وما فيك خرج على فيك " انتهى.

" ما استودع في غيب السرائر ظهر في شهادة الظواهر " انتهى.[٤]

فواحد أدرك الغاية وآخر في أول قدم البداية، وإن حصلا معاً على أقصى الكمال فَشتَّان بين مَن وصل في ساعة قريبة وبين مَن طالت به الآمال.

---

[١]. النحل ٣٢

٢ .عنْ أبي هُريرةَ قال: قال رسول الله ﷺ "إنَّ اللهَ قال: مَنْ عادَى لي وليًّا فقدْ آذَنْتُهُ بالحَرْبِ، وما تقرّبَ إليَّ عَبْدي بِشيءٍ أحبَّ إليَّ مِمَّا افْترضتُ عليْه، وما يزالُ عَبْدي يَتقَرَّبُ إليَّ بالنَّوافِلِ حتَّى أُحبَّه، فَإذَا أَحْبَبْتُهُ، كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذي يَسْمَعُ بِهِ، وبَصَرَهُ الَّذي يبْصِرُ بِهِ، ويَدَهُ الَّتي يَبْطِشُ بِهَا، ورِجْلَهُ التي يَمْشي بِهَا، وإنْ سَأَلَني لأعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتعَاذَنِي لأعيذَنَّهُ، ومَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيءٍ أنَا فَاعِلُهُ؛ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ المؤْمِنِ، يَكْرَهُ الموْتَ، وأنَا أكْرَهُ مَسَاءتَهُ". مختصر صحيح البخاري

[٣]. من حكم سيدنا علي رضي الله عنه

[٤]. الأقوال في الحكم العطائية لابن عطاء الله السكندري

فصل في السير والسلوك

فإن طلبت تفصيل ذلك فاعلم أن أهل الله ذهبت طائفة منهم لأنواع الرياضات وعمروا فوق طاقتهم فنون العبادات، قد انفردوا بالخلوات واستوطنوا أركان المساجد والزوايات، فاستحسن الناس ما هم عليه وعظَّموهم ووقَّروهم واحترموهم وسارعوا لقضاء حوائجهم ونظروهم بعين الولاية، فرأوا حينئذٍ لأنفسهم لهم قربة على غيرهم بسبب ما همَّ عليه مِن العبادة وبما أكرموا به مِن الكَشف والزيادة، فاتصلت بهم حظوظ وعلل باطنية يعزُّ تركها، قال تاج الدين رضي الله عنه[1]

" حظ النفس في المعصية ظاهرٌ جَلي وحظها في الطَّاعة باطن خفي ومداواة ما يخفى صعب علاجه " انتهى.

فطال سيرهم الى ربهم ووصل بعضهم دون بعضهم، وطائفة قالوا علاج الأصل أقرب للبِر والوصل، قالوا

" فتحرم الوصول بتضييع الأصول " انتهى.[2]

وابتدؤا برأس الخطايا وهي الدُّنيا والنفس وما تفرَّع منهما مِن العادات والشَّهوات وحبُّ الجاه والرفعة والمنزلة عند الجِنس وعنصر ذلك هو الرضى عن النفس، قال تاج الدِّين رضي الله عنه[3]

" أصل كل معصية وشهوة وغفلة الرضى عن النفس وأصل كل طاعة وغفلة ويقظة عدم الرضى منك عنها، ولأن تصحب جاهلا لا يرضى عن

---

[1]. الحكم العَطائية لابن عطاء الله

[2]. الحكم العطائية لابن عطاء الله

[3]. الحكم العطائية لابن عطاء الله

نفسه خير لك من أن تصحب عالماً يرضى عن نفسه فأي علم لعالمٍ يرضى عن نفسه، وأي جهل لجاهل لا يرضى عن نفسه " انتهى.

وقال

" كيف تُخرق لك العوائد وأنت لم تَخرق من نفسك العوائد "[1] انتهى.

فأخذوا في قطعها ومحوها وطهَّروها مِن هذه الخبائث ونحوها، والصُّوفية ﷺ تؤسِر النُّفوس يُدخلون عليها كل مغارة ويُخرجونها شديدة الغارة، إذ الخير كله في مخالفتها وارتكاب الثقيل عليها ولا تحيى القلوب إلَّا بموتها، قال بعضهم

" المحبَّة عروس ومهرها النفوس، ما تحيى القلوب إلَّا بموت النفوس " انتهى.[2]

ومِن هنا يَتبين لك سير أستاذنا وأوَّل ما استفاد مِن أستاذه لمَّا اتخذهُ شيخاً وسلب له الارادة والقى اليه قياده واقتفى سبيله وأقال مقيله واطَّلع على خصوصيته ورأى روحانيته عين بشريته.

فسمعته مراراً يقول

" كنت نرى تسعة أقسام من سيّدي علي رسول الله ﷺ والقسمة العاشرة كنت أراه فيها سيّدي علي بن عبد الرحمن ولكني كنت فيها ضعيفاً جداً والله على ما نقول وكيل " وليس ذلك باختياري إنما هو باختيار السَّميع البصير الذي أطلعني على حقيقته " انتهى.

---

[1]. الحكم العطائية لابن عطاء الله

[2]. كتاب سيدي علي الجمل " مُحمَّد بن مُحمَّد المهدي التمسماني

قلتُ فهذا هو الوصول الى شيخ التربية حقيقة، فجدير أن مَن بهذه المثابة يصل في ساعة ويكون عند الله بمكانة، قال الشَّيخ أبو العباس المرسي ﷺ

" إذا أراد الله أن يوصلك الى ولي مِن أوليائه طوى عنك شهود بشريته وأشهدك وجود روحانيته فالقيت اليه القياد وسلك بك سبيل الرشاد "[1] انتهى.

وقال تلميذه تاج الدِّين ﷺ

" سبحان مَن لم يجعل الدَّليل على أوليائه إلَّا مِن حيث الدَّليل عليه ولم يوصل اليهم إلَّا مَن أراد أن يوصله اليه "[2] انتهى.

سمعته يقول

إنَّ أستاذي لمَّا رأى هدفي في الطريق أمرني بخرق عوائد نفسي وقال لي

" نحن فكما نكتسب علم الحقيقة كذلك نكتسب عملها "

فلم أفهمه، فقبض ﷺ حائكي[3] بيده الكريمة وأزاله عن رأسي وتركه عرياناً ولَواهُ كثيراً وأداره بعنقي ثم قال لي

"هكذا قياس خير"

فتروَّعت إذ ذاك غاية حتى كانت الموت أهون عليها من أن ترى عليَّ تلك الحالة وهو ينظر اليَّ ولا يتكلَّم حتى كادت مِن شدة ثقل تلك الحالة عليها أن تموت، قال فقمت قبل أن يقوم الشَّيخ ولم تكن عادتي معه كذلك بل كنت لا أقدم قط إلَّا أن قام هو ومشيت حتى غبت بحائط الزاوية فقالت نفسي إذ ذاك

" فما معنى هذا " ؟

---

[1]. ايقاظ الهمم شرح متن الحكم لابن عجيبة

[2]. الحكم العطائية لابن عطاء الله

[3]. الحائك ثوب من الصوف تلف به المرأة المغربية نفسها وهو يشبه الملاة وقد يستعمل من قبل الرجال

فلم نجد لها جواباً إلَّا أن نردَّ الحائك على رأسي كالناس فإذا بي لم نردُّه بل قلت لها

" الشَّيخ يعرف معنى ذلك فمالكِ قد تروَّعتِ وتزعزعتِ وكرِهتِ أن تكوني سُفلية، أو ما أحببت إلَّا أن تُبقي على شهواتك ومحبوباتك مُسرَّحة فيها بلا قيد، لا والله لا فَرِحتِ بذلك أبداً ولا يكون لكِ قط ما دمتُ عارفاً بِك وبخزايبك فأيست حينئذٍ من شهواتها التي كانت عليها وتحققت أنها لا يكون لها ذلك قط إذ رأت عيني حمراء فيها واعطتني الانقياد في جميع ما أردتُّ فيه، قال والخذلان كل الخذلان أن يرى الفقير صورة نفسه عياناً ثم لم يخنقها حتى تموت " انتهى .

فانظر يا أخي هذا السير وهذا المسلك العظيم في أول قدم ولكن التوفيق من الله

﴿ ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور ﴾[1]

ونحن نجلب لك بعض كلامه بتمامه أو ما يكون في معناه لعلَّه لم يصل اليك، وأمَّا إن حصل بيدك ففيه غُنية عن هذا.

وسمعته ﷺ يقول

" دخلتُ ذات يوم في ابتداء أمري لمسجد الأندلس من عدوة فاس البالي عَمَّرهُ الله وجلست بالصف الثالث وكان يوم جمعة، ثم نزعت شاشيتي عن رأسي وتركته عرياناً والناس ينظرون إليَّ من كل جهة إذ لم تكن حالتي عندهم كذلك وكنت أيضاً عندهم وعند غيرهم معظماً محترماً، فإذا بي أصبحت كذلك فتروعت نفسي لذلك غاية حتى كانت كالعلقة أن جعل عليها الملح، ثم قالت لي

أي شيء حصلت بهذا أو هتكت مرؤتك ؟

فقلت لها

---

[1]. النور ٤٠

حصلتُ به مَعرفتكِ إذ كُنت لا أعرف صورتِكِ وقد عَرفتُها الآن والله لا كُنتُ معكِ إلَّا على هذا الحال المكروه عندكِ "

فلمَّا رأتني قد حَمرت عيني فيها وآيست مني أن نكون على غير مكروهاتها ومستثقلاتها ومستقبحاتها، ذهبت عني ذهاباً كلياً وبذهابها ذهب مِن قلبي كُل كَدر ولم يبقَ بقلبي إلَّا الصفاء الكبير الذي قلَّ له النظير.

قال

لمَّا ملكتُها وثبت عليَّ حالي وأنا بالصَّف تبدَّل وصفي بوصف سيِّدي ونعتي بنعته في الحين وصِرتُ كالفنار ننظر مِن كُل جهة ووردت عليَّ حينئذٍ علوم وهيبة كثيرة كأمواج البحر حتى لو اجتمع علماء المشرق وعلماء المغرب وسألني كل منهم عن مسائل لأجبتُ كلُ واحد عمَّا سأل، ولم نفتقر الى ما نقول لهم إذ صرتُ والله كالمصباح فبعد ما يُشعل مني كل أحد أحد مِصباحهُ أو فَتيلته لم ينتقص مِن ضوئي شيئاً بل يبقى كما هو، فهكذا كنت والله على ما نقول وكيل " انتهى .

قال

" ولا شكَّ لكُلِّ واحد واحد من الناس من المعاني مثل ما للبحر من أمواج لكن الحس قد استولى عليهم وأخذ قلوبهم وجوارحهم وتركهم

﴿ صمٌ بكمٌ عميٌ فهم لا يعقلون ﴾[1]

سمعته يقول

قال لي بعض الفقهاء

" يا سيِّدي الشَّهوة ضرتني "

فقلتُ له

" أنا هي التي نفعتني وربّتني وكبَّرتني ولا عليَّ الَّا فضلُ الله وفضلها ولا ننسى جميلها " انتهى.

---

[1]. البقرة ١٧١

قال

فإن قلت كيف ذلك؟

قلت

" **بسبب تَركها رَبح مَن رَبح، وبسبب أخذها خَسِر مَن خسر** " انتهى.

وكان يستشهد على هذا المعنى بكثير من كلام الصوفية رضي الله عنهم كقول بعضهم

" مَن وافق شهوته عُدم صفوته "[١] انتهى.

وقول الآخر

" ترك شهوة مِن شهوات النفس أنفع للقلب مِن صيام سنة وقيامها "[٢] انتهى .

وقول الآخر

" لأن أترك مِن عشاءي لقمة خير مِن أن أكلها وأقوم من أول الليل الى آخره "[٣] انتهى .

وقول الآخر

" النفس شرُّ أعدائك وقائد هلاكك، لا يصل اليك شيطان إلَّا بشهواتها ولا تقتحم معصية إلَّا بجهلها فهي كهف الظلمة وأرض الشهوة وخزانة الجهل ومعدن الكسل إن ادَّعت الصدق كذبت وإن امتَحَنتها افتُضحت وإن قوَّمتها اعوجَّت وإن قُدتها برَكت وإن سَرَّحتها ضلَّت وإن سامحتها استأمَنت ليس لها دواء إلَّا مخالفتها وتسليط سوط المحاسبة عليها"[٤] انتهى.

---

١. الرسالة القشيرية

٢. ابو سليمان الداراني من كتاب قوت القلوب

٣. ابو سليمان الداراني من كتاب قوت القلوب

٤. رسائل الدرقاوي المسمى كتاب بشور الهدية في مذهب الصوفية.

وقول الآخر

" ومَن أباح النفس ما تهواه فإنما معبوده هواه " انتهى[1].

وكان رحمه الله يُحب هذه المقالة ويثني على قائلها وهو الشَّيخ سيِّدي ابن البنَّا في " **مباحثه** " ﷺ ويقول

" **ينبغي لها أن تُكتب بماء الذهب** " انتهى.

إذ كان ﷺ لا يحبُّ من يتبع نفسه ويوافقها في أمر مِن الامور بل يحب من يخالفها ويعكس رأيها ويخرق عوائدها المضادة للكمال الإلهي وذلك بالمباح لا بمحرم ولا بمكروه، وكان يحذر من هذه الورطة ويقول على الدوام

" **نحبكم بل نؤكد عليكم أن تكونوا على بصيرة في خرق عوائد أنفسكم لئلا تنقلب حقيقتكم النورانية الى حقيقة ظلمانية وتلك هي البليّة والعياذ بالله فلا تخرقوا عادة إلّا فيما يثقل عليكم وليس بمحرم شرعاً ولا بمكروه** " انتهى .

قال وأمَّا قول الولي الصَّالح الشَّيخ المرشد الناصح أبا العباس سيِّدي أحمد زرُّوق ﷺ الذي هو

" مالم تقوى الكراهة جداً فلا يليق بنا أن نعمل به في هذا الوقت الذي قلَّت فيه المحبوبات وكثُرت فيه المكروهات وقلَّت فيه المتابعة وكثُرت فيه المخالفة الخ "[2] انتهى.

والحقُّ كما قال ﷺ

---

[1]. الفتوحات الالهية في شرح المباحث الأصلية لابن عجيبة

[2]. كتاب الشيخ احمد بن عجيبة ومنهجه في التفسير ص١٤٣

" كان أهل هذا الزمان صارت عندهم السُّنة بِدعة والبِدعة سُنة فمن أراد خرق العوائد ونيل الفوائد فليستمسك بالسُّنة وليخرج عن الأوصاف المذمومة وهي مشهورة معلومة " انتهى.

وقال تاج الدِّين رضي الله عنه

" أخرج عن أوصاف بشريتك عن كل وصف مناقض لعبوديتك لتكون لنداء الحق مجيباً ومن حضرته قريباً "[1] انتهى.

[1]. الحكم العطائية لابن عطاء الله

فصل في مخالفة المريد لنفسه

أعلم أن ما ذكرنا في هذا الفصل وفي غيره من مخالفة المريد لنفسه وأن لا يوافقها في أمر ما ليس هو على اطلاقه لكل أحد أحد وفي كل حال من الأحوال بداية ونهاية فما دامت النفس موجودة حيَّة فنعم، وأمَّا إذا عانت وذهبت وتلاشت واضمحلَّت وأُبدل مالِك برضوان واستولى سلطان الرُّوح على جميع الأركان وصارت البشرية روحانية فلا يوزن عليه بقسطاس ولا يقيد عليه بدواة وقرطاس لأنه تحوَّل غيرهُ وعاد شرُّهُ خيرُه وأهل الخصوصية الكبرى والمرتبة العليَّة العُظمى يقال لهم

" أعملوا ما شئتم ".

وقد أخرج في الصحيح عن النَّبي ﷺ أنه قال

" **وما يدريك لعلَّ الله اطَّلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم** "[1].

وفي " **القوت** " لأبي طالب المكِّي[1] أيضاً عن زيد بن أسلم

---

[1]. عن عَلِيّ كرم الله وجهه قال بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَا وَالزُّبَيْرَ وَالْمِقْدَادَ فَقَالَ ائْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ إِنَّ بِهَا ظَعِينَةً مَعَهَا كِتَابٌ فَخُذُوهُ مِنْهَا فَانْطَلَقْنَا تَعَادَى بِنَا خَيْلُنَا فَإِذَا نَحْنُ بِالْمَرْأَةِ فَقُلْنَا أَخْرِجِي الْكِتَابَ فَقَالَتْ مَا مَعِي كِتَابٌ فَقُلْنَا لَتُخْرِجِنَّ الْكِتَابَ أَوْ لَتُلْقِيَنَّ الثِّيَابَ فَأَخْرَجَتْهُ مِنْ عِقَاصِهَا فَأَتَيْنَا بِهِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِذَا فِيهِ مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى نَاسٍ مِنْ الْمُشْرِكِينَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ يُخْبِرُهُمْ بِبَعْضِ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا حَاطِبُ مَا هَذَا قَالَ لَا تَعْجَلْ عَلَيَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي كُنْتُ امْرَأً مُلْصَقًا فِي قُرَيْشٍ قَالَ سُفْيَانُ كَانَ حَلِيفًا لَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهَا أَكَانَ مِمَّنْ كَانَ مَعَكَ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ لَهُمْ قَرَابَاتٌ يَحْمُونَ بِهَا أَهْلِيهِمْ فَأَحْبَبْتُ إِذْ فَاتَنِي ذَلِكَ مِنْ النَّسَبِ فِيهِمْ أَنْ أَتَّخِذَ فِيهِمْ يَدًا يَحْمُونَ بِهَا قَرَابَتِي وَلَمْ أَفْعَلْهُ كُفْرًا وَلَا ارْتِدَادًا عَنْ دِينِي وَلَا رِضًا بِالْكُفْرِ بَعْدَ الْإِسْلَامِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَدَقَ فَقَالَ عُمَرُ دَعْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ فَقَالَ إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ عز وجل اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ".

" **أن الله ﷻ ليحب العبد حتى يبلغ من حبه له حتى يقول له أصنع ما شئت فقد غفرت لك** " انتهى .

وفي " **القصد** " للشَّيخ الشَّاذلي ﷺ

" يبلغ الولي مبلغاً لعلَّهُ يقال له أصحبناك السَّلامة ورفعنا عنك الملامة فاصنع ما شئت "[٢] انتهى.

ومصداق ذلك قوله تعالى في حق سليمان ﷺ

﴿ هذا عَطاؤنا فامنُن أو أمسِك بغيرِ حِساب ﴾[٣]

وإن كان هذا للنَّبي مِن أجل العِصمة فللأولياء في مقام الإمامة قسطٌ منه فيه من أجل الحفظ وكأنَّ نفوسهم رَجعت أصلها وعاد لها ما كان عليها، قال تعالى

﴿ يأيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضيةً مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي ﴾[٤].

سمعت أستاذي ﷺ يقول

" خرج أستاذ أستاذه سيِّدي العربي بن عبدالله ﷺ على أصحابه فقال لهم

" اسمعوا وردُّوا بالكم كلَّما أمَرَتكُم نفوسكم به فخالفوه واتركوه تربحوا " والتفت الى أستاذ أستاذنا سيِّدي علي الجمل ﷺ فقال له

---

[١]. الإمام الزاهد العارف، أبو طالب مُحمَّد بن علي بن عطية الحارثي، المكي.صاحب كتاب قوت القلوب في معاملة المحبوب المشهور في التصوف توفي في جمادى الآخرة سنة ٣٨٦ هـ ببغدادوالحديث مذكور في الكتاب ص٨٢ وذكره الامام الغزالي في الاحياء أيضاً.

٢. مطالع المسرات بجلاء دلائل الخيرات مُحمَّد المهدي بن أحمد بن علي الإمام

[٣]. " ص"٣٩

[٤]. الفجر ٢٨– ٣٠

" وأنت كلّما أمَرَتك نفسك به فافعله ولا تتركه لأنك إذا خالفت نفسك تخسر ولا تربح " انتهى.

ونحوه لأستاذنا صاحب الترجمة ﷺ فقد كان يسردني بعض الأيام لقضاء بعض الحوائج وأوصاني كثيراً وألحَّ عليَّ غاية، ثم بعد ما أوصاني كثيراً قال لي

" لا ترميني من بالك ولا بد يعني أنه كلّما حدثتك بأمر من الأمور فهو صحيح الوقوع " انتهى.

والتفت الى بعض أخص أصحابه مِمّن تقدّمنا في الطريق وهو الذي قال فيه أستاذنا يوم موته

" اليوم طاح ركن في الطّريق "

وهو الفقيه الأجل العارف بالله ﷺ الصوفي المحقق أبو العباس سيّدي أحمد ابن مُحمَّد بن روح الزروالي وسأذكره في ترجمة أصحابه وأقرانه مِن هذا الكتاب إذا أراد الله ذلك، وحين التفت اليه قال له

" يا سيّدي أحمد من وقت أخذ فلان الفلاني فلانة الفلانية، ما أمرتني نفسي بأمر من الأمور وخالفتها وربحت، إنما ربحي في موافقتها وكان لذلك عصر قديم نحو أربعين سنة وعاش بعد ذلك نحو الخمسة عشر سنة والله أعلم "[1] انتهى .

وكانت لتلك المرأة قضية عظيمة قد ذكرها لنا مراراً وذكرها أيضاً في كتابه في " الكرائم التي أكرمها الله " بها وهذا الأمر يقع لكل من أسلم شيطانه على رواية فتح الميم في الحديث الصحيح وقد تكلّم على الروايتين

[1]. الرسالة الحادية والتسعون غي كتاب بشور الهداية لمولانا الدرقاوي

الحافظ الأبي في شرحه لصحيح الإمام مسلم رضي الله عنهما عند قوله ﷺ " **لكل أنسان شيطان** "[1].

هذا وقد طال بنا الكلام وحصل لنا منك الملام بمرادك من معرفة هذا الشَّيخ الاتمام، ولِما حلَّ بك مِن الشَّغف به والاهتمام، وقد علمت أن غزل الغشيم يتقطَّع أو يتخبَّل ونسجه يتبدَّل ويتحول، وقد قال الحكماء

" أربيع الوقت يرتعي والعالم النحرير مناخله غرابيل الحرير "

وأنا اعترف بقصر باعي إذ لا أعرف ثلاثي وأرباعي، وأعتذر لمن تصفح هذه الورقات وأحبُّه أن ينظرها بعين الرضى والقبول وكل ما أنبت منها بأصله موصول، ونُحبُّه أيضاً أن يَرُدَّ كُل ضالة لأهلها ويَعقِل كُل شاردة بعقالها، حتى يعود شملها لمن أرادها مجموعاً ونداء داعيها في رهطها مسموعا، والله يكافيه ولا جرم أن عمل كل أحد يوافيه، والله أسأل منه التوفيق والتسديد واتمام ما رمناه قريبا غير بعيد، إنه ولي ذلك والهادي الى سواء سبل المسالك.

---

[1]. عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله ﷺ "مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الْجِن قالوا وإياك يا رسول الله؟ قال "وَإِيّايَ إِلَّا أَنَّ اللهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ فَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ"

الباب الرابع في الأحوال التي أدركناه عليها عِبادة وعُبوديَّة وعُبودة

أعلم جعلنا الله وإيّاك على واضح المنهاج النيِّر الوهاج الذي لا انحراف فيه ولا أعوجاج، أن ما رأيت منه وسمعتُ مُذ عرفته وعقلت وميزت لا نقدر على وصف بعض البعض منه، وكذلك ما قيل لي ورأيت عنه فأحرى جميعه، لاتصافه هو ﷺ بالمحاسن جملة ولأن قلبي ولساني وبناني في حقه جَهلة، لكن أعبِّر بعجمية لساني على بعض ما في الحشا واصف المعالي، على قدر بصري الاعتناء.

وأهل العلم بالله حقيقة ﷺ يأخذون النصيب من كل شيء ويعذرون الألكن والأخرس والاكمه وغيرهم، إذ هم لا يرون في الوجود إلَّا الواحد الموجود سبحانه وتعالى ولا يسمعون إلَّا منه ولا يأخذون إلَّا عنه ولا يعرفون إلَّا إيَّاه رضي الله سبحانه عنهم ورضوا عنه، فلذلك لا يرون عيباً ولا يقترفون ذنباً، فعلى هذا فأحوالهُ وافعالهُ وأقوالهُ وحركاتهُ وسكناتهُ كُلّها سَنيَّة مُحمَّدية على بصيرةٍ ربَّانيةٍ الاهيةٍ، باطنهُ رياض الملكوت تتصبب فيه حياض الجبروت، فهو مستغرق الأوقات في شهود عظمة الذات، قد محت عينه وأسمهُ ورَسمهُ وصارت بصرهُ وسمعه ولسانه وعلمه، وجميع قواه وتصرفُه وحكمه مؤيداً لم يخرج عن حدِّ الاعتدال الى الانحراف كما يقع لأهل التلوين والاستشراق، فإن قوي ما به يشير ويقول للحاضرين

" أتحسبون أنكم أنتم أنتم، وهذه الأشياء التي ترون هي هي كما في نظركم، لا والله ما الأمر كما تعتقدون، إنما هو خلاف ما تعتقدون " انتهى.

ويقول

" الله أكبر كل شيء ظن الناس لحوقه ورجوا ادراكه إلَّا كونهم يذكرون الله حقيقة على هذا الوجود حتى لا يجدونه ويفنى ويضمحل، فلا يظنون ذلك أي يفنى توهم ما توهموه ويأتي علم لم يعهدوه ولا علموه فرجح الفناء لزوال الوهم وبقاء العلم، وكان الأولى ألَّا يذكر أسم الفناء للوجود إذ لا يفنى إلَّا ما هو موجود ولا كان للوجود ابتداء في وجود الحق وجوداً سوى ما أثبته الوهم وصيره في الذهن شهوداً، فوقع اسم الفناء على ذلك اصطلاحاً واستحسنه القوم ﷺ ورأوا به صلاحاً " انتهى.

والحاصل كان والله على حال شريفة ومرتبة عالية منيفة، ذو قوة ويقين ورسوخ وتمكين، قد تمكن من الاكتفاء بعلم الله ربوة ذات قرار ومكين فاق بها جميع المجذوبين والسَّالكين، قد منحه الله بفضله القلب الجدَّاوي والنِّية الصالحة والظَّن الحسن، والمحبَّة والصِّدق والشَّوق والعِشق فيه سبحانه وتعالى، وسعة الصدر وحسن الخُلق والتأني والتوكل والاقبال، والصبر على الله والانحياش والانقطاع والتفويض الى الله والحياء والخوف والخشية والهيبة منه وسَلبَ الارادة له وتركَ التدبير والاختيار معه، والاستسلام لقهره والغيبة في شهوده والتحقُّق بعلم اليقين وعينه وحقه، والفناء عن كل شيء والبقاء بالله والقناعة بعلمه والاكتفاء بشهوده، والمشاهدة والمجالسة له والمحادثة والمكالمة معه، والأنس والاطمئنان به والسكون اليه في جميع الأحوال المتدفقة من عنصر الجلال والجمال على مَمَّر الليالي والأيام واختلاف الآثار وتنقلات الأطوار، الى غير ذلك مما لا يُعد ولا يُحصى أو يُحاط به أو يُستقصى من المقامات السَّمية والخلال الجميلة السَّنية، فهو وافر العلم ثابت القدم جبلاً شامخاً في معرفة الله راسخاً لا يتزلزل ولا يتبدَّل ولا ينقلب عمَّا هو عليه أو يتحوَّل.

قد قال غير مرَّة عند سبب يقتضي تَدَكدُك الجبال الرواسي

" فوَ الله لو قطع عنقي بمنجل مضرس حتى لم يبق منه إلَّا عرق واحد ما اضطرب ذلك العرق ولا اختلج أو كلام هذا معناه "[1] انتهى.

وكان يقول دائماً

" أهل الله العارفون الرَّاسخون حصل لهم الاطمئنان بذكر الله حقيقة حتى لا يحزنهم الفزع الأكبر يوم القيامة فما بالك بما يصيبهم من البلايا والمحن في دار الدُّنيا " انتهى.

ولسانه لسان صدق وورع لم يطفئ نور معرفته نور ورعه.

ودخلتُ عليه صبيحة اليوم الذي دخل السجن[2] وهو في السجن فسلَّمتُ عليه فباشني وخلَّقني بخُلقه كعادته مع كل بشر وقال لي

" وجدتني أقول اذا أطلق الله سراحي من هذا السجن بفضله نخبر الفقراء بحقيقة التصوف وقيامه بالنفس واتصافها به وصفاً لازماً وامتزاجه بالذات دماً ولحماً، قال قل لي كيف ذلك ؟

قلت لِمَ

قال لمَّا كُنا البارحة بين هؤلاء القوم وكثر الهرج والمرج وهم مجتمعون علينا أخذتني سِنةٌ من النوم ووقع لي والحمد لله مثل ما وقع لأصحاب النبي ﷺ يوم أحد

قال تعالى

﴿ إذ يغشيكم النعاس أمنةً منه ﴾[1]

---

[1]. رسائل الدرقاوي المسمى بشور الهدية في مذهب الصوفية ص ٣٨

[2].بقي في السجن سنتين كاملتين وأربعة أشهر وكان دخوله له في صفر الخير عام ستة وثلاثين ومائتين وألف "١٢٣٦" هجرية في زمن السلطان سليمان " ١٧٩٧ – ١٨٢٢" واطلق سراحه من قبل السلطان عبد الرحمن بن هشام " ١٨٢٢ – ١٨٥٩"م وبقي بعد خروجه منه تسعة أشهر ثم توفى .

وسبب دخوله السجن هو اصدار كل من مولاي الدرقاوي وأبي بكر مهاوش وشيخ زاوية وزان الحاج العربي الوزاني فتوى خلع السلطان سليمان وتولية ابن أخيه ابراهيم بن يزيد سنة ١٢٣٦هجرية وتولية أخيه سعيد ابن اليزيد من بعده .

ولم أدري ما قيل ولا ما كان فأخبرني كيف كان الأمر، فأخبرته بتفصيل ذلك كله كيف كان وقد كان يوماً عظيماً وأمراً جسيماً، فقال لي ما دريت شيئاً من هذا وانما أنا اثق بخبرك وما وقع لي هو ما قلت لك ولم أفق حتى قال لي بعضهم بباب السجن أُدخل يا سيِّدي تؤدي حكم الله، فشعرت وعلمت انهم أرادوا سجننا أو قتلنا فالتفتُّ الى باطني في الحين بنفس مقالته فإذا أنا ساكن مطمئن لم يختلج فيَّ عرق واحد ولا جزعت ولا أخترت حالة على حالة ولا تمنيت شيئاً ولم افقد شيئاً ولا فرقت بين حياة وموت وهكذا.

وهذا مدة تزيد على خمسة وخمسين سنة وأنا اقول للإخوان الوصول الى الله من الوصول الى العلم به، ومن وصل لهذا المقام حصل له الاكتفاء بالله والقناعة بشهوده، والمكتفي له دلائل شتى منها أن لا يستوحش حين يفارق ما يهوى، ولا يحس بفقد شيء من الاشياء جليلاً كان أم حقيراً لأنه يرى الوجد في الفقد والعز في الذل والغنى في الفقر والقوة في الضعف والتوسع في الضيق والحبيب في العدو والعطاء في المنع والبسط في القبض والجبر في الكسر والرفعة في الاهانة والقرب في البعد والموت في الحياة، وهكذا اذ هم ﭬ يرون الجلال عين الجمال وقد حقق الله لنا ذلك بهذه القضية وبغيرها والحمد لله "[٢] انتهى.

فالله الله يا أخواني وإياكم ثم إياكم أن تعتقدوا أن الانسان إذا ذكر الله تعالى حقيقة لم يكتف به، وإياكم ثم إياكم أن تعتقدوا ذاك إذ هو مِن المُحال القطعي، وقد كان قبل هذه القضية بمدة طويلة يقول

"كل من حصَل فَقدهُ على الصَّح منكم يا أخواني فليخبرني، ومن لا فليخبرني أيضاً " [٣] انتهى.

---

[١]. الأنفال ١١

[٢]. رسائل الدرقاوي المسمى بشور الهدية في مذهب الصوفية ص ٣٩

[٣]. رسائل الدرقاوي المسمى بشور الهدية في مذهب الصوفية ص ٣٩

وكان يعني به حال التصوف حقيقة من استواء الحالات، فلم يقل له أحد أنا حصل لي فهم على الصح، ولم يكن سوى إظهار العجز من المبتدي والمنتهي الأول حقيقة والثاني أدباً، كما قال إمام العُشَّاق أبو حفص سيِّدي عمر بن الفارض ﷺ في تائيته

ويُحسن إظهار التجلُّد للعِدا ويُقبِّح غير العَجز عِندَّ الأحبَّةِ

وحين لم يجاوبوه عن حقيقة الأمر المرَّة بعد المرَّة كرِه أن يبقى الأمر مُبهما وربما يدَّعيه المبتدي جهلاً حقيقته ويتوَّهم أنه بلغ أقصى الكمال وهو في مبدأ قدم من الطريق، قال ﷺ

" من وقف فقره على الصَّح وصل الى ربه، ووصوله اليه وصوله الى العلم به، ووصول الى العلم به هو الاكتفاء بشهود عظمة ذاته، والمكتفي به له دلائل وبراهين كثيرة منها، أن لا يستوحش من فقد شيء من الاشياء ...الخ "[1] انتهى.

والحاصل لا نهاية لأقاويله وحتى شمائله ﷺ وأنَّى لمثلي أن يصف مثله فهو والله سوء أدب كُلُّه إن ادَّعينا معرفة حقائقه جملة، وقصدي من هذا تذكيري إيَّاه لنرى ولو في النوم جميل مُحياه، إذ القلب إذا تعلق بشيء غائب انطبع فيه حتى كأنه يراه، ولأُهيِّج أيضاً سماسرة العلماء وأطلق وثاق عنان عناية الفصحاء والحكماء، لأن العارف بالصنعة الماهر فيها اذا رأى الجاهل انغمر بها يترامى عليها وصار يقلِّبها ويخبلها أخذته الغيرة عليها فجمع شملها بأهلها وجعل كل لبنة في محلها، فأستقام البناء وصار قصراً مشيداً لطالب الراحة من العنا، فيكون سبباً في خروج عرائس أبكار المعاني المُخدرات حتى ينتفع بهن أهل العشق والشوق اذا رأوا وجوههن مسفرات،

---

[1]. رسائل الدرقاوي ص٣٩

فندخل في حيز من كان سبباً في ظهور سُنَّة من السُّنن فله أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة.

فصل في ذكر شيء من عبادته ﷺ

فقد كانت عبادته على منهاج الشرع من غير تعمق ولا فتور متوسطة ليست بالإفراط ولا بالتفريط، لا رُخصة في مؤكد السُّنة والرغائب عنده، ولا في النظافة والطهارة والتلاوة والاستخارة والزيارة وصلاة الضحى وتحية المسجد وقيام سويعة قبل الفجر، ويوقظ آل داره كُلُّهم في ذاك الوقت وعيادة المرضى وتشييع الجنائز وإطعام الطعام للصادر والوارد حتى كان نادرة الزمان شائع ذائع خبره في جميع الأوطان، والصَّدقة كل يوم وكل ليلة حتى كادت أن تبلغ عندهُ حدَّ الفرائض أمر مخصوص فوق ما هو عليه من إطعام الطعام للخاص والعام، والمسارعة للفضائل في كل وقت والتواضع لله مع كل الخَلق حتى من لا خَلاق له يُعظِّمهُ ويُكرمهُ ويواسيه ويُجالسهُ و يُباشِشُهُ فوق ما نرفع ونصنع نحن بالعلماء والصالحين ولكن من ذاق عرف

﴿ قد علم كل أناسٍ مشربهم ﴾[1]

فليس من اطَّلع على حقيقة الوجود وعرفها بالعيان والشهود كمن لم يرى الأسماء وأرضاً ومخلوقات مختلفات الألوان والاسماء والصفات واللغات والذوات

﴿ هَلْ يَستوي الَّذينَ يَعلمونَ والَّذين لا يَعلمون ﴾[2]

﴿ أمْ هَلْ تَستوي الظُّلماتُ والنُّور﴾[1]

---

[1]. البقرة ٦٠

[2]. الزمر ٩

لا واللهِ ومع ذلك كان ﷺ يُحبُّ التَّخشُّن في اللِّباس والمأكل والفراش والجلوس ويختار الصلاة والجلوس على التراب، ويقول

" الجلوس على الارض من غير فراش يورث الغنا "[٢] انتهى.

وكان رَحمهُ الله شَديد التَّحفُظ على الاستبراء قولاً وفعلاً ويَحضُّ عليه غاية أكثر مِن كُلِ شيء، ولا يتوضأ الَّا بعد أن تنقطع عنهُ بواقي البول بالكُلِّية ويَطمئن قلبهُ بذلك، ويقول

" من توضأ قبل أن يتحقَّق بانقطاع بواقي البول لا وضوءَ لهُ ولا صلاة ولا دين "[٣] انتهى.

وكان ﷺ يؤكد على المواظبة والدأبُ على الوضوء دائماً ويقول

" قال الله تعالى لكَليمه سيدنا موسى عليه وعلى جميع انبياء الله عليهم الصلاة والسلام يا موسى إن أصابتك مصيبة وأنت على غير وضوء فلا تَلومَنَّ الَّا نفسك "[٤] انتهى.

قال وقد اغتاظ رجل على أمرأته في عهد بني اسرائيل فأوقد ناراً في فرن وأدخلها إياه فلم تَتَّقد عليها النار فقيل لها في ذلك فقالت

" مواظبتي على الوضوء ".

---

١. الرعد ١٦

٢. رسائل مولاي الدرقاوي ص٥٦

٣. رسائل مولاي الدرقاوي ص٥٦

٤. رسائل مولاي الدرقاوي ص ٣٢

قال ومرَّ سيِّدنا عُمر بن الخطَّاب ﷺ براهبٍ وهو في صومعته فَدقَّ عليه الباب فلبث قليلاً وخرج عليه أثر الوضوء، فقال له

" لِمَ لا تُجبني سَريعاً "

فقال يا سيِّدي حين قَرعتَ الباب عليَّ استشرفت عليك فهبتُك حينَ رأيتُك وجزعت منك فكنت أتوضأ لأن الوضوء عندنا أمان.

قال ﷺ

" ونُحبُّ الفقير أن يكون مهما أحدث توضأ وصلَّى ما تيسَّر ويسأل الله من فضله، إذ المراد من الوضوء الصَّلاة والمراد من الصلاة الدُعاء، إذ هو مخ العبادة كما قال عليه الصلاة والسلام

﴿ الدعاء مخ العبادة ﴾[١]

وقال تعالى

﴿ قل ما يعبؤا بكم ربي لولا دعائكم ﴾[٢]

وقال تعالى في الحديث القدسي

"من أحدث ولم يتوضأ فقد جفاني، ومن أحدث وتوضأ ولم يصلي فقد جفاني، ومن أحدث وتوضأ وصلى ولم يدع فقد جفاني، ومن أحدث وتوضأ وصلى ودعى ولم أستجب له فقد جفوته ولست بربٍ جاف"[٣]

---

١. سنن الترمذي

٢. الفرقان ٧٧

٣. رواه أنس بن مالك عن النبي "ص" عن رب العزة في كتاب مفاتيح الجنان في شرح الاسلام للأمام زادة الحنفي

ذكره الشَّيخ زروق وغيره من أئمتنا.

وعنه ﷺ

" دخلت الجنَّة فسمعت خشخشة نعال بلال أمامي أو قال خلفي فقيل لبلال بماذا نلت هذه الدرجة، فقال بمواظبتي على الوضوء في الصلاة فكنت مهما أحدثتُ توضأت وصليت ركعتين أو كما قال "[١].

وكانت حال شيخنا رضي الله عنه صاحبُ الترجمة الطول في الطُّهر والوضوء ويكثر الماء وهو يذم تلك الحال ويقول

" لا تقتدوا بي في هذا بل اسرعوا في الوضوء والطُّهر مع الاتقان لذلك وقلة الماء بلا هدر" انتهى.

ويقول

قال ابن العربي رضي الله عنه في قوله تعالى

﴿ انه لا يحب المعتدين ﴾ [٢]

" في الطهور والدعاء " ومن رأى أن لا يسرع فيهما مع الاتقان وقلة الماء أحَبه وأثنى عليه ويستشهد له بالحديث المشهور الذي في الصحيح وغيره من أن النبي ﷺ قد أقيمت

---

[١]. عن بريدة قال قال رسول الله ﷺ، ما دخلتُ الجنّة إلّا سمحتُ خَشخشة، فقلت من هذا ؟ فقالوا بلال ثم مررت بقصر مَشِيدٍ مربع، فقلت لمن هذا؟ قالوا لرجل من أمة مُحمَّد ﷺ فقلت أنا مُحمَّد لمن هذا القصر؟ قالوا لرجل من العرب فقلت أنا عربي لمن هذا القصر؟ قالوا لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال لبلال بما سبقتني إلى الجنّة؟ قال ما أحدثت إلّا توضأتُ، وما توضأتُ إلّا صليت، وفي رواية إلّا رأيت أن للهِ عليَّ ركعتين أُصليهما، قال صلى الله عليه وسلم "بهما". "صحيح موارد الظمآن الى زوائد ابن حبان".

[٢]. المائدة ٨٧

الصلاة عليه وتذكر انه مُجنب فدخل الى داره وأفاض الماء عليه وأغتسل وصلّى بهم ولم تعُد الاقامة لشدة سرعته في ذاك ﷺ "[1] انتهى.

قلت إنما كان ﷺ يُطَول في الوضوء والطُّهر ويُكثر الماء لأمور وأعذار، وكان رَحمهُ الله و ﷺ يؤخر قُلنسوته وعَمامتهُ في السُّجود ويُباشر الأرض بجبهته وأنفهِ ويُرتِّل القُرآن ويَفصل بين الفاتحة والسُّورة قَدر ما يَبلَع الإنسان ريقهُ، وكذلك بينَ السورة والشُّروع في التكبير قَدر ما يقِف القارئ وقف الاستراحة أو يَرُد كلمة مثل جواب الاستفهام كما اذا قال

﴿ أليس الله بأحكم الحاكمين﴾[2]

أو **﴿ أليس الله بكاف عبده ﴾[3]**

﴿ أولم يكف بربك أنه على كل شيءٍ شهيد﴾[4]

﴿ ألم يعلم بأن الله يرى ﴾[5]

وغير ذلك فانه ينبغي أن يقول سراً بلى وكذلك بعد كل سورة، وعنده الطمأنينة في الركوع والسجود قدر ما يقرأ المصلي الدعاء الوارد في ذلك

---

[1]. عن أبي هريرة قال "أقيمت الصلاة وصف الناس صفوفهم، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا قام في مقامه ذكر أنه لم يغتسل، فقال للناس مكانكم ثم رجع إلى بيته فخرج علينا ينطُف رأسه وقد اغتسل ونحن صفوف"، وفي رواية "فلم نزل قيامًا ننتظره حتى خرج علينا وقد اغتسل"، وأخرجه البخاري وفي لفظ البخاري " ثم خرج إلينا ورأسه يقطر فكبر فصلينا معه". وفي لفظ مسلم: "حتى خرج إلينا وقد اغتسل ينطف رأسه ماءً فكبر فصلى بنا".

[2]. التين ٨

[3]. الزمر ٣٦

[4]. فصلت ٥٣

[5]. العلق ١٤

ثلاث مرات، ولا يكبر بعد التَّشهُد الأول حتَّى يَستوي قائماً، وكانَ يُبَسملُ قبلَ الفاتحة في الفريضة والنافلة ويَسُر بها في الفريضة في محل الجهر للوفاق بين الأئمة ﷺ كما اختار ذلك الامام المزري[1] وغيره، لأن منهم مَن جعلها آية مِن الفاتحة كالإمام الشَّافعي وحَكَم بُطلان صلاة تاركها للأحاديث الصحيحة الواردة في ذلك، ومنهُم مَن لَم يرها آية من الفاتحة ولا مِن غيرها كإمامنا مالك فقال بكراهة قراءتها في الفريضة للأحاديث الصحيحة الواردة أيضاً في ذلك واستحبَّها في النافلة.

وكان ﷺ لا يَترُك الصَّلاة على النَّبي ﷺ كالسَّلام عليه وعلى آله في تَشهُّدِهِ الأخير لا في الفريضة ولا في النافلة ويقول

" الصَّلاة محل تعظيم وتشريف وتكريم ومناجات، ونبينا ﷺ أهل أن يُذكر هنالك ويُصلَّى عليه وعلى آله " انتهى.

وقد حكم الإمام الشافعي ﷺ ببطلان صلات تاركهاً في تشهده الأخير وقد قال

يا آل بيت رسول الله حُبُّكم ... فرض من الله في القرآن أنزله

يكفيكم من عظيم الفخر أنكم ... مَن لَم يُصلِّ عليكم لا صلاة له

وكان يُحبُّ الوضوء قبل دخول الوقت ويُحبُّ التأني بين الأذان والإقامة هنيئة ويقول

---

[1]. أبو عبد الله مُحمَّد بن علي بن عمر بن مُحمَّد التَّميمي المازَري، إمام المالكية في عصره، ومن المحدّثين المشهورين، بلغ درجة الاجتهاد، حتى سُمِّي "بالإمام ." ولد في حدود سنة ٤٤٣ هـ، وقيل سنة ٤٥٣ هـ تُوفِّي يوم ١٨ ربيع الأول سنة ٥٣٦ هجرية.

" **ولو مقدار ما يفطر الصائم** " انتهى، كما نصَّ عليه الشَّيخ زرُّوق ﷺ.

وكان إذا سلَّم مِن صلاته أستغفر الله ثلاثاً كما وردَ مِن فعل النَّبي ﷺ ويقول والله أعلم

" **اللَّهُم أنت السَّلام ومِنكَ السَّلام واليك يَعودُ السَّلام أحينا رَبنا بالسَّلام تباركتَ يا ذا الجَلال والإكرام لا إله إلَّا الله وحدهُ لا شريكَ له، لهُ المُلك ولهُ الحمدُ وهو على كُلِّ شيءٍ قدير، اللَّهُم لا مانع لِما أعطيت ولا مُعطي لِما مَنعت ولا رادَّ لِما قَضيت ولا يَنفعُ ذا الجدِّ مِنك الجد** "

ويقرأ آية الكُرسي الى آخرها، ويذكُر المُعقبات الواردة بعد الصَّلاة ويذكُرهُنَّ مجموعة، ويبدأ بالتَّسبيح ويؤخِّر التكبير كما أختاره الإمام ابن عرفة ﷺ[1] ويرفع يديه ويسأل الله من فضله الهداية والعافية لجميع عباد الله وكان ﷺ أحبُّ الأعمال والأذكار والعبادات اليه الصَّلاة، ويقول

" **كررنا أعمالاً كثيرة لسنين عديدة وقد وجدنا لسائرها بركة كبيرة وبركة تكرار الصلاة قد وجدناها والله تفوق بركة كل عمل ولولا ما تعرَّض لنا قول المشايخ ﷺ الذي هو " من لا شيخ له الشيطان شيخه ومن لا شيخ له لا قبلة له** "

" **ومن ليس له استاذ فهو بطال** "

الى غير ذلك، لقُلنا أنها أي الصلاة تقوم مقام الشَّيخ "[2] انتهى.

---

[1]. بو عبد الله مُحمَّد بن مُحمَّد بن عرفة الورغمي فقيه مالكي، أشعري المعتقد، ولد سنة ٧١٦هـ وتوفي سنة ٨٠٣هـ كان إمام جامع الزيتونة وخطيبه في العهد الحفصي.

[2]. رسائل الدرقاوي ص٥٧

وكذلك الصَّلاة على رسول الله ﷺ وكذلك الهيللة وكذلك تلاوة القرآن وغير ذلك من أعمال البِرّ لأنه رضي الله عنه يرى الدأب على العمل مع حضور القلب وترك جميع ما لا يعني والمحافظة على الفرائض والسُّنن يقوم مقام الشَّيخ لمن لم يجده، وكان يحض على الصلاة غاية ويحرض عليها كثيراً لما رأى فيها من المصافات والمناجات ومحل تنزل البركات والرحمات واجماع جميع العبادات حتى قال رضي الله عنه

" ونرى والله أعلم أنَّ مَن صلَّى الصَّلاة كاملة الشُّروط والأدب بشرط أن لا يتوضأ إلَّا بعد استبرائه مِن بوله غاية حتى لا تبقى أدنى بواقيه فأنه يُفتح عليه الفَتح الكبير الذي لا مَثل لهُ ولا نظير إن شاء الله تعالى "

وكان يقول

" اغتنموا الصلاة قبل الفوت بالضّعف أو الكبر أو الموت، ومَن عليه فوت فليقضها والَّا سوف يندم عليها "[1] انتهى.

والحاصل كانت والله قُرَّة عينه ومطمح نظره ومفزعه في الرخاء والشِّدة والملأ والوحدة وأعظم الكنوز والرخاء عنده، فلا يعجز عنها ولا يكسل ولا يقنط مِن تكرارها ولا يَمِل حضراً وسفراً قياماً وقعوداً صحةً وسقماً مع كُبر سِنِّه، وحُقَّ لهُ لأنهُ كيمياء الأُدباء الذي يَقلبُ الأعيان ذَهباً.

وقد قال عليه السلام

" جُعلت قرة عيني في الصَّلاة "[2]

---

[1]. رسائل الدرقاوي ص٥٧

[2]. رواه انس بن مالك " المعجم الكبير للطبراني

وقال " **أرِحنا بها يا بِلال** "[1]

وقال تاج الدين رضي الله عنه[2]

" الصلاة طهرة للقلوب من أدناس الذنوب واستفتاح لباب الغيوب " انتهى.

" الصلاة محل المناجاة ومعدن المصافات تتسع فيها ميادين الأسرار وتشرق فيها شوارق الأنوار، علم وجود الضعف منك فقلّل أعدادها وعلِم احتياجك الى فضله فكثّر أمدادها "[3] انتهى.

ولا شكَّ أن الله عز وجل تكرَّم بها بهذه الصفة على هذه الأُمَّة المُحمَّدية بأن جمع لها فيها عبادة الملأ الأعلى كُلُّهم إذ كل واحد منهم له مقام معلوم فقط، فكنا نُشبِّه القائم بالقيام والرَّاكع بالرُّكوع ونُضاهي السَّاجد بالسُّجود، ونُماثل القاعد بالجلوس والقارئ بالقراءة، والمُسبِّح بالتَّسبيح والمُهلِّل بالتَّهليل والتَّكبير، وكذا الدعاء وإشخاص البصر والاخبات والخشية والخضوع بل فيها معراج التَّرقي وحضرة قاب قوسين أو أدنى بالتَّلقي، فهي ليلة الإسراء وآية

﴿ ولقد رآهُ نزلةً أخرى ﴾[4]

---

[1]. وعن سالم بن أبي الجعد، قال: قال رجل قال مِسْعَر أُراه من خزاعة ليتني صَلَّيت فاسْتَرَحْتُ، فكأنَّهم عابوا عليه ذلك، فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يَا بِلَالُ أَقِمِ الصَّلَاةَ أَرِحْنَا بِهَا. صحيح "سنن أبي داود"

[2]. الحكم العطائية لابن عطاء الله

[3]. الحكم العطائية لابن عطاء الله

[4]. النجم ١٣

فيها يُكلّم الله عبدهُ على لسانه ويقول

" سمِع الله لِمن حَمِده "

فيحمده بجنانه وجميع أركانه ويخضع العبد على الرّكب ويُحَيّ سيّدهُ بلسان نبيه بكل التّحيات والقُرب، ويُسلّم على نبيّه على لِسان سيّدِهِ، ويَردُّ على كل صالح مِن لسان نبيّه على سيّده، ويُخبر بالتشهّد على مُلاقات الكرام البررة المُقرّبين وعَن استدراك المؤمنين لذلك، الى غير ذلك من اسرارها ابتداءً وانتهاءً وهي كثيرة فأي قربة كهذه القربة وأي مرتبة كهذه المرتبة ومنها ما تقضي حوائج المؤمن لو كان يعلم ويعمل.

سمعت استاذنا رضي الله عنه يقول مراراً

" فمها احتجت الى حاجة من الحوائج قلّت أو جلّت إلّا وأعرضت عنها وأقبلت على ربي، الّا وتلك الحاجة حاضرة بين يدي بقدرة السّميع العليم، قال ونرى والله أعلم أنّ حوائج العامّة تُقضى بالإقبال عليها والتسبُّب فيها وحوائج الخاصة تُقضى بالإعراض عنها والإقبال على الله " انتهى.

وقد رأينا منه ذاك على الدوام والاستمرار فحين كانت تشتد به الحاجة أو تنزل به الدواهي التي تُدكدِك الجبال كان يعرض عن ذلك ولا يُدبّر ولا يَختار ولا يَخوض فيه لا قلباً ولا قالباً، ويُقبل على الله بقلبه بسلب الارادة اليه والاستسلام لقهره والقناعة بعلمه مع تلبس جوارحه بالأعمال كالفزع الى الصلاة، وكانت هي مفزع رسول الله ﷺ عند الشِّدة كما ورد، أو الى الصلاة على رسول الله ﷺ، أو التلاوة والغالب أنّ تلاوته لا تكون إلّا داخل

الصلاة وربما تكون جهراً في النهار وكان يفعل ذلك. وقد قال الشَّيخ الجليل سيّدي ابن أبي زيد القيرواني رضي الله عنه[1] في رسالته

" وإن جهر بقراءته في النوافل نهاراً فواسع أو كما قال أو الى الهيللة أو التسبيح " انتهى.

فمهما كان يفعل ذلك هو ومن معه إلَّا ويجعل الله فرجاً ومخرجاً يتعجَّب منه كل أحد وذاك ثمرة سرُّ الرُّجوع الى الله وسمعته يقول

" منذ خمسة وخمسين سنة قد فتح الله عليَّ فتح العارفين به فرأيت إن كل واحد من الناس قد خصته حوائج شتى وهم في الحقيقة كلهم ما خصتهم الَّا حاجة واحدة وهي الاقبال على الله والاعراض عن ما سواه "[2] انتهى، وقد حصل لنا هذا والحمد لله والشكر لله.

[1]. ابن أبي زيد القيرواني هو عبد الله أبو مُحمَّد بن عبد الرحمن أبي زيد القيرواني، ولد بالقيروان بتونس سنة ٣١٠ ﻫ وهو من أعلام المذهب المالكي وقد لُقِب بـ "مالك الأصغر" وكان إمام المالكية في وقته وأشهر مصنفاته كتاب " الرسالة " وتوفي سنة ٣٨٦ ﻫ

[2]. رسائل الدرقاوي ص٣٨

فصل في الذكر

أعلم خلَص الله لنا ولك النيّات والمقاصد وجعل جمع الأقوال منّا والأفعال والأحوال والحركات والسكنات والأنفاس واللّحظات والواردات والخطرات على نعت العارف المُشاهد، أن ذكر الله والاقبال عليه ليس هو عند استاذنا في أمر بعينه مخصوص، بل في كل عبادة وعادة مِن أفعال النّبي ﷺ وردت بها النصوص، اذ كل ما ثبت عنه ﷺ مِن قول وعمل وحال فهو عين الذِّكر الذي يوصل الى الله والوقاية العظمى التي تحجب العبد عما سوى الله، وإنما اختلفت الناس في المقاصد والنيّات فلذلك تجد أُناساً على ذكر واحد مِنهُم مَن ينالُ به الثَّواب والأجور، ومِنهُم مَن ينالُ القُرب والحُضور، ومِنهُم مَن ينالُ الوصول بالاستغراق عمّا سوى المذكور

" **إنّما الأعمالُ بالنيّات وإنما لِكلِّ امرئٍ ما نَوى** "[1].

حُكي أن روح الله سيدنا عيسى عليه السلام وعلى جميع الأنبياء أفضل الصَّلاة والسَّلام مرَّ في ثلاث طوائف يعبدون الله فقال للأولى

" ما الذي قصدتم " قالو خوفنا الله من ناره فخفنا منها " فقال

" حقاً على الله أن يؤمنكم مِمّا خوفكم منه " وفي رواية قال لهم

" مخلوقاً خفتم " وجاوزهم.

---

[1]. قال علقمة بن وقاص الليثي سمعتُ عمرَ بنَ الخطابِ رضي الله عنه على المِنبرِ قال سمعت رسولَ الله ﷺ يقولُ" يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّما الأَعمال بالنيَّاتِ " وفي روايةٍ " العملُ بالنيَّةِ وإنما لكلِّ امرئ ما نوَى، فمنْ كانتْ هجرتُه إِلى اللهِ ورسولهِ فهجْرتُه إلى الله ورسولهِ، ومن كانتْ هِجرتُهُ إلى دُنيا يصيبُها أَوْ إلى امرأَةٍ يَنكِحُها وفي رواية يَتزَوَّجُهَا فهِجرته إلى ما هاجرَ إليهِ". صحيح "سنن ابن ماجة"

ومرَّ بآخرين فقال " ما الذي طلبتم " قالو

" شوَّقنا الله لجنته وما أعد فيها لأهل طاعته فطلبنا منه ذلك " فقال لهم

" حقاً على الله أن يُعطيكم ما رجوتم " وفي رواية أيضاً قال لهم

" مخلوقاً رجوتم " وجاوزهم.

ومرَّ بآخرين فقال لهم " ما الذي تطلبون من الله " قالوا

" ما عبدناه خوفاً من ناره ولا طمعاً في جنته وإنما عبدناه محبَّةً فيه وشوقاً اليه " فقال لهم

" أنتم المخلصون وأولياء الله حقاً وقد أُمرت أن أُقيم بين أظهركم "

فقام بين أظهرهم، فأنظر رحمة الله ما فُضِلت هذه الطائفة على الأولى والثانية إلَّا بإخلاص القصد والنيَّة.

فلذلك كان أستاذنا صاحب الترجمة ﷺ يقول

" نؤكد على كل من رجع من حال الغفلة الى حال الذكر أن يعلق قلبه دائماً برؤية عظمة ذات ربه سبحانه لتمده بمعانيها اذ هذا شأنها مع من له تعلق برؤيتها، بخلاف من كانت همته منصرفة في تحصيل العلم فقط أو تحصيل العمل فقط، فهذه همته منصرفة في غير ذات ربه والله يرزق العبد على قدر همته، والسكون تحت مجاري الاقدار والرضى بما يحكم الفاعل المختار سبحانه لا إله الا هو، هوَ اكبر الأعمال وأعظم المواهب والنوال وهذه هي الغفلة ولو كان مستغرق الأوقات بالأذكار في كل يوم وليلة "[1] انتهى.

---

[1]. رسائل الدرقاوي ص ١٥٧

سَمِعتُ استاذي ﷺ يقول

" ليس الذكر عندنا أن يقول الذاكر " الله الله "دائماً، أو يُصلِّي دائماً، أو يُصلِّي على رسول الله ﷺ دائماً، أو يتلوا دائماً أو يذكر هيللة دائماً، وهكذا حين يتجلَّى له ربه بما يخالف هواه أو نقول بأسمائه الجلالية ينكره ويجهله، بل الذكر عندنا أن يقوم الذاكر بالمفروض وبما تأكد من المستوى ويترك كل ما لايعنيه، وحين يتجلَّى له ربه بما يخالف هواه أو نقول بأسمائه الجلالية يعرفه ولا يجهله، فاذا ذكر الله مع هذه الحال الشريفة مرة واحدة أو تلى سورة واحدة أو غير ذلك خير له مِن ألف مرَّة مع الحالة الذميمة أو كما قال وهذا معناه " انتهى.

ومع ذلك كان ﷺ لا يخل بأمر مِن الأمور التي وردت عن الشارع ﷺ عادة وعبادة مِن كُلِّ الآداب في أكل وشُرب ولباس ونوم ويقظة ودخول وخروج وركوب ونزول وقيام وقعود ومعاشرة أهل وحركة وسكنة في الملأ والوحدة، و ملاقات الناس و مُباششتهم ونُصحهم بالتي هي أحسن وبذل المعروف لهم واغاثتهم وتفريج كربهم وتذكيرهم بالسُّنن والأثار وحكاية الأبرار، وتَعاهُدِهم بالموعظة مِن غير أن يسأمُهم أو يُقنّطهُم أو يتركُهم سُدىً، ولم يؤمِّن مِن مكرِ الله ولا ييأس مِن رَوح الله، ويعود المرضى ويُشَيِّع الجنائز ويحضر الولائم إن دُعي ويَتعجَّب مِمَّا يُتعجب مِنهُ ويَضحك مِمَّا يُضحِك الناس، ويُباسط الصبيان والعجائز بالقول المُباح ويجلس حيثُ انتهى به المَجلس، ويَلتفتُ ويُقبلُ على كل أحد مِن جُلسائه حتى يظن أنه أحبُّ الحاضرين اليه، ويَستفهِم مَن كلَّمهُ ويُكرِّر الكلام إن حدَّث بحديث نسابة، يسأل كل أحد مِن النَّاس ويُلحقهُ بشيعتهِ وقبيلتهِ.

أزهى الجلساء وأعلاهُم وأطول القائمين وأملاهم، لو كان معه ألوفا مِن النَّاس مِن أمثاله لم يقع النظر إلَّا عليه مِن غير طول مُفرط، جميل الصورة

غاية مُعتدل الأعضاء نيّر الوجه صافي البَدن كثيف اللِّحية ما رآهُ أحد إلَّا أحبَّهُ ولو كان عدوّاً له، وبالجُملة كان آية مِن آيات الله خَلقاً وخُلُقاً خليفةً لرسولِ الله ﷺ حقاً وصرفاً وأنى لي أن أصفه وفاقاً نسقاً فهذا والله بعيد.

وكان ﵁ يَسرُد كُتب الصُّوفية ﵃ على طبقاتهم أهل المجاهدة والرياضة والسلوك وأهل الجذب والحقائق بداية ووسط ونهاية، ويقتطف من بستانها الأزهار والأنوار ويَجني منها الفواكه والأثمار، ويُطالع بعض كُتب الفِقه كالعبادة وشُرَّاح الرِّسالة و" **ميارة الكبير والصغير علي ابن عاشر** "[1] و" **بشرح الوغليسية** " للشَّيخ زروق[2] و " **طبقات الأولياء** ﵃ " للشَّيخ الشعراني[3] ﵁ و " **نيل الابتهاج في طبقات العلماء** " ﵃ للشَّيخ أحمد بابا السُّوداني[4] و" **المُعزَّى في مناقب الشَّيخ أبي يعزى** "[5] وغيرهم وعلى التفسير للإمام ابن عطية[6] والإمام الخازن[1] وذي الجلالين[2]، ولم أراه

---

[1]. عبد الواحد بن عاشر هو أبو مُحمَّد عبد الواحد بن أحمد بن علي ابن عاشر الأنصاري، المعروف بابن عاشر، وهو من حفدة الشيخ أبي العباس ابن عاشر السلاوي. فقيه عالم من المغرب.

[2]. أحمد بن أحمد بن مُحمَّد بن عيسى البرنسي الفاسي المعروف بزرّوق ٨٤٦- ٨٩٩هـ تلميذ الشيخ أحمد بن عقبة الحضرمي وشيخ سيدي ابراهيم الفحام ﵁.

[3]. أبو المواهب عبد الوهّاب بن أحمد بن علي الأنصاري المشهور بالشعراني، العالم الزاهد، الفقيه المحدث، المصري الشافعي الشاذلي ٨٩٨- ٩٧٣هـ عاش الشعراني ٧٥ عاماً وقد ذكر أنه خلف فيها ٣٠٠ كتاب في موضاعات شتى.

[4]. أحمد بابا بن أحمد بن الفقيه الحاج أحمد بن عمر بن مُحمَّد التكروري التمبكتي السوداني، ولد " ٢١ ذو الحجة ٩٦٣ هـ وتفي ٦ شعبان ١٠٣٦ هـ " فقيه مالكي ومن مؤرخي التراجم في السودان الغربي.

[5]. سبق تعريفه

[6]. هو أبو مُحمَّد عبد الحق بن أبي بكر غالب بن عبد الرحمن بن غالب بن عبد الرؤوف بن تمام بن عبد الله بن تمام بن عطية بن خالد بن عطية المحاربي من قبيلة قيس غيلان بن مضر، من أهل غرناطة ولد سنة٤٨١ هـ بغرناطة بالأندلس، كان فقيهاً عالماً بالتفسير والأحكام والحديث، توفي سنة ٥٤١هـ، له كتاب المحرر الوجيز في الكتاب العزيز.

استوفى مطالعة كتاب مِن أوله الى آخره قط سوى الامام البخاري رضي الله عنه[3] استوفاه مرتين أو ثلاثة وكتاب الشفا للقاضي سيّدي عياض رضي الله عنه[4] واستوفاه مرة أو أكثر، مع كِبَر سِنِّه وضَعف قوته إذا رأيته قُلت لا يقدر على قراءة ورقة واحدة لكن كان صاحبُ قريحة وعزم وجد واجتهاد وباطن مأخوذ في مشاهدةِ ذا الجلال سُبحانه، ففلكُ ذاته مُختلف السَّير والدوران مُستقرُّ الباطِن صاحي سكران نائم يقظان جامد تُراب

﴿ وتَرى الجِبالَ تَحسبُها جَامدة وهي تَمرُّ مَرَّ السحَّاب ﴾[5]

مُتسبباً مُتجرداً جامعاً للضدَّين وعارفاً في النَّجدين، يُحبُّ التَّجريد ويأمرُ به ويَلبسُ المُرقَّعة ويقول

" التجريد مِن الدُّنيا ظاهراً وباطناً يصلح لجميع الناس، وعندي ما من رسول ولا نبي إلَّا كان متجرداً مِن الدُّنيا ومحذراً متبعيه منها، قال والتجريد كالأكسير عند أهله فلا ينكره الَّا مَن جهله ولم يعرف قدرهُ "[1] انتهى.

---

[1]. علاء الدين الخازن هو علاء الدين علي بن مُحمَّد بن إبراهيم بن عمر الشيحي المعروف بالخازن، وعُرف بالخازن لأنه كان أمينًا لمكتبة في دمشق .كان الخازن عالم بالتفسير والحديث، ومن فقهاء الشافعية، ولد في بغداد عام ٦٧٨ هـ توفي في حلب عام ٧٤١ هـ

[2]. تفسير الجلالين هو مختصر في تفسير للقرآن، من تأليف جلال الدين المحلَّى، وأكمله جلال الدين السيوطي .

[3]. أبو عبد الله مُحمَّد بن إسماعيل البخاري ١٣شوال ١٩٤ هـ – ١ شوال ٢٥٦ هـ أحد كبار الحفّاظ الفقهاء من أهم علماء الحديث وعلوم الرجال والجرح والتعديل والعلل عند أهل السنة والجماعة، له مصنّفات كثيرة أبرزها كتاب الجامع الصحيح، المشهور باسم صحيح البخاري، الذي يعد أوثق الكتب الستة الصحاح والذي أجمع علماء أهل السنة والجماعة.

[4]. أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض السبتي اليحصبي ٤٧٦ هـ ٥٤٤ هـ قاض مالكي .العلامة والفقية المؤرخ الذي كان من بين الناس العارفين بعلوم عصره.

[5]. النمل ٨٨

وقد سمَّاه تاج الدين " الهمَّةُ العلية " وكان عليه سيّدي أبو يزيد البسطامي وسيِّدي الجنيد وسيِّدي أبو يعزى المغربي وسيِّدي ومولاي عبد السلام بن مشيش ونظرائهم ﷺ وهم كثيرون وما قل أهله في هذا الزمان الذي قلت محاسنه وكثرت قبائحه الا لصعوبته على النفوس اذ لا يقدر أحد أن يتجرَّد من أسبابه وثيابه وعوائده الَّا مَن أخذ الله بيده فأعطاه الثقة به والتوكل عليه.

[1]. رسائل الدرقاوي ص ٥٨

فصل في حلقة الذكر

أمَّا حلقة الذكر الذي شاع وذاع أمرُها عند كافة أصحابه بأرض المغرب وبأرض المشرق والصحراء وسوس الأقصى وغير ذلك في سائر المدن والقرى والمداشر والخيام، في المساجد والزوايا والديار ليلاً ونهاراً بالجهر والقيام والقعود والإجلال والتعظيم جماعةً على لسان واحد وميلة واحدة بالإشباع والتوسط، والقصر في الهيللة واسم الجلالة باللِّسان والصدر على حسب المراتب وتشبيك الأيدي في القيام وفي الجلوس كحالة التشهد الى غير ذلك من آدابها وإنشاد المعاني الرقيقة و تغزُّلات الحقيقة التي اصطلح الصوفية ﷺ عليها، فهي دأبه وديدنه ومنها كان فتحه واستمداده وعليها دار مذهبه ومشربه، والمبتدئ والمتوسط والمنتهي وطالب التبرُّك وذو المحبَّة كُلُّهم عندهُ فيها سواء كالصَّلاة، وكل واحد يجني ثمرةَ ذكره بحسب مكانته مِن رَبِّه وقَدْرِهِ إلَّا النِّساء فلا يُحبُّ حُضورهنَّ بَلْ ولا قُربهنَّ للرِّجال، نعم إن كُنَّ وَحدهُنَّ بموضع خَلوى بحيث لَم تُسمع لَهنَّ أصوات فَيُحبُّهنَّ يَذكُرنَ حينئذٍ جماعة على لسان واحد جهر الحال حلقة الذِّكر المشهورة عنه، وقد كُنَّ على هذا الحال جماعات مِن النِّساء مِن مُحبَّاته فَربِحن وحَسُنَ حالهُنَّ والحمدُ لله.

ولا شكَّ أنَّ حلقة الذِّكر روضةٌ مِن رياضِ الجنَّة كما قال ﷺ

" إذا مَررتُم برياضِ الجنَّة فأرتعوا، قيلَ وما رياضُ الجنَّة يا رسول الله قالَ حِلقُ الذِّكر "[1]

---

[1]. مسند أحمد رواه أنس بن مالك

ويَجدُ سِرَّها مَن امتثلَ هذا الحديث الشَّريف ودامَ عليه، فأستاذنا ﷛ لمَّا عَلِم فضلَها وبرَكتها وسِرَّها وخَيرها ومَزيَّتها كانت عنده هي أسمى الوسائل وأسنى الفضائل وبسببها تابَ كثير مِن النَّاس الى رَبّه ودخلَ في الطَّريق وسلكَ التَّحقيق قَديماً وحَديثاً في كُل عَصر.

وقد سَمعتهُ ﷛ يقولُ للعالِم القدير الصُّوفي المُحقِّق الكبير الشَّريف العارف بالله أبي العبَّاس سيِّدي أحمد بن عجيبة المنجري الحسني[1]

" اعلم يا سيِّدي إن عمل السِّر يفضلُ عمل الجهر سَبعين ضِعفاً كما وردني، وإنَّ حلقة الذكر التي عليها اخواننا الفقراء اليوم في كل أرض جهراً تقوم مقام عمل السِّر إذ الوقت وقت غفلة وقد استولت فيه أي الغفلة على الناس كُلُّهم إلّا النادر منهُم فالجهر بالذكر والحمية في الدِّين هكذا أولى مِن اخفائه " انتهى.

واستحسن سيِّدي أحمد بن عجيبة ذلك وأعجبه غاية رضي الله عنهما ونفعنا بهما وبعلومهما آمين.

---

[1]. أبو العباس أحمد بن مُحمَّد بن المهدي بن الحسين بن مُحمَّد بن عجيبة الإدريسي الحسني الشريف، وُلد سنة١٢٢٤ – ١١٦٢ هـ أحد علماء أهل السنة والجماعة ومن أعلام التصوف في المغرب، لقي مولاي العربي الدرقاوي وأخذ عنه.

فصل فيما يتيسر من ذكر بعض أوصاف بشريته وروحانيته مجملا ونزر قليل مما رأيناه منه قولاً وعملاً

أعلم جعلنا الله وإياكم من المنظومين في عقد سلكه وسقانا رحيق كأسه المختوم بمسكه، أن ظاهره كان بشرية مِن جملة البشر تطرأ عليه أوصاف الانسانية المضادة للأوصاف الالهية، كان ينسى ويسهو ولا يدري الأمور ويسأل عنها، ويَضعف ويَمرض ويحتاج ويتوقَّف ويفتقر ويعجز وينام ويأكل ويشرب وينكح، ويخالط الناس ويبيع ويبتاع ويرهن ويتسلَّف ويتعجَّب ويَضحك ممَّا يُضحك الناس ويَمزح بالأدب، ويشير في ذلك الى قدرته الى غير ذلك من أوصاف البشرية التي لا تناقض العبودية، بل بها وفيها كمالها وبوجودها ظهر سر الربوبية وجمالها، والحاصل ظاهره كالناس وباطنه وحقيقته لله ليست كالناس وإن وافقهم في الصورة بمشاهدته لم تكن لهم في نفوسهم وفي الكائنات محصورة.[1]

كان يقول على الدوام

"كل شيء ظن الناس لحوقه ورجوا ادراكه ألّا كونهم يذكرون الله عز وجل ذكراً حقيقياً يرحلهم عن هذا الوجود حتى يفنى في نظرهم ويتلاشى ويضمحل ويزول ولم

---

[1]. طرة في الهامش كان يقول على الدوام " لست بملك إنما أنا ولد أم من قريش كانت تأكل القديد" نأكل الطعام ونمشي في الاسواق ويحل فيَ ما يحل بالبشر من الأسقام والأمراض نحتجم ونتداوى ونموت ونبعث، ولا تفضلوني على يونس ابن متى ونحن أحقُّ بذلك من إبراهيم ولو لبثت في السِّجن ما لبث يوسف لأجبت الداعي ورحم الله موسى فقد أوذي بأكثر من هذا فصبر الى غير ذلك والآداب والخلق الحسن التي لم يدركها سابق ولا لاحق عارفاً بالله متخلقاً بأخلاقه ساجداً لجلاله وسلطانه وكبريائه وقهره وجبروته وملكوته محبباً لله عباده ومحبباً عباده اليه معرفاً لهم ايادي نعمه ومشعراً لهم بأنواع جوده

يبقَ إلا الملك الحق الواحد الأحد سبحانه لا إله إلا هو، لم يظنوا ذلك مع ان الأمر حقاً كذلك، وَ والله لو قُرض جسم العارف بالله حقيقةً بالمقاريض ما خطر على قلبه شيء سوى الله تعالى، أبى المحققون ان يجهروا غير الله إذ لا وجود لشيء سواه "[1] انتهى.

وسمعته يقول

" العارف هو الاكسير الذي يقلب الاعيان حقيقة لا محالة، كان عندنا مفارقة بعض الامور من المحال القطعي من جملتها الأكل والشراب والنوم والجماع ومخالطة الناس والاستئناس بهم، فإذا بنا إن شئنا والله ان لا نأكل ولا نشرب ولا ننام ولا نباشر النساء ولا نخالط الناس لكان لنا ذلك بلا مشقة ولا تعب "

وسمعته يقول

" ان رأيتموني مفتقراً ومحتاجاً ومضَيقاً وعاجزاً ومهاناً ومنكسراً وذليلاً وضعيفاً وهكذا فإني في الباطن والله لست كذلك ولا أنا هنالك إذ تبدل وصفي بوصف سيِّدي ونعتي بنعته، سبحان من ستر سرِّ الخصوصية بظهور وصف البشرية وظهر بعظمة الربوبية في اظهار وصف العبودية " [2]انتهى.

وبالجُملة رُوحهُ مُتعلقةٌ ومتخلقةٌ بأخلاق العَلي الأعلى ومِن جُملة المُقرَّبين مِن المَلأ الأعلى، قد بعثَ روحُ الهام الحقِ في نَفسها وبَصرها وسَمعها فكان فرقُها عينُ جَمعها، وارثاً لرسولِ الله ﷺ مُتخلقاً بأخلاقهِ حرية وعبودية قائلاً بلسانه ما عاين بسره وجنانه كقوله ﷺ

---

1. رسائل الدرقاوي ص ٣٦
2. رسائل الدرقاوي ص ٣٧

" لستُ كأحدكُم أنا أظلُّ يُطعمني ويَسقيني[١]، ولو كنتُ مُتخذاً خليلاً لاتَّخذتُ أبا بكرٍ خليلاً ولكن أُخوة الاسلام صاحبُكم خليلُ الرَّحمن[٢].

" وتنامُ عيناي ولا ينامُ قلبي "[٣]

" وإنّي أراكُم مِن خَلفي ولا يَخفى عليَّ رُكوعكُم ولا سُجودكُم "[٤]

" وأنا سَيِّدُ ولدِ آدم ولا فَخر " وكُنتُ نبياً وآدمُ بينَ الماءِ والطِّين وكُنتُ نبياً ولا آدم ولا ماء ولا طين وآدم، ومَن دُونهِ تَحتَ لوائي "[٥]

الى غَيرِ ذلك مِن بَعضِ الرَّشحات التي تلوحُ مِن زاخرِ بَحرِ الباطن، وأمَّا ما فيه الظَّاهر ساكنٌ وقاطنٌ

﴿ إنما أنا بَشرٌ مِثلُكم ﴾[٦]

﴿ وما أدري ما يُفعل بي ولا بكُم﴾[٧]

---

١. حدثنا وكيع عن العُمَريّ عن نافع عن ابن عمر أن النبي صلي الله عليه وسلم نَهى عن الوِصال في الصيام، فقيل له إنك تفعله فقال "إني لستُ كأحدكم إني أَظَلُّ يُطعمني ربي ويسَقيني". مسند أحمد

٢. حدثنا أبو داوود الحراني حدثنا محاضر قال حدثنا الأعمش عن عبد الله بن مرة، عن أبي الأحوص قال قال عبد الله قال رسول الله ﷺ "أبرأ إلى كل خليل من خلته ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا وإن صاحبكم خليل الله" مستخرج ابن عوانة

٣. عن أَبي هريرة، عن النبيّ ﷺ قال "تنامُ عيني ولا ينام قلبي". صحيح ابن خزيمة حسن صحيح

٤. عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال أتَرون قبلتي ها هنا؟، فو الله ما يخفى عليّ خشوعكم ولا ركوعكم، إني لأراكم من وراء ظهري" مسند أحمد

٥. الحديث طويل ذكر في الصحاح

٦. الكهف ١١٠

٧. الأحقاف ٩

" لا أملكُ لنفسي نفعاً ولا ضراً إلَّا ما شاء الله ولو كُنتُّ أعلمُ الغَيبَ لاستكثرتُ مِن الخيرِ وما مَسَّنيَ السُّوء إن أنا إلَّا نذيرٌ وبَشير لقومٍ يؤمنون"[1]

ملاحظاً عنده بعين الرعاية قلَّدهُ سيف الخلافة وأخذه عنه وسلبه منه فغطى وصفه بوصفه ونعته بنعته فكان مظهر أسمائه وصفاته وعظمة ذاته خِلة ومحبَّة من أحبه أحبه

﴿ قُل إن كُنتم تُحبُّون الله فاتَّبعونِ يُحببكُم الله ﴾[2]

﴿ ومَنْ يُطِع الرَّسول فَقد أطاعَ الله ﴾[3]

﴿ إنَّ الذين يُبايعونكَ إنما يُبايعونَ الله ﴾[4]

فبالأوصاف النَّبوية والحُلل السُّنية السَّنية سيِّدنا قد اتَّصف، وخَلقه بها كان مِن غير تكلف وهو في جميعها مُصرَّف لا مُتصرِّف ومُعرَّف لها لا مُتعرِّف.

---

1. الأعراف ١٨٨
2. آل عمران ٣١
3. النساء ١٦٨
4. الفتح ١٠

فصل في حقيقة ما انطوت عليه المعاني

أعلم وفقنا الله وإياك لصالح القول والعمل وبلغنا فيما لديه غاية المنا والأمل، انه لا يفهم حقيقة ما انطوت عليه هذه المعاني ولوَّحَت له من الرموز والمعاني، الّا مَن سلك طريق الصوفية وأطَّلع على أصلها ومبناها وأشرقت في أفق ليل وجوده شمسُ الحقِ ولاحَ عليه سناها، وخرجَ دَيرهُ وتحوَّلَ غيرهُ ورأى شَرَّهُ وحَتفَ أنفهُ خيرهُ، وأنشأهُ الله إنشاءً ثانياً بعد أن كانت حقيقتهُ عندهُ نسياً منسيَّاً، فَعلِمَ ما لم يَعلم وأبصرَ ما لا يَبصر وسمِعَ ما لا يَسمع وكان كلُّه أعين تُبصر وآذان تسمع، فأنشد قول القائل وقال[1]

إذا ما بدت ليلى فكلي أعين وإن هي نادتني فكلي مسامعُ

وأنشد قول الآخر[2]

فأذني لم تسمع سوى نغمة الهوى ومنكم فاني لا من الطير سامع

قال الشَّيخ الحاتمي " والكامل يسمى " أبو العيون " في نصيحته للإمام الفخر الرازي ﷺ ولم يَغيب عن شهود هيكله وصورته التي كرَمها الله وفضلها على كثير من خلقه، فهو برزخ بين ملكه وملكوته وجوهرة قد انطوت عليها اصداف مكوناته، فلا يعادله ولا يماثله شيء إن قلت يشبه البدر أقول فوق ذلك، وإن قُلت الشمس قُلت أكبر من ذلك، وإن قُلت ليلة القدر قلت أحسن منها، أو قُلت الماء فهو أصفى وأروى، أو الهواء فهو أسنى وأضوى، أو الصفا والمروة والحرم وزمزم وعرفة والبيت والرُّكن

---

[1]. البيت لابن الفارض

[2]. قصيدة النادرات العينية

والحجر والمقام والشعائر والمناسك العظام، فإن أُمِّم بهم وطُوِّف فهم به يطوفون ومِن عزِّهِ يقترفون، وكذلك الطُّور وكتابٍ مَسطور في رَقٍ مَنشور والبَيتِ المَعمور والسَّقف المَرفوع والبَحر المَسجور فهم مشكاته وهو لهم نور، والطير والوحش والنمل والثقلين وما دبَّ أو نما في برٍ أو بحرٍ أو أرضٍ أو سماءٍ فالكل منه يستمدُّون وفي امتثال أمره مُجدُّون، ومُجمل القول فيه أنه كلمات الله التي لا حصر لها ولا نفاد، ولو كانت الأشجار أقلاماً والبِحار تَمدُّها مِن بعدها أبحر بمداد والخلائق كتاباً، ومُدة الخلد والأبد لا تحصى شمائله ولا تتناهى فضائله " انتهى.

قد اشار الشَّيخ أبو العباس المرسي نحو جانب هذا الاكسير القدسي قال رضي الله عنه

" لو كشف عن حقيقة الولي لعُبد "[1] انتهى.

واشار لنحوها شيخه استاذ الكل الشريف أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه

" إنَّ لله عباداً محو أفعالهم بأفعاله وأوصافهم بأوصافه وذاتهم بذاته وحمَّلهم مِن أسرارهِ ما يعجز عامَّة الأولياء عن سَماعِه "[2] انتهى.

وأشار لها شيخ شيخنا شاذليُّ الطريقة وشُشتري الحقيقة العارف الكبير ابي الحسن سيِّدي علي الجمل العمراني الحسني رضي الله عنه بقوله

---

[1]. ايقاظ الهمم شرح متن الحكم لابن عجيبة

[2]. قال ابو الحسن أن الله عباداً محق أفعاله وأوصافهم بأوصافه وذاتهم بذاته وحملهم من أوصافه ما يعجز عن سماعه عامة الخلق فهم مغرقون في بحر الذات وتيار الصفات فنوا عن أفعالهم ثم فنوا عن صفاتهم ثم فنوا عن ذاتهم وبقوا بذات الله تعالى ولم يبق لهم منهم شئ ومن كان في الله تلفه كان على الله خلفه ومن صح بقاؤه. أمَّا النص فهو لسيدي ابو العباس المرسي ذكره في ايقظ الهمم لشرح الحكم لابن عجيبة.

" مشاهدتك لمن يشاهد الله حقيقة تقوم لك مقام مشاهدة الله "[1] انتهى.

اذ ذاك ذهبَ واضمَحلَّ وتلاشى وزال مَن لَم يكن وبقي مَن لَم يَزل، ولا يُشاهد الله إلَّا الله ولم يبق إلَّا خيال البشرية الذي تشاهده وذاك في نظرك لا في نظره، وأمَّا هو فلا تبقى له بشرية.

قال الشُّشتري[2]

فمتى ما يبين لي   زالــت البشــريا
وتحولت غيري   في صفا روحانيا

قلت ينبغي لمن لم يصل هذه الحقائق ولا خرج مِن سِجن نفسه وسَلاسل الطرائق أن يُسلِّمها لأهلها وعليهم مادة الإنكار مِن أصلها ويَدخُل في خَبر

" **من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت** "[3]

" **ومن حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه**"[4]

وينتفع بالتَّسليم إن شاء الله كما ينتفع بالإيمان بالغيب وبآيات الصفات من غير تأويل كما كان مِن أهل الصدر الأول ﷺ، وأمَّا مَن أراده تفقهاً وفهماً فقد دخل حتماً في قوله تعالى

﴿ بَلْ كذَّبوا بِما لَمْ يُحيطوا بِعلمهِ ﴾[1]

---

[1]. "مشاهدتك للعبد الذي يشاهد المولى تقوم لك مشاهدة المولى" كتاب سيدي علي الجمل ص١٧٧

[2]. إيقاظ الهمم شرح متن الحكم لابن عجيبة

[3]. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "مَنْ كانَ يُؤْمِنُ باللهِ وَالْيَوْمِ الآخرِ فَلْيُكرِمْ ضَيْفَهُ وَمَنْ كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يُؤْذِ جارَهُ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقلْ خيرًا أو لِيَصْمُتْ". صحيح " مختصر سنن ابي داود.

[4]. عن أبي هريرة، قال قال رسول اللهِ ﷺ "إنَّ من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه".

اذ

﴿ وما يعلمُ تأويلَهُ إلَّا اللهُ والراسخون في العلم ﴾[٢]

ومبنى طريق القوم ﷺ كُلُّه على التَّسليم والانقياد وتصحيح الإيمان والاعتقاد لا على الانكار والانتقاد " انتهى.

قالَ شيخ شُيوخنا العارف الجليل أبو العبَّاس زرُّوق ﷺ

" مَبنى الفِقه على البَحث والتَّحقيق ومَبنى التَّصوف على التَّسليم والتَّصديق "[٣] انتهى.

وقال الشَّيخ أبو العباس ابن البنا ﷺ[٤]

اياك أن تطمع أن تحوزه من دفتر أو شعر أو أرجوزة
وإنما تعرف منه وصفاً لست تراه وهو ليس يخفى

نعم قلت من أراد تحقيقه فليجرب إذ في التَّجريب عِلم الحقائق، وذلك بأن يمتثل الأوامر المذكورة بينهم على يد شيخ كامل ناصح أو أخٍ واعظ صالح، ولا يزال يتقرب الى الله تعالى بالنوافل حتى يُحبَّه فاذا أحبَّهُ سبحانه كان سَمعهُ وبَصرهُ وفؤاده ويَدهُ ورجلهُ وبَعضهُ وكُلُّه بَل يُعوضِّهُ في نَفسهِ بنفسهِ ويَمنحهُ قُربهُ الحقيقي وأُنسهُ فحينئذٍ يَرى

" ما لا عَينٌ رأتْ ولا أُذنٌ سَمِعت ولا خَطرَ على قَلبِ بَشر "[١]

---

[١]. يونس ٣٩

[٢]. آل عمران ٧

[٣]. طبقات الشاذلية الكبرى المسمى جامع الكرامات العلية في طبقات السادة الشاذلية ص١٩٢

[٤]. الفتوحات الالهية في شرح المباحث الأصلية ابن البنا السرقسطي

﴿ ألا لَهُ الخَلقُ والأمرُ ﴾[2]

﴿ فَتبارَكَ اللهُ أحسنُ الخَالقين ﴾[3]

الحَمدُ لله بجميعِ مَحامدهِ كلِّها ما علمت منها وما لم أعلم، على جميع نِعَمهِ كلها ما عَلِمت مِنها وما لَم أعلم، عَدد خَلقهِ كلهم ما عَلِمتُ مِنهُم وما لم أعلَم والشُّكرُ لله.

﴿ ومَا بِكُم مِن نِعمةٍ فَمِنَ الله ﴾[4]

إذ في كل ما ظَهر وما بَطن آية كريمة وحُجة لنا على ما أدينَ الله بهِ عظيمة، لا أحصي ثناءً عليه سبحانه هو كما أثنى على نفسه

﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو ﴾[5]

﴿ قل أي شيء أكبر شهادة قل الله ﴾[6]

فما مِن هوية والأنانية إلّا دخلت في قوله

﴿ هو الله الذي لا إله الا هو ﴾[7]

﴿ إنني أنا الله لا إله إلا أنا ﴾[1]

---

[1]. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضى الله عنه عَنْ النبيّ ﷺ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِى الصَّالِحِينَ مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ ذُخراً، بَلْهَ ما أُطْلِعْتُمْ عليهِ. حديث صحيح " مختصر صحيح البخاري"

[2]. الأعراف ٥٤

[3]. المؤمنون ١٤

[4]. النحل ٥٣

[5]. ال عمران ١٨

[6]. الأنعام ١٩

[7]. الحشر ٢٢

﴿ فأعلم انه لا إله إلا الله ﴾[٢]

[١]. طه ١٤

[٢]. مُحمَّد ١٩

فصل في رؤيته ومعرفته

ومِن جُملة نِعم الله علينا وإحسانه الينا فضائل شتى لا نُحصيها ولا نُحيط والله بها ولا نَستقصيها ولا نُقدِّر لها قدراً حتى نؤدِّيها حَقها ثناءً وشكراً وأجلَّها وأكبرها وأصلها ومظهرها، رؤيتنا ومعرفتنا لهذا الإمام الحائز لمقامات الأولياء على التَّمام كهف الأنام وملجأ الخاص والعام، قِبلة الرَّاكع والسَّاجد ومِحراب القانتين والعابدين في جميع المَساجد، صَدر مقدمة الأئمة الأماجد ومُحي سُنَّة المصطفى ﷺ التي يجب العضُّ عليها بالنواجد، آية الرَّحمن ونادرة الزمان، كلمات الله اللَّدُنيَّة ومَجمع تجلِّياته العليَّة، فَلَكُ شروق أوصافه الأسنى وعين كمالات أسمائه الحُسنى، قُرة العين أبا المكارم وأستاذنا وملاذنا الشَّيخ المُربِّي سيِّدي ومولاي العَربي بن مولاي أحمد الدَّرقاوي الحَسني أفاض الله علينا مِن بركاته وجعلنا مِن المُقتبسين مِن نور كمالاته ومُنازلاته.

قد رأيناه والحَمدُ لله بالعين التي اتَّصف بها وقبَّلنا يَدهِ على حِسِّها، وجلسنا أمامه وقبِلنا كلامهُ، فهي عندنا أرجى عمل وأبلغ أمل، وغاية المرغوب والمطلوب ونهاية وصول كل مقام محبوب، إذ

" من نظر في وجه مغفور غُفِر لهُ ومَن صلَّى وراء مَغفور غُفر لهُ "

كما ورد[١]

---

١. كشف الغطاء للعجلوني

وكذلك رؤيتنا للعدد الكثير والحجم الغفير مِن أصحابهِ مِمَّن عَوَّلَ عليه واقتدى به، ويجب أن تُشَّد الرِّحال لرؤيتهم والأخذ عنهم وقد ورد

" أن لله رجالاً مَن نظر اليهم نظرةً سَعِد سعادة لا يَشقى بعدها أبداً "[١]

وهم طبقات عُلماء وصُلحاء وفُقراء، مَجذوبين وسَالكين مُتجرّدِين ومُتسبِّبين، أهل الإرادة وأهل التَّبرُّك رضي الله عن جميعهم مُتقدمين ومُتأخرين، أحياءً وأمواتاً أبناء وحفدة وأبناء الحفدة مِمَّن أدركهُ وعاصرهُ، إذ هو ﷺ قد عَمَّر عُمراً مباركاً طويلاً وأتتهُ وفود كثيرة مِن كُلِّ ناحية لا يَخلُ عن مِئة صادرة وأُخرى واردة، وهكذا في أيَّامه كُلّها مِن لَدُن وقع لهُ الأذن مِن شَيخهِ ومِن الله سُبحانهُ ومِن رسولِ الله ﷺ وهو على تلك الحال الى أن مات عام تسعة وثلاثين ومائتين وألف وقَد فَتَح عليهِ الفَتح الكبير الذي لا مثيلَ لَهُ ولا نَظير.

وسَكرَ بالحقيقة سُكراً وأمتحى عنه وعن الكائنات محواً، مصحوباً مع ذلك بالنبي ﷺ وبشريعته مَحواً، مُستغرقاً بالحضرتين شهوداً لا ينحرف لأحدهما ولا يتعدَّى حدوداً، عام اثنين وثمانين ومائة وألف، اللَّهُمَّ كما تكرَّمتَ علينا برؤيتهم وصُحبتهم تكرَّم علينا يا مولانا بكمال صُحبتهم وسُلوك طريقتهم إنك على ما تشاء قَدير وبالإجابة لِمن دَعاك جدير أنت الله الواحد الأحد الفَرد الصَمد الذي لَم يَلِد ولَم يولد ولَم يَكُن لهُ كُفُواً أحد.

---

[١]. ايقاظ الهمم شرح متن الحكم لأحمد بن عجيبة

الباب الخامس في ذكر أصحابه شرذمة قليلة ممن كانت له حال قوية جليلة

نَذكُر فيه مِن أصحابهِ شِرذمة قليلة مِمَّن كانت لهُ حال قوية جليلة ورأيت أن نجعله في ثلاثة فصول

فصلاً فيمن تَقَدَّمنا لصُحبته ورؤيته ولَم نَرهُ وشاعَ وذاعَ لدينا خبرهُ.

وفصلاً فيمن رأيناه وقد توفَّاهُ الله.

وفصلاً فيمن رأيناه وهو قائم الحياة نفعنا الله بجميعهم وحشرنا في زُمرتهم.

ونَبني على الاختصار في كل واحد منهم، ولا أذكر جُلَّهم ولا أُفضِّل على البعض بعضهم، ولم نتعرض لتأريخ وفاتهم وقصدي التبرُّك بذكر أسماء البعض منهم هنا فقط، ولست أستوفي عيون كل طبقة أو نحكم بترتيبهم على مرتبتهم ومكانتهم، أو نعرف يتيمة عقدهم وبيت القاصد منهم وإن أشرت بشيء من ذلك لبعضهم، فهو مِن أخبار الشَّيخ ﷺ أو أهل المعرفة منهم أو لرؤيتي ومعاشرتي لمن أدركته واعتقدته، والقول الحق الذي أدين الله به هو أن مقام الجمع والفناء دَخَلهُ منهُم الجمُّ الغفير، والتفاوت فيه موكول الى الله تعالى ولا أقول كما يقول بعض القوم ﷺ

" أن مقام الفناء في الله ليس فيه تفاوت "

بل فيه التفاوت وله بداية ووسط ونهاية، وغاية جمال الحق لا نهاية لها في الدنيا وفي الآخرة.

وكذلك التفاوت في الأخلاق الظاهرة ومع ذلك فلا نحكم بها على كل شخص ربما تكون خُلقه في الله جبروتية، فما قُدّم عثمان لينه ورِقته وحياؤه على عمر ﷺ لصلابته وشدته وغلظته في دين الله، ولا أُخّر عزرائيل ﷺ قبضه وبطشه وانتقامه وقهره عن مَن دونه مِن الصفوة الأعلى الذين

﴿ لا يَعصونَ اللهَ ما أمَرهُم ويَفعلونَ ما يؤمَرون ﴾[1] .

﴿ اللهُ يَصطَفي مِنَ المَلائكةِ رُسُلاً ومِنَ النَّاسِ ﴾[2]

﴿ لا يُسئَلُ عَمَّا يَفعلُ وهُمْ يُسئِلونَ ﴾[3]

قرَّب مَن شاء من غير عِلَّة وبعَّدَ مَن شاء مِن غير عِلَّة

﴿ وما يَعلمُ جُنودَ رَبِّكَ إلَّا هُوَ ﴾[4]

هذا وربما نكتفي بذكر البعض الذي رأيته في طبقة مَن لم نرهُ لأجل الاختصار وجاءني شيء نقنع للاقتصار، ولنقدم ذكر أُسس البُنيان الذي هو على تقوى مِن الله ورضوان.

وذاك أن الشَّيخ ﷺ لما فاجأه الفتح المبين وتمكَّن مِن حاله على ما وصِف غاية التَّمكين وأراد الله نفع عباده به، فَصرَفَ سبحانه عَنان عنايتهِ الى الانتقال مِن فاس حرسها الله الى بلده قبيلة بني زروال حيث هو الآن بها بعد ملازمته شيخه سنتين حسبما سمعنا منه ذلك مراراً وذكره هو في

---

[1]. التحريم ٦

[2]. الحج ٧٥

[3]. الأنبياء ٢٣

[4]. المدثر ٣١

كتابه مستوفياً، استأذن حينئذٍ شيخه في الرَّحيل بأولاده فأذِن له في ذلك فقال

" يا سيِّدي مع مَن نتفنَّن في فنِّي يعني فنَّ التَّصوف إذ هو لا يقوم إلَّا بأهله "

فقال له

" لذهُ بالإفراد "

وبقى ما شاء الله فقوي عزمه فكرَّر سؤاله للشَّيخ فقال له

" لُذهُم بالجمع" انتهى.

ولما ارتحل لقبيلته اشتاقت نفسه الى الأذن من الله ورسوله ﷺ كما كان مِن الشَّيخ إذ لابُدَّ في هذا المقام من الأذن التَّام الصريح العام كما هو عند مشايخ هذا الشأن رضي الله عنهم.

قال الشَّيخ الجليل سيِّدي أبو العباس المرسي رضي الله عنه

" والله ما تصدر أستاذ للمريدين إلَّا بعد أن فاضت عليه الواردات الالهية وكان له الأذن من الله ورسوله ﷺ ومن شيخه "[1] انتهى.

ولا يكتفي الصِّديق بدون ذلك حسبما هو مقرر عند جميعهم رضي الله عنهم ونفعنا ببركاتهم .

فكان بعض الأيام بغابة خالية مِن العمارة مُلازماً للعُزلة في غالب أوقاته يذكر الاسم الأعظم اسم الجلالة بشروطه وكيفيته، إذ كان لا يتركه بداية ولا نهاية وهو سكران صاحي مجذوب سالك ومستغرقاً في الحضرتين

[1]. كتاب رسائل مولاي الدرقاوي بشور الهداية

الرَّبانية والنَّبوية غاية الاستغراق وقوياً فيهما القوة الكبيرة، قال فسمعت الخطاب من ذاتي بأسرها

﴿ وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين ﴾[1]

فسكن قلبي واطمأن بذلك غاية الاطمئنان وتَيقَّنت أنَّ الخِطاب مِن الله ورسوله ﷺ إذ كنت بالحضرتين الإلهية والنَّبوية، وكان ذلك والله خرق عادة من ذاتي بأسرها ولا له كيف يعرف به، إنما يعرفه مَن عرَّفه الله ولا يَحمِل سَطوة مُشابهة ذلك الخطاب إلا مَن قوَّاه مولاه.

قال وقد بقيت الآية الكريمة التي خوطبت بها من ذاتي بأسرها ممزوجة بدمي ولحمي نحو العشرة أيام أو أكثر والله على ما نقول وكيل، فأنظر رحمك الله الى هذا الأذن العظيم والخطاب الجسيم الذي وقع لهذا الشَّيخ الكريم حتى امتزجت ذاته بهذه الآية الكريمة مدة من الايام.

قال ﷺ

"والحق ﷻ وتقدَّست صفاته وأسمائه تارةً يخاطب عبده من نفسه كما وقع لنا وكما وقع لغيرنا " انتهى.

قال الشَّيخ الجليل الشُّشتري ﷺ[2]

وسمعت الخطاب من ذاتي من مكان قريب
يا حياتي وأنت في ذاتي حاضر لا تغيب

[1]. الذاريات ٥٥
[2]. ديوان الششتري

وتارةً يُخاطبه مِن جنسهِ وتارةً مِن الجَمادات وتارةً من الحيوانات وتارةً من الهواء وتارةً من جهة واحدة وتارةً من سائر الجهات " انتهى.

قُلت وقد نقل غير واحد أن سيِّدنا موسى عليه وعلى أنبياء الله الصَّلاة والسَّلام لما تجلَّى له ربُّه وللجبل ورآه كلاهما على أصحِّ الروايتين وخرَّ صعقاً، سمِع مِن لَحمِه ودَمهِ وعَظمهِ وعُروقهِ وكلَّ شَعرةٍ مِنهُ ومِن سائرِ الموجودات يا موسى

﴿ انني أنا الله لا إله إلا أنا ﴾[1]

كما سَمِع من الشجرة أول مرة.

قال رضي الله عنه

" لما وقع هذا الأذن جاء المؤمنون في الحين، فبنفس ما رأيناهم ورأونا تذكَّروا وتذكَّرنا وانتفعنا منهُم وانتفعوا منَّا وربحنا منهُم وربحوا منَّا، وكان مِن الخير والسِّر والفضل والبركة والعناية وظهرت نتيجة الاذن وثمرته والحمد لله والشكر لله " انتهى.

﴿ وما بكم من نعمة فمن الله ﴾[2].

---

[1]. طه ١٤

[2]. النحل ٥٣

الفصل الاول في ذكر بعض أهل الطبقة الاولى التي لم نرهم وإنما سمعت خبرهم

أبو العباس سيِّدي أحمد العربي الزروالي رضي الله عنه

فمنهم أولهم عن الشَّيخ أخذاً وأكبرهم في الحال مأخذاً، صدر مَقدمة الاخوان الشَّارب السَّاكر النشوان، مَن أخَذهُ الجمع عنه وجاذبهُ وسَلَبهُ الفناء قهراً منهُ، ولم يقع على نفسه ولا على الكائنات بأسرها نظرة ونطقت جوارحه كلها بالأنانية الصرفة، وكانَ كلَّما يراهُ أو يَسمعهُ أو يَحسُّ به يزيده لمقامه انحياشاً وزلفةً، حتى كان مِن شأنه كُلَّما سَمِع أو رأى مِن الكائنات سواء الحيوانات أو الطيور أو الرِّياح أو الجَمادات أو غير ذلك مِن سائرِ ما يُدرَك بالحواس يقول هذا ما هو شيء هو يعني به الحقيقة الكبرى.

وقد قيل

" التَّصوُّف صفاءُ الباطن وشُهود المعنى في المُتحرِّك والقاطن وشُرب ماء الحقيقة في جميع المعاطن "

مَن سَبقت له العناية وطلبته المعرفة والولاية، أبو العباس سيِّدي أحمد العربي الزروالي من فخذ أولاد قاسم من جماعة أولاد جواد مِن مدشر دار أوليد، الذي قال لنا الشَّيخ رضي الله عنه في شأنه

" لمَّا حصل الأذن التَّام أتاني رجل قوَّى الله مَثلَهُ في الاسلام بجاه النَّبي عليه السلام فحَصَّل مقام الفنا والبقاء عند أول اللِّقاء، قال فبنفس ما رآنا رأيناهُ قضى الله حاجتهُ في الحين فكان كفتيلة جديدة مُزيَّتة مُعطرة اتَّصلت بمصباح وليس ذلك باختياره ولا باختيارنا بل اختيار الله سبحانه وأمره " انتهى.

قد كان موجود الحال ساكن في ارتحال، فوصف الحرية عنده كأنه ثوب مُخيَّط مُهيَّأ للِّباس فان أرادهُ لَبِسهُ كله مِن غير تَكلُّف، مَسموع مُطاع، ولمَّا بنى الشَّيخ ﷺ داره[1] التي هي موضع قبره وقراره أول هذه المائة الثالثة عشر مَلَكَهُ أي صاحب الترجمة حالُه وصار يدور نحو المَشرق ونحو المغرب وللجوف والقبلة ويقول

" أجي يالخير لهذه الدار، يا القَمح يا الشَّعير يا الذَرا يا الفُول يا السِمن يا الزَيت يا العَسل يا الخَيل يا البِغال يا الأبِل يا البَقر يا الغَنم يا الذَّهب يا الفِضَّة يا الحَرير يا العَلَف يا الصُّوف يا كذا يا كذا يا أهلَ الشَّرق يا أهلَ الغَرب يا أهلَ الجَوف يا أهلَ القِبلة يا أهلَ البَر يا أهل البَحر يا اللَّابسين الصُّوف يا اللَّابسين الجِلد وهكذا "

وهو يُعدِّد مِن النِّعَم وأصنافِ الخَلق عَجَب العُجاب بحالٍ قويٍ غالب عليهِ فكان كلمَّا دعى بأمرٍ أتى منهُ خرقُ عادة.

ووقت الوباء الكبير مات من أهل الزاوية العدد الكثير من الفقراء وأزواج الشَّيخ وأولاده وطال الأمر بهم فقال له الشَّيخ يوماً

" يا سيِّدي أحمد كأن ما تقوَّم شيء على هذا الوباء يمشي في حاله " انتهى.

فلبسه حاله وخرج وهو ينادي

" أذهب في حالك ويَضرب الغابة وكُل موضع يقصده يقول له مثل ذلك".

---

[1]. وهي بُبريح بربع بمعان بقبيلة بني زروال صانها الله من كل ضلال التي هي كان ابتداء بناؤه بها سنة واحد من القرن الثالث عشر بموضع بكدية العدس في الحدود بين قبيلة بني زروال وقبيلة بني مُحمَّد.

فذهب بأذن الله تعالى وأمره.

ومِن مثل هذا كثير وقَدرُهُ فوق ما قُلت كبير، وقد كان معه الوَجد في الكَلام فيَضحك مَن سَمِع كلامُه ولو كانَ في همٍّ.

سَمِعتُ مِن الشَّريف الأجلِّ سيِّدي مُحمَّد بن المَدني العَلوي وكان يُفرح النَّاس ويُطربهم بآلة الكنبري والشِّعر، فطلب منه الاخوان الفقراء يُفرحهم ويُروِّح قلوبهم فصار يقول لهم الهيللة في الكنبر وما يناسب مِن كلام القوم ﷺ، فقال له سيِّدي أحمد صاحب الترجمة

" إن كان عندك شيء تقوله غير هذا فقله وأمَّا الهيللة هزَّت لنا قلوبنا " انتهى.

اذ كان ﷺ يُريد ما يَفتُر حاله لأنَّ شُخوص البَصر لشَمسِ الحقيقة مِن غيرِ أطراق يُورث لجبلِ النَّفس التَّدكدُك والتَّلاشي والاحتراق فإذا ألِفه وأستأنس شُرب مُدامه يَصيرُ يذوق لفقدِهِ الموت ولو في مَنامِهِ، ويقول كما قال إمام العُشَّاق سيِّدي ابن الفارض ﷺ

ولو خطرت لي في سواك إرادة   على خاطري سهواً قضيتُ بردَّتي

وكان له كلام في التَّصوف ملحون في غاية ما يكون مِن الصفاء والنشاط سمعت بعضه مراراً فلم أحفظه، كان كريم النفس محبوباً مقبولاً حاله كحال سيِّدي ياقوت القرشي ﷺ مريد الشَّيخ الجليل سيِّدي أبي العباس المرسي رضي الله عنهما، إن كانت السَّماءُ صاحية وقيل له ابكي فيبكي فَتُغيِّم السَّماء وتمطر في الحين، وإن قيل له أضحك فيضحك فتصفى مِن غيمها وتشرُق شَمسها في الحين، وكان سلوكه وسلامته مِن المَحق حِساً مِن خرق العوائد، وكذلك بعض الاخوان مِمَّن يضاهيه في

الجذب ولكن هو أكثرهم، إذ كم مِن مرَّة تكاد النورانية تتصرَّف فيه حتى يستشرف على المَحق فيتداركه الله بعنايته، وهِمَّة الشَّيخ كانت لا تفارقهم وقد تصرَّفت النورانية في غير ما مُريد.

ذَكر الشَّيخ الطرطوشي[1] أنَّ القُطب الأكبر مولانا عبد السلام بن مشيش ﷺ ذاب له مُريدان تصرَّفت فيهما النورانية حسَّاً، وكذلك ما وقع للشَّيخ الجليل أبي العباس الرفاعي ﷺ أخبر خادمه إنه رآه ذاب وصار نقطة ماء مرَّتين ويرجع كما كان، فسأله عن ذلك فقال له

" يا ولدي الحق تعالى جلَّ جلاله نظر اليَّ نظرة جلال فَصِرت كما رأيت ولولا ما نظر الي نظرة جمال ما عُدتُّ اليكم " انتهى.

ذكر ذلك الشَّيخ الشعراني ﷺ في " **طبقاته الصغرى** " وغير ذلك كثير ومعلوم عند القوم ﷺ وذلك والله أعلم لقوة تجلِّي الجلال وضُعف المُريد ولا يكون إلَّا في ابتداء القدوة وقبل التمكين التَّام والقوة، إذ المشايخ لهم بداية ونهاية ونهايتهم تشاكل بداية الرُّسل عليهم الصَّلاة والسَّلام.

وقد كان أستاذنا ﷺ في ابتداء أمره يَخافُ عليهم مِن المحق أشدَّ الخوف ويهتمُّ لذلك ويَضيق ذرعاً مِن أقوالِهم وأفعالِهم ونُحول أجسادهم ويَتبَعهُم في الغابة مِن موضع الى موضع، ويَحمِل لهُم قدور الرَّائب وأنواع الأكل ويُشغلهُم بأمرٍ مَحسوس كي يرقدوا ويَسلموا مِن المحق ولا يَغفل عنهم، وهم جماعة كُلُّ واحدٍ تلوح فيه أنوار الحقيقة على لون ويَرمون أنفسهُم في خوارقِ العاداتِ مِن غير شعور ولو وجدوا سُمَّاً أكلوهُ ولا يكترثون

[1]. أبو بكر مُحمَّد بن الوليد بن خلف المعروف بأبي بكر الطرطوشي أو ابن أبي رندقة ٤٥١- ٥٢٠ فقيه مالكي صاحب كتاب سراج الملوك في سلوك الملوك .

بهِ ولا بغيره، ولَمَا طالَ في الطَّريق مَقامُه وَرسخَت فيه أقدامهُ وبلغَ غاية التَّمكين وتبوَّأ مِن الكمال رَبوةٍ ذاتِ قرارٍ مَكين.

وكان في سلوك التَّصوف طوداً شامخاً وفي مطالعة الحقيقة ثابتاً راسخاً، يود أن لو جاءته الخلائق كلها تترا نشاوى بِحُبِّ الله وسَكِرت في الحقيقة سُكراً يسلك بهم مسلكاً سهلاً ويسوقهم الى مراح الكمال مهلاً ويُنشدُّهم[1]

أدنوا وكل العِدى كَفوني   ما كنتُّ أهلاً فهم رأوني

لذاك أهلاً فَصرتُ أهلاً

ولكن ليس الحبُّ كالحُبِّ ولا الشُّربُ كالشُّربِ، فحالُ مَن تُصاحبهُ وتُماسيهِ وهي تُعالج شَوقهُ وتُقاسيه وتُراودهُ عَن نفسهِ ولَم يُطع لَها أمراً بخلاف مَن

﴿ رأينهُ أكبرنهُ وقَطَّعن أيديهنَّ وقُلنَّ حاشا لله ما هذا بشراً ﴾[2]

فرؤيتها له أتمُّ ومُشاهدتها أوسعُ وأعمُّ.

هذا ولما مات صاحب الترجمة ﷺ لم يحضر الشَّيخ على دفنه فدُفن بقرب حافَّة في موضع لا تطيب النفس به، فقدِم الشَّيخ لزيارته بعد مُدَّة نسيتها كم كانت ولمَّا وجده هناك أخرجه من قبره ودفنه مع بعض الأولياء ﷺ داخل بيت مبني عليه الرأس مع الرأس والرجلان كذلك وهو موضع حَسن طيب مبارك، زرته والحمد لله بقريته دار أوليد التي بها أولاد عَمِّه

---

[1]. البيت من قصيدة محبوبة القلب فيه تُجلى لحمدون بن الحاج السلمي

[2]. يوسف ٣١

العَربيين وأتيتها مرّات لا نُحصيها وهي بربع أولاد قاسم بقبيلة بني زروال حرسها الله وهم ينتسبون الى الشرف والشَّيخ ﷺ ينسبُهُم اليه.

ولسانه لسان صدق وورع وحق، يعرف أصول الناس نسَّابة غاية لكثرة مطالعة كتب النسب، ومحبته في آل النبي ﷺ وعمدته ما أتحفه مولاه ومَنحهُ وأطلعه عليه وخصَّهُ بالعناية السابقة لديه حتى لا يحتجب بالباطن عن الظاهر ولا بالظاهر عن الباطن، ولا يطفئ نور معرفته نور ورعه في جميع المواطن

﴿ فضلاً من الله ونعمة ﴾[1]

على ملاقات المؤلف بالشَّيخ ﷺ يعني المؤلف سيّدي بزيان وبالشيخ مولاي العربي الدرقاوي.

سألني ﷺ يوم أخذت عنه الورد بدار صاحبه الشَّريف المُنيف مولاي أحمد بن عبد الرحمن العلوي المراني الحسني بتازة حرسها الله عام تسعة عشر بعد المائتين والألف مجدداً له عليه، وقد كنت أخذته قبل ذلك بثلاث سنين والله أعلم عن العالم الجليل الصوفي ولي الله تعالى سيّدي عبد القادر الشَّريف قبل سلطنته بأربع سنين ﷺ

" هل أنا شريف أم لا " ؟

فقلت له

" لا أدري يا سيّدي "

---

[1]. الحجرات ٨

فكرَّر علي مرَّات ثم قال لي

" قل ما يقول أهلك وأمَّا أنا نعرف الشريف من غيره والحمد لله أنت شريف ".

وألتفت الى أخصِ أصحابه مِمَّن لَزِمه بدايةً ونهاية وكانوا معه في حياة شيخه سيِّدي علي ونالوا منه الجذب والتَّحقيق بالوصف المُتقدِم ذكرهُ مع صاحب الترجمة وهم مِمَّن أُشير اليهم هناك أعني بهما الفقيهين العَدلين الصوفيين مولانا الهاشمي المنصوري وسيدي علي الحاج الزرواليين صَحِبا الشَّيخ حالة الصبا وقرآ عليه ودخلا الطريقة على يديه وقال لهما

" يا مولاي الهاشمي و يا سيِّدي علي الحاج اسمعا ما أقول لكما إنَّ بعض الأولياء كان إذا مدَّ يدهُ الى طعام فيه شُبهة تحرَّك بيدهِ عِرق فيُمسك عَن أكْلهِ، وبعضهم كذا وبعضهم خَصَّهُ الله بكذا، وأنا قد خَصَّني الله سبحانه بخصوصية هي إني مهما رأيت الشَّريف نعرفه من غيره والله على ما نقول وكيل " انتهى.

فقلت حينئذٍ

" نعم يا سيِّدي ينسُبون هذا النسب "

فقال **" من هم "** ؟

فقلت أولاد سيِّدي أحمد بن علي الغريسي بقرب مدينة المعسكر بن عيسى بجبل تسالة قلتُ ذكرهُ العشماوي الكبير مشبعاً وذكره غيره.

وكذلك نقل الشَّيخ ﵁ أيضاً بعد مدة الأخ الصَّالح صاحب النِّية والصُّحبة والصِّدق والمودة والإنفاق الكثير والعِشق والشَّوق سيِّدي بو شتا بن جابر الجامعي لكونه دُفن في موضع لا تطيب النفس به.

وكذلك كان يتمنى أن ينقل العارف الكبير الفرد النحرير ولي الله تعالى سيِّدي مُحمَّد بو زيد وبهيئته عليه، ولا يمتنع نقل الأموات إن كان لمصلحة والله أعلم وقد جعله بعض الصحابة رضوان الله عليهم في قتلى أُحد بأمر النبي ﷺ.

ونقل السُّلطان الشَّريف السَّعدي الشَّيخ الجليل الشريف الأصيل ولي الله تعالى سيِّدي مُحمَّد بن سليمان الجزولي السملالي مؤلف دلائل الخيرات من سملالة الى مراكش بعد ثلاث وسبعين سنة والله أعلم، ونقل بعض السَّادات سيِّدي الحسن المستاري الذي بمدينة صفر رضي الله عنه ونفعنا به من عزَّابة بعد أربعين سنة لأمر أقتضى ذلك وقد وقع مثل هذا كثير وهم شُهداء المَحبَّة لا يتعدَّى الثرى عليهم أحياءٌ عند ربهم.

أبو زيد سيدي عبد الرحمن العربي

ومنهم الكوكب المنير الوضاح المُهيَم المُتَيم بما أشرق عليه من نور الحق ولاح، المستغرق في عالم الأرواح مستوى الطرفين في الغدو والرواح، وقد قيل

" حقيقة التصوف أرواح بلا أشباح أو اطلاق بلا قيد "

العارف أبو زيد سيدي عبد الرحمن العربي أخو صاحب الترجمة قبله طيناً ونسباً وديناً وأدباً ومشرباً.

كان رضي الله عنه قوي الحال لا التفات له فيما هُم فيه الناس من المحان، خارقاً لعوائد نفسه لا يزين موضع نظر أبناء جنسه، يأخذ الطَّرَّ بيده ويذكر به في

الاسواق وغيرها وينشد الملحون من عنده بقافية الذكر بمعاني تدُل عليه، ولما سَمِع بأخيه المتقدم ذكره وقع به ما وقع من الجذب جاء مُعنِّفاً له ومُنكراً عليه مع بعض الناس.

سمعت الشَّيخ ﷺ يقول

" لما كانوا بحضرتنا جلوساً وهو خلف ظهري فوجدت قلبي ينظره من وراء ظهري مقبلاً عليه آخذاً له، ونشتغل بشغلي مع الناس ونلتفت لقلبي فإذا هو على حاله مشبراً فيه بقدرة السميع العليم من غير اختياري ولا اختياره بل اختيار الله سبحانه، فما قام من خلفي إلَّا وقد انقلب حاله وتبدلت اقواله وأفعاله، قال وقد كان حالنا مع كثير مِمَّن عرفنا في تلك المدة كذلك إذ الغالب على مَن صحبنا في ذلك الزمان ليس له ولا منه ولا لنا ولا منا ذلك إنما هو أمر سماوي من الله تعالى" انتهى.

وقد كان صاحبُ الترجمة يوماً بفاس عمَّرها الله وقت بدايته مجذوباً كحاله، آخذاً الطَّر بيده قائماً يشطح لا يبالي بأحد وإذا بالمجذوب الكبير الولي الشهير سيِّدي العربي البقَّال نفعنا الله به ورضي عنه وهو الذي ذكره شيخنا في كتابه وأنه مِن أشياخه الذين انتفع بهم كشيخه سيِّدي علي الجمل ﷺ بحذائه فقال له بعض الناس شهادتك بالله يا سيِّدي العربي البقَّال

" هل هنا أحد في هذا المحفل ولي أم لا " ؟

فقال

" عليه الحرام ما هنا ولي غيري يعني نفسه وإلَّا هذا القران عبد الرحمن العربي ها هو يطوف عليها " ومن وقائعه كثير.

مات رحمه الله تعالى وﷺ في وسط العشرة الثانية من المائة الثالثة عشر قبل أخيه المذكور قبله والله أعلم.

أبو عبدالله سيِّدي مُحمَّد بن الحاج السوالي الزروالي

ومنهم الولي الأجل المحترم المعلِّم المُبجَّل الفقيه البركة أبو عبدالله سيِّدي مُحمَّد بن الحاج السوالي الزروالي، كان شيخنا لا يذكر أيام بدايته وأحواله وخوارقه وسياحته إلَّا ويذكرهُ ويُثني عليه الثَّناء الجميل، وسياحتهم كانت إمَّا في القبيلة يزوره بعضهم بعضاً أو بفاس بقصد زيارة الشَّيخ سيِّدي علي ﷺ يُذكِّرهُم الله وينتفعون به أياماً، ولا يمكثون بموضع أياماً كثيرة إلَّا وهم على الذكر والمذاكرة وخرق العادة نحو الخمسة عشر سنة في جُلِّ الأيام يقطعون اللَّيل كلَّهُ في حلقة الذِّكر.

سيدي عمر بن عبد الوارث ابن روح الزروالي

ومنهم العارف بالله المحقق بما رَمز اليه أهل الله الغالب عليه شهود الجمع سيِّدي عمر بن عبد الوارث ابن روح الزروالي.

سيِّدي مُحمَّد "فتحاً" بن أحمد

وأبن عمه الفقيه الجليل سيِّدي مُحمَّد فتحا بن أحمد النسب وهو الذي قيل له والله أعلم لما احتضر وقربت وفاته

" أقرأ يا سيّدي سورة الإخلاص "

قال

" هي الآن والله تقرؤني "

وذلك والله أعلم لشرب كأس الحقيقة صرفاً وامتحاء لوح الكون حتى لم يبق له وصفاً ولا أسماً ولا حرفاً وكان ذلك وقت الحق الذي لا ينفع فيه الاّ الصِّدق لان سكرة الحق جاءت بالموت.

قال بعض أهل هذا المقام ﷺ

" الذاكرون في ذكره أشد غفلة من الناسين لذكره لأن ذكره سواه "[1]

وقالوا [2]

مـا إن ذكرتـك إلّا هـمَّ يزجرنـي	وقلبي وسري وروحي عند ذكراك
حتى كأن رقيباً منك يهتف بي	إياك ويحك والتذكار إياك
أما ترى الحق قد لاحت شواهـده	وواصل الكل من معناه معنـاك

وقالوا " أعظم الناس حجاباً عن الله الذَّاكرون لله "

ولوحوا الى هذا المعنى كثيراً كقولهم

" القُرب حِجاب عَن القُرب "[3]

" ومَن عَرفَ الله لم يَسكن اليه "[1]

---

١. قاله الواسطي في ايقاظ الهمم شرح متن الحكم

٢. الرسالة القشيرية للمؤلف عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري المتوفى سنة ٤٦٥ هـ.

٣. الرسالة القشيرية للمؤلف عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري

" وأوحشك الله مِن قُربه ومِن الأُنس به "[2]

وكذا[3]

ما وحّد الواحد من واحد   إذ كُلُّ مَن وَحَّدهُ جاحد

" ومَن سأل عن التوحيد فهو جاهل ومَن أجاب عنه فهو مالك ومَن عرفه فهو مشرك ومَن لم يعرفه كافر "[4]

الى غير ذلك من أخبارهم الصادقة وإشارتهم التي للفتق راتقه ﷺ.

قال بعضهم

" إذا أردتُّ أن أقول يا رب أو يا الله أجد ذلك أثقل علي من نقل الجبال الرواسي "

قلت وذلك والله أعلم إنَّ النداء لا يكون الّا مِن بعيد قال تعالى

﴿ **مِن مكان بعيد** ﴾[5]

وأمّا مَن قال فقد رفعت ياء المخاطب بيننا وقال

فإياي إياها اذا ما تبدت   فلا خطاب ولا جواب

ولا إشارة ولا مشير   ولا بعد ولا اقتراب

---

1. الأنوار اللامعات في الكلام على دلائل الخيرات ص١٢٢
2. ذكره ذي النون في كتاب اللمع في تاريخ التصوف الاسلامي لابي نصر الطوسي
3. ابيات ذكرها ابن أبي العز الحنفي في شرح الطحاوية
4. حاشية السباعي على شرح الخريدة البهية في العقائد السَّنية ص٣٣١
5. سبأ ٥٣

قال في الحكم

" ما العارف مَن اذا أشار وجد الحق اقرب اليه مِن اشارته، بل العارف مَن لا إشارة له لفنائه في جوده وانطوائه في شهوده" انتهى [1].

وقيل لمجنون ليلى أتُحب ليلى؟

قال لا

قيل وكيف ذلك؟

قال لأن المحبة ذريعة بيني وبين ليلى وليلى أنا وأنا ليلى

وأشار إمامنا سيّدي الجنيد بقوله للشبلي لما قال بحضرته

" الله اغتبته يا أبا الربيع "

فقال كيف ذلك

قال

" إن كان غائباً فذكر الغائب غيبة، وإن كان حاضراً فهو ترك الحرمة " انتهى.

وأعنى به الحضور الحقيقي والله أعلم

وقد قلت لبعض الاخوان وكان مِن أهل هذا المقام مصطلماً كاد أن يتلاشى حسَّاً والله على ما نقول وكيل وسأذكره ان شاء الله في الطبقة الثالثة القائمين الحياة

[1]. الحكم العطائية لابن عطاء الله

" يا أخي لم لا تُصلِّ "

والفقراء يُعنفونه على ذلك ورموه بقوس واحدة وحُقَّ لهم ذلك وهو سرُّ الجماعة[1]

فقال له وكيف أفعل؟

فقلت توضأ هكذا وقم قائماً وأحرم وقل الحمد لله رب العالمين

قال " لا أعرف هذه القراءة وإنما قراءتي الحمد لي أنا ربُّ العالمين "

فسكت عنه وبقى على حاله ومقاله حتى ردَّهُ الله لشاهده وتحقيق كماله والحمد لله لا رب غيره ولا خير إلَّا خيرهُ وهذه باب عريضة طويلة لو دونت في أخبار أهلها ألف ديوان لكانت قليلة، ولنرجع لما نحن بصدده فقد توفيا الأخوين المذكورين شهداء بالطاعون في العشرة المذكورة.

أبو العباس سيِّدي احمد بن مُحمَّد بن روح الزروالي

ومنهم كبير القدر والسِّن ذو الخُلق الحَسن، والسِّر الجَلي البيِّن الهيِّن اللَّين، السَهل القريب والمنطق العذب العجيب، المُلازم للشَّيخ منذ الصبا ورفيقه راحةً ونَصباً، ثقيب الفهم عزيز العلم، الذي قال الشَّيخ بعد دفنه يوم موته

[1]. وقائل هذه المقالة الشريف الجليل مربي المريدين ومهذب أخلاق السائرين سيِّدي العربي ابن عطية بجبل ونسريس من عمالة الجزائر وتوفي هذا الولي يمينا من مدينة تونس لمَّا هاجر حين اخذت الجزائر وأحوازها، وقد انتفع به خلق كثير .

" اليوم طاح ركن في طريق الله " انتهى.

أبو العباس سيِّدي أحمد بن مُحمَّد بن روح الزروالي، قد عرفته نحو الخمسة عشر سنة ولازمته في جُل أيامها سفراً وحضراً، وانتفعت به على قدر طاقتي وإنما قدمته عن طبقة مَن رأيناهم وجعلته في طبقة من لم نرَهم لكونه كان رأس رفقتهم والحامل لرايتهم وخزانة علمهم فقيهاً في التصوف نحريراً وجيزاً في الحقائق ايجازاً وتحريراً.

صَحِب الشَّيخ صبي صغير هو ومَن تقدَّم ذكرهم وغيرهم وقرؤا عليه القرآن وأخذوا عنه طريق الارادة فبلغوا أقصى الحسنى وزيادة وكُبُّوا عليه في حياة شيخه وبعد وفاته، وكانوا يحضرون مجلس شيخه معه بفاس وتارة وحدهم بأذنه نيابة عنه يحملون الزيارة وقصد المذاكرة، فكان صاحب الترجمة حافظاً ناقلاً مرتباً مناسباً فحين كان يذكر الاخوان لا يمِل ولا يبقى على الحق حجاب منسدل، يناسب غاية المناسبة ويُعطي كل واحد قدره وحسابه، حتى قيل لنا كأنكم تسمعون هذا الكلام بلفظه وترتيبه من الشَّيخ الأجل سيِّدي علي الجمل ﷺ، وكان حَسن الصَّوت بذكر الهيللة وإنشاد كلام القوم فغالب الأوقات حين يختمون حلقة الذكر يقول له الشَّيخ

" اذكُر يا سيدي أحمد ويقول هو يذكر وحده والفقراء كافة يردون عليه المداولة لرقة حاله ونغمته " انتهى.

وكان خامل الذكر ليس له كبير الشُّهرة كخواص الفقراء، قد سَمِعتُ الشَّيخ ﷺ يعتذر له مرَّتين واحدة بتازة، ومرَّة بعد ذلك بساحة وهران حين قدمنا سنة عشرين من المائة الثالثة عشر على العالم الجليل الشريف

الأصيل الأخ في الله ولي الله تعالى سيِّدي عبد القادر بن الشريف رضي الله عنه حين كان هناك سلطاناً وشاع وذاع ذكره وهزَّ الجبال الرواسي خبره.

طلب الشَّريف الأكرم السُّلطان الأفخم العلَّامة مولاي سليمان العلوي الحسني مِن الشَّيخ القدوم اليه لينظر حاله وما يريد حين مُزِّق مُلك التُّرك[1] تركهم الله وبدَّد شملهُم وبيان سبب وقوع ذلك ونهايته يحتاج الى تفصيل طويل ولسنا بصدده، وكان مع الشَّيخ عدد كثير مِن تلامذته ما يزيدُ على المائة بكثير مِن أهل المغرب، وأمَّا أهل تلك الناحية فَجَلبهم وكان يُخصِّص الخُصوص مِن الشُّرفاء والفُقهاء والأساتذة والمُقدَّمين ويحضُرهُم الأكل معه ويشاورهم ويكبر بهم، وصاحب الترجمة كالواحد منا لا يُفقد اذا غاب ولا يُلتفت اليه اذا حضر من جملة الفقراء، فخلا به يوماً وأنا اسمع وهو يقول له كذلك في المرة الاولى بتازة

" **يا سيّدي أحمد لا تفهم أو تظن وإني نسيتك أو أهملتك أو لا نعرف لك قدراً وهكذا وإنما أنا تهنيت منك واسترحت وسكن خاطري من أجلك ومن رأيته مهتماً بأمره ومبالي بشأنه فإنه باق ما تهنيت منه** " انتهى أو كلام بهذا معناه.

وما ذكره رضي الله عنه صحيح المبنى ظاهر في الحسِ والمعنى وبه طرد الله سنته وأجرى في خلقه عادته، إذ كثير من الوحوش والحيوان والطير والنمل والآدمي وغير ذلك، فما دام المولود في الحجر والتحجير لا يستطيع دفع

---

[1]. قتال الترك في معركة فرطاسة غرب البلاد "١٢١٩ هـ _ ١٨٠٥م" خلال حكمهم للجزائر تحت قيادة سيدي عبدالقادر بن الشريف وانتصاره على باي وهران " مصطفى منزالي العجمي " بسبب تراخي العلاقة بين الدولة العثمانية والقبائل الوهرانية وتذمر السكان من فرض الضرائب المرتفعة ، لكن بعد تولي الباي الذي كان يعرف باسم "المقلش" حكم وهران، أدى إلى إخضاع عدة قبائل لحكم الأتراك وهزيمة ابن الشريف الدرقاوي.

الضر ولا جلب النفع، فالوالد له حريص ونصير وبأمره خبير وبصير حتى اذا بلغ أشدَّهُ وكان ما عنده عنده استراح منه والتفت لغيره عنه.

تنبيه هذا الاعتذار الذي وقع من الشّيخ ﷺ لصاحب الترجمة يَحتمل مَعنيين والله أعلم، أحدهما بيَّن به المرتبة لئلا تجهل حتى يظن قصير العلم إن مَن لم يتقدَّم ظاهراً لم يتقدَّم باطناً ويحكم بها على الكل.

والمعنى الثاني لا يبعد أن صاحب الترجمة حامَ نزول ساحته طائف تلك اللمحات ورام خاطره وارد النزغات والهمزات، إذ الإنسان بشر وقد أمره أن يستعيذ به مِمَّا هو مُمكن وقوعه بقوله

﴿ وقُلْ رَبِّ أعوذُ بِكَ مِنْ هَمَزاتِ الشَّياطينِ وأعوذُ بِكَ رَبِّ أنْ يَحضُرون﴾ [1]

لكن فرقٌ بين خاطر وساكن وراحل وقاطن وهو رسول خير من الله لعبده، فمن أراد غفلتك فأيقظك وقصد خيانتك فحفظك فهو لك صديق ملاطف وخلَ بالمودة عليك عاطف.

﴿ إنَّ الَّذينَ اتَّقوا إذا مَسَّهُم طائفٌ مِنَ الشَّيطانِ تَذكَّروا فإذا هُمْ مُبصِرون﴾ "[2]

إذ كل ما ينزل بالعبد فهو سرٌّ مِن أسرار الله ومِنَّة جليلة مِن مِنن الله وحِكمة بالغة لِمَن عَرف تجلِّي الجلال وتيقَّنهُ عَينُ الجَمال والكُلُّ وصفُ الكبيرُ المُتعال.

---

[1]. المؤمنون ٩٧

[2]. الأعراف ٢٠١

قال شيخُ شيخنا مولانا علي الجمل ﷺ

" الذَّات والصِّفات ويعني بالذَّات الجَلال وبالصِّفات الجَمال تتواردُ على كُلِّ أحد أحد كائناً مَن كان، عَرفهُما مَن عَرفهُما وجَهلهُما مَن جَهلهُما " انتهى.

وقال أيضاً

" أهلُ الظَّاهر عندهُم كُلَّما يَخطُر ببالِك فالله خلافُ ذلك، وأهلُ الباطن عندَّهُم كُلَّما يَخطُر ببالِك فالحقُّ عَينُ ذلك " انتهى.

قلت والكلُّ مصيبٌ في مُراده غير مُخطئ وإن وقع الاختلاف مِن حيثية فالاتفاق مِن حيثية أُخرى فافهم فهَّمنا الله وإياك، ونَضِّر بالنظر في طلعة حسن وجهه الجميل في كل شيء محياي ومحياك.

اني سَمِعت هذه المعنى وانتفعت بها في ابتداء أمري في حال شبابي وأُعطيت فيها علماً وفهماً مِن الأخ في الله والحب لجلاله المُحقِّق الجليل مقبول العبارة ومفهوم الرمز والإشارة للواعظ النافع الصوفي ولي الله تعالى سيِّدي مبارك الحمري من قبيلة أحمر من خواص أهل هذه الطريق الذين نالوا سرَّ الحقَّ والتَّحقيق، قد نفع الله به خلقاً كثيراً مِن أهل ثغر سلا ورباط الفتح وقبيلة بني أحسن وغيرهم فكان سبباً في توبتهم الى ربِّهم وإقبالهم عليه وفي ملاقاتهم بالشَّيخ مأذوناً مقبولاً لدى العموم والخصوص.

مات رحمه الله ورضي عنه سنة عشرين مِن المائة الثالثة عشر بقبيلة بني أحسن وقد بكيتُ عليه وحُقَّ عليه البكاء وعلى مثله تبكي السماء والأرض[1]

فائدة ولنرجع لما كُنَّا بسبيله فأقول أوصاف البشرية هي مطايا السير للسَّائرين وجناح الطيران للتَّرقِّي في أعلى عليّين للعارفين الواصلين ولا يقول بعدمها أصلاً إلَّا جاهل بتحقيقها وسرِّها رأساً.

قال أستاذنا

" القول بعدم وصف البشرية جملة هو القول بالحرية بلا عبودية وهو قول النصارى في اللَّاهوت بلا ناسوت في عيسى ابن مريم عليه السلام، والوصف لا يقوم بنفسه ولا بُدَّ من ظهور معناه وحسِّه، قال ولولا الطلاء الذي يعكس أشعة الأنوار ما رُأي في المرأة فأفهم " انتهى.

ونحوه قول الشَّيخ الجليل ولي الله تعالى سيِّدي الحاج الشطيبي الزروالي الأندلسي[2] في شرحه على الحِكم[3] عند قوله

" لا يَلْزَمُ مِنْ ثُبوتِ الخُصوصِيَّةِ عَدَمُ وَصْفِ البَشَرِيَّةِ، إنَّما مَثَلُ الخُصوصِيَّةِ كإشْراقِ شَمْسِ النَّهارِ ظَهَرَتْ في الأُفُقِ وَلَيْسَتْ مِنْهُ، تارَةً تُشْرِقُ شُموسُ

---

[1]. وهذا الولي نعني سيِّدي مبارك الحمري مدفون في بني يحلس في سيِّدي مُحمَّد فتح أرويجح قبلة من ضاية عائشة وقد كان قبره مشهور عند بعض من عاصره ومَن دونهم الى اليوم والله أعلم.

[2]. أبو عبد الله وأن اسمه مُحمَّد بن علي بن مُحمَّد بن الحسن بن حيون الصقلي الأندلسي البرجي الشهير بالحاج الشطيبي.

[3]. الحكم العطائية لابن عطاء الله

أوصْافِهِ عَلى لَيْلِ وُجودِكَ، وَتارَةً يَقْبِضُ ذلِكَ عَنْكَ فَيَرُدُّكَ إلى حُدودِكَ، فَالنَّهارُ لَيْسَ مِنْكَ وَإلَيْكَ، وَلكِنَّهُ وارِدٌ عَلَيْكَ " انتهى.

وعند قوله

" لَوْ أَنَّكَ لا تَصِلُ إليهِ إلّا بَعْدَ فَناءِ مَساويكَ وَمَحْوِ دَعاويكَ لَمْ تَصِلْ إلَيْهِ أَبَداً، وَلكِنْ إذا أرادَ أَنْ يُوصِلَكَ إلَيْهِ سَتَرَ وَصْفَكَ بِوَصْفِهِ، وَغَطّى نَعْتَكَ بِنَعْتِهِ، فَوَصَلَكَ إلَيْهِ بِما مِنْهُ إلَيْكَ لا بِما مِنْكَ إلَيْهِ "[١] انتهى.

وعند قوله

" سُبْحانَ مَنْ سَتَرَ سِرَّ الخُصوصِيَّةِ بِظُهورِ البَشَرِيَّةِ، وَظَهَرَ بِعَظَمَةِ الرُّبوبِيَّةِ في إظْهارِ العُبُودِيَّةِ "[٢] انتهى.

قال فوصف البشرية ذاتي، والوصف الذاتي لا يمكن عدمه جملة وإنما يعدم غلبة أحكام تلك الأوصاف عند ورود أحكام تلك الخصوصية الغالبة على ظاهره فيكون العبد حاكماً محكوماً، قال ومن زعم أن القرب من الله لا يكون الّا عند محو البشرية جملة فهو غالط، ليس الكمال الّا لله وأكمل الخلق رسول الله ﷺ يقول

" إنما أنا بشر يطرأ عليَ ما يطرأ على البشر فإذا نسيت فذكروني وإذا نمت فأيقظوني "[٣]

---

[١]. الحكم العطائية لابن عطاء الله

[٢]. الحكم العطائية لابن عطاء الله

[٣]. وَحَدَّثَنَا يُوسُفُ بْنُ مُوسَى قَالَ حَدَّثَنَا جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ قَالَ حَدَّثَنَا مَنْصُورٌ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَنْ عَلْقَمَةَ عَنْ عَبْدِ اللهِ قَالَ صَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ صَلاةً فَزَادَ فِيهَا أَوْ نَقَصَ فَلَمَّا سَلَّمَ قِيلَ لَهُ يَا رَسُولَ اللهِ أَحَدَثَ فِي الصَّلاةِ شَيْءٌ قَالَ لاَ ، وَمَا ذَاكَ ؟ قَالُوا صَلَّيْتَ كَذَا وَكَذَا ، فَثَنَى رِجْلَهُ وَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ وَسَجَدَ سَجْدَتَيْنِ ثُمَّ سَلَّمَ ، فَلَمَّا سَلَّمَ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ ، فَقَالَ : أَمَا أَنَّهُ لَوْ حَدَثَ فِي الصَّلاةِ شَيْءٌ لأَنْبَأْتُكُمْ بِهِ ، وَلَكِنْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ أَنْسَى

فمَن ظن أن الفناء في اصطلاح قطع الوصف البشري كله فقد أغلط القول.

قال الشَّيخ زروق

" الطبع البشري لا يزال داعيا للعادة لما أودع الله فيه من الحكم والحكمة ولا سيما ذلك من العارف فعله وإنما هي فلتة تحدث بالأقدار وتُمحى بالاستغفار

" **والله لا يَملُّ حتى يملَّ العبد** "[1] انتهى.

قال

" فالخصوصية رسول من الله إذا ظهرت على العبد بشريته، وإذا غابت عنه انذرته، والكل بالله ومن الله والى الله " انتهى.

﴿ **قل كلُ من عند الله** ﴾[2]

قال بعضهم واليه الإشارة بقوله تعالى

﴿ **قل أرأيتم إن جَعلَ اللهُ عليكُم اللَّيلَ سرمداً إلى يومِ القيامة** ﴾[3]

كَمَا تَنسَوْنَ ، فَإِذَا نَسِيتُ فَذَكِّرُونِي ، وَإِذَا شَكَّ أَحَدُكُمْ فِي الصَّلاةِ فَلْيَتَحَرَّ الصَّوَابَ ، فَلْيُتِمَّ عَلَيْهِ ثُمَّ يُسَلِّمْ ثُمَّ يَسْجُدْ سَجْدَتَيْنِ. صحيح ابن حبان

[1]. عن عائشة: "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اكْلَفوا من العمل ما تطيقون، فإن الله لا يَمَلُّ حتى تَمَلُّوا، فإنَّ أحبَّ العمل إلى الله أدومُه وإن قلَّ، وكان إذا عمل عملًا أثبته" صحيح مختصر سنن ابي داود

[2]. النساء ٧٨

[3]. القصص ٧١

ولا تَتسرمَد الخُصوصية الَّا على الملائكة ولا بالغفلة الَّا على الشَّياطين، وأما البشر فتارةً بتارة فهو برزخٌ بين بحرين وجامعٌ للوجهين

قال ﷺ

" **لو دُمتم على ما تكونوا عليهِ عندِّي لصافحتكم الملائكة في الطُّرق وعلى فُرشِكم ولكن تارة بتارة** "[١] أو كما قال

هذا ولا تسأم خروجنا عن المقصود اذ لا يخلوا من فوائد والله أعلم.

توفي صاحبُ الترجمة رَحمهُ الله ورضي عنه بالوباء سنة أربع وثلاثين ومائتين وألف بقرية بو علالة وصلَّى عليه الشَّيخ ودُفن بجامع البطم المشهور بالبُركة البيِّنة هناك موضع اجتماعهم للذكر والمذاكرة في بدايتهم وطال جذبهم مدة تزيد على خمسة عشر سنة.

سمعت الشَّيخ رضي الله عنه مراراً يقول

"**كان الغالب علينا نذكر حلقة الذكر من صلاة العشاء الى صلاة الصبح وفي النهار مثل ذلك فهكذا كُنّا دائماً متصلة أوقاتنا بذكر الله** "[٢] انتهى.

قال

" **ولقد كلَّمتني والله البطمة**[١] **الكبيرة التي بالجامع بلسان فصيح كما يكلِّم أحدنا أخاهُ وقالت لي يا سيِّدي حين تذكرون الله هنا نستبشر ونفرح ونفتخر** "[٢] انتهى.

١.عَن أَنَسٍ ، قال : قال أصحاب رسول الله ﷺ : إنا إذا كُنَّا عند النبي ﷺ رأينا من أنفسنا ما نحب فإذا رجعنا إلى أهلينا خالطناهم أنكرنا أنفسنا فذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال : لو تدومون على ما تكونون عندي في الخلاء لصافحتكم الملائكة بأجنحتها ولكن ساعة وساعة.

٢. رسائل الدرقاوي ص٣٦

وقد كان حالهم كبيراً لا يُدرك وصفُه بالتَّعبير لأنه ﷺ كُلّما تذكَّر تلك البدايات يتبدَّل حاله وتدور عيناه في رأسه ويقول

" ما علينا الّا فضلُ الله وتلك الأيام، فَوَقتُ ذِكرنا لها نحيا ونَعيش ويطيب وقتنا وهكذا " انتهى

سيِّدي مُحمَّد بن الحَسن السوالي الزروالي

ومنهم رفيقهم في ذلك الحال التارك لِما همَّ عليه النَّاس مِن المِحان، الحازم والمُشمِّر عن ساقِ الجدِّ المُدرك حقيقة الفَقد والوَجد، وقد قيل

" حقيقة التصوف وجدٌ في فَقدٌ وَودٌّ في صدٌ "

أبو عبدالله سيّدي مُحمَّد بن الحَسن السوالي الزروالي[٣] أيضاً أدركته وعاشرته مدة من السنين، كان إذا تكلَّم يُنزل القول مَنزله ويحل به محله، حتى كان كم مِن مرَّة يُعطيه الشَّيخ دراهم على مناسبته بعض الكلمات ولو كانت في العادة ويضحك من قوله كثيراً، وكان لا يَملِك مِن الدُّنيا شيئاً ولهُ عِدَّة بنات وهو على الفَقر صابر وعلى سلوك طريقهِ مُثابر.

---

١. شجرة البطمة

٢. رسائل مولاي الدرقاوي ص ٣٦

٣. وهو من جماعة بن عبدالله من فخذ بمعان فخذ الشَّيخ ﷺ من قبيلة بني زروال عمرَّها الله وهي جماعة أسلاف الشَّيخ، وبها ولد وتربَّى، وما انتقل لزاويته ببريح حتى أخذ عن شيخه سيِّدي علي الجمل ﷺ وداره الذي ولد بها قبالة مسجد الجماعة بني عبدالله المذكورة بينها وبين المسجد نحو مائة ذراع ولا زالت الدار على مُلك أولاده وحفدته.

فكان بعض السِّنين أعطى شيئاً من الزرع فجاءهُ بعد مدة بعض الناس وناداه من باب الدار وقال له " إنَّ الجماعة يقولون لك تعطي معهم الهدية" فبنفس ما سمع كلامه دقَّ سلَّة الزَّرع التي كانت عنده وقال لها " معك هم لا معي " يعني حين لم يكن عنده شيء ما كلَّمهُ أحد، ولمَّا كانت عنده كان الكلام معها لا معه ففرَّقها واستراح، وهي حكمة لِمن تدبَّرها جليلة بالغة ونعمة من الله في الدنيا والآخرة سابغة، وله مغرِّبات ومطربات رَحمهُ الله ورضي عنه ونفعنا به وبأمثاله آمين، وإنما قدمته عن طبقته كالذي قبله لكونهما مِمَّن شيد لهذا الفن معالمه وسُبله وعَلِم فروعه وأصله.

الطبقة التي لم نرها من اخواننا أهل فاس حرسها الله

سيّدي مُحمَّد "فتحاً" بن بو عزّى المغربي

من الطبقة التي لم نرها من اخواننا أهل فاس حرسها الله منهم الفقيه النزيه المعظم المحترم والوجيه، الأستاذ البركة المحقق العارف بالله تعالى أبو عبدالله سيّدي مُحمَّد "فتحا" بن بو عزّى المغربي سُلالة قُطب الزُهّاد والعُبّاد وحُجة الله على العباد، عظيم القدر بالمَشرق والمَغرب الشّيخ الكبير ولي الله تعالى سيّدي بو عزّى المغربي الآخذ خرقة التصوف عن قطب الصدّيقين وسُلطان الأولياء والصّالحين، آية الرحمن وتاجُ العارفين في كل زمان، شيخُ المشايخ الشّريف الشّهير ذا المَجد والعِزّ والطَود الشّامخ، مولاي عبد القادر الجيلاني ﷺ ونفعنا ببركاتهم.

كان صاحب الترجمة ذا خلق حسن مُحبّاً للإخوان مُنفقاً عليهم مُذكّراً ومُقوياً ومُعيناً لهم، صاحبُ جدٍّ واجتهاد ومعرفةً بطريق القوم بالذّوق والوجد على أحسن المُراد، حسن السياسة والتعليم للجاهل والتنبُه والتيقُّظ للغافل.

سَمِعتُ الاستاذ الأكبر المُحقِق الأشهر المَحبوب لدى أهل النِسبة كُلُّهم وللشّيخ أكثر الصُوفي الجليل أبو العباس سيّدي أحمد بن زرعيل الأغزاوي[1] يقول

---

[1]. طرة ، توفي أبو العباس سيدي أحمد بن زرعيل يوم الأربعاء الثالث من ذي الحجة الحرام عام خمسة وأربعين ومائتين وألف بزاوية استاذه الشيخ مولانا العربي المسماة ببريح وغسله الولي الصالح مؤلف هذه الطبقة سيدي بوزيان وصلَّى عليه الولي الصالح أبو العباس سيدي أحمد بن عبدالرحمن نجل القطب سيدي عبد الوارث اليلصوتي العثماني وهو الذي صلى على شيخ الجميع شيخ التربية مولانا العربي بوصية منه له المرة بعد المرة ودفن بروضة شيخه المذكور .

" كان لسيِّدي مُحمَّد بن بو عزى زوجة تعرف تَنوُّرهُ ومَذهبهُ فماتت رحمها الله، ثم تزوَّج بنتاً مِن بنات أهل فاس فلم توافقه بالإكرام والإيثار في الاكرام والايثار للفقراء وتُنكر رَثَّة ثيابهم ومهنة حالهم وتنفيرهم الناس عنهم بفعلهم للمُباح وقولهم، وملازمة الحفا وتعرية الرأس ولبس المُرقَّع وحَمل العصا وجعل السِّبحة في العنق حين الفراغ منها، والصَّمت عن مَن يُنكر أو يُقر ومَن يُحبُّ ومَن يُبغض، وغير ذلك مِن أحوالِهم السَنيَّة وأصولهم الشَّريفة السُّنيَّة ﷺ وجعلنا مِن حزبهم.

فكان سيِّدي مُحمَّد كلما فتح الله عليه بنفقة وأتى بشيء منها لزوجته تقول له

" من أين لك هذا "

إذ حاله حال التَّجرُّد والخراب والتَّوكُّل وترك الأسباب، فيقول لها

" من عند الأحباب "

يوهمها أن الفقراء هم الذين أتوني به وهكذا في كل ما يرزقه الله وتسأله عنه، حتى أورثها ذلك محبةً فيهم وغبطة وإيثار على نفسها لهم فكان بعض الأيام يكون المطر والطِّين والبرد وتقول له

" كيف بك الأحباب بالزاوية برداً أو جوعاً تعني المنقطعين الذين لا أهل لهم ولا زرع ولا ضرع وكانوا جماعة ونحنُ نبيت بدارنا بالعشاء والفراش والضوء هذا لا يليق قم أحمل اليهم العشاء "

فيقوم مع كُبر سنِّه وقدره وضُعف بشريته، وشمائله كثيرة ﷺ ونفعنا ببركاته.

سيِّدي عبدالسلام بن نونة الفاسي

ومنهم حَسَنُ الخُلق والشَّمائل وسَميُّ الخلق والمحامد والفضائل، رياض المحاسن والمآثر والمكارم الغزيرة والمناقب والفوائد والحكم الكثيرة، مَن يستشهد الاخوان على الدوام بفعله وكلامه ويتمنّون ادراك حاله ومقامه، العارف الأجل المُعظَّم المُحترم المُبجَّل وليُّ الله عزَّ وجل سيِّدي عبد السلام بن نونة الفاسي أصلاً ومنشأً وداراً وقراراً وقبراً ومزاراً، صَحِب مع شيخنا شيخهُ سيِّدي علي الجمل ﷺ ولم يفارق شيخنا الى أن مات وقد انتسب وَعوَّل عليه وانتفع به ونال الخصوصية على يديه.

كان كثير الفائدة كريم العائدة صاحب عزم وحزم وقريحة وعلم وذوق صريح وفهم، خادماً للإخوان في الله ومنفقاً عليهم ابتغاء مرضات الله، بيده تَرَّابيَّة على الدوام أو على قفائه يحمل ما يفتح عليه فيها للشَّيخ أو الإخوان ويخرج ما بداره حتى حُجِّر وحُرس عليه ما كان له، ففي بعض الأوقات يأتي بفقير من الفقراء ويوقفه خارج الدار بالزقاق ويدخل هو ويوهم أهله أنه لا حاجة له ويدور في وسط الدار ويرقى الى الفوقي، والفوقي غرف الدَّار وأعلاها ويأخذ بعض الحوائج أو شيئاً يطعم الفقراء به ويرميه له من كوة أو من السطح ويخرج أمامهم لا شيء أخذ ولا شيء يريد، وهكذا حتى وجدوه بعض الأيام قد ربط حبلاً بقدرة النحاس ولا لهم أعظم منها وهو يدليها الى الزقاق فحينئذ حُجِّر وحُرس.

وكان يقول للإخوان

" ينبغي للفقير أن يكون طويل الصمت كثير الذكر لا يذكر أحداً من عباد الله بسوء، ومن فتح على نفسه باب الكلام في ذكر عيوب العامة

فسيجره ذلك الى الكلام في الخاصة يعني اخوانه أهل الطريق، فإن وقع فيهم جره ذلك الى الكلام في الشَّيخ رضي الله عنه لا محالة، فزرب العامة حفظ للخاصة وزرب الخاصة حصن للشَّيخ رضي الله عنه " انتهى.

وكان يقول للإخوان

" مالي أراكم اذا خَرجتُم من الزَّاوية الى السُّوق أو غيره جعلتم مَنطقة[1] العلم وحمل الأذى في وسطكم وأخذتم سلاح المعرفة وشرعتم في أحوالكم حتى أنَّ أحدكُم لو لقيهُ ما لا يُطيق الصبر عليه أحد من أذية الخلق لا يكترث به ولا يلتفتُ اليه، وإذا رجعتُم الى الزَّاوية خلَّيتم حزام العِلم والصَّبر وأنزلتم سلاح التَّصوُّف والفَقر ببابها حتى أنَّ أحدكُم لا يُطيق أقل جفاء القول مِن إخوانه، والصَّواب أن الفقير لا يزال محزوماً مجداً لا يأمن كَرَّة العدُّو عليه حتى يصير يغلِب ولا يُغلب ويأخُذ ولا يُؤخذ ويَجُر ولا يُجَر ويَقهر ولا يُقهر مالكاً للأحوال يفترس مَن أراد افتراسه ويَحرُس مَن راح اختلاسه، عادَ صَدُّهُ ودّاً وظمأه ورداً " انتهى.

وهكذا فهذا معنى كلامه الصادر عن شرب مدامه، ووصاياه كثيرة ونعوته أثيرة وقصدي التبرُّك بذكر بعض أهل الإرادة لأنه بأدنى شيء منهم تقع الإفادة ولو بذكر اسمهم تحصل الزيادة رضي الله عنهم.

مات رحمه الله ورضي عنه سَّنة.... من المائة المذكورة ودفن بزاوية شيخ شيخنا سيِّدي مولاي علي الجمل بالرميلة المشهورة للزيارة وبنى عليه قوساً جيداً ملتصقاً بالحائط، ولدُه الأبَر الكثير الخير والبِر العارفِ بالرحمن الرحيم البَر المقتبس منذ الصبا مِن أنوار المعارف الملازم للطائفة عارفاً

[1]. المنطقة الحزام على البطن

بعد عارف ذو الخلق الحسن القائم بالوظائف والسُّنن وليُّ الله تعالى أبو زيد سيِّدي عبد الرحمن لازال قائم الحياة بارك الله في عمره وله أولاد على نمطه في المحبَّة والنِّية والمَودَّة حفظهُم الله بمنِّه ورَعاهُم آمين.

سيِّدي الطَّاهر الأحبابي الفاسي

ومنهم عليُّ القدر كبيرُ الشأن والخطر، المُهاب المُحترم المُقدَّم المُعظَّم، العارف البركة المحفوف بعناية الله في السُّكون والحَركة، وليُّ الله تعالى سيِّدي الحاج الطَّاهر الأحبابي الفاسي، أيضاً كان مقدماً على الفقراء هنالك سالكاً في ذلك أحسن المَسالك، حَسن السِّيرة صفي القصد والسَّريرة، مات رَحِمهُ الله ودُفن خارج باب الفتوح بمطرح الجنَّة فوق روضة قُطب الدائرة شيخ أشياخنا سيِّدي أحمد اليمني ﷺ.

أبو زيد سيِّدي عبد الرحمن بن مُحمَّد بن حميدة البربوشي

ومنهم ميمون الناقبة ومحمود العاقبة، مفرج الهموم والكروب وغاية المطلوب والمرغوب، شفاء القلوب من الأحزان والهموم وبغية الخصوص والعموم، ثابت القدم وافر العلم المُفيد سواء صَمت أو تكلَّم، المُبجَّل المُعظَّم عند مَن تأخر وتَقدَّم، الفقيه الأستاذ الناجي مَن تحصن بجنابه ولاذ من تخلَّلت مكارم الاخلاق دمهِ ولحمهِ وأتصف ظاهراً وباطناً بأوصاف الرحمة، وقد قيل

" التَّصوُّف كُلُّه أخلاق فمَن زاد عليك بالأخلاق زاد عليك بالتصوف "

العارفُ والصُّوفي وليُّ الله تعالى أبو زيد سيِّدي عبد الرحمن بن مُحمَّد بن حميدة البربوشي الرحماني، كان هذا الأستاذ آية من آيات الله محترماً مبجلاً عند أهل الله، يألفه كل أحد ويأنس بهِ ومن طالت عشرته له امتلأ بحبه، ذا صبر وحلم وعلم ورأفة ورقة ورفق ولين وسهولة وصمت وحياء وتواضع وبشر وبشارة ومودة وأغضاء عن النقائص والعيوب، لا يفشي لأحد ما لا يطيق حمله مِن سرِ علم الغيوب، يُحدِّث كل أحد بقدر ما يفهم مكتفي بالله فيما يسمع ويرى ويعلم، لا يذكر لأحد ذنبه ومع ذلك يأخذ منه بأدنى إشارة أدبه.

وكان يقول للإخوان على الدوام

" الصوفي حقيقة لا يَغضب ولا يُغضِّب يعني يصفوا به كَدر كُل شيء ولا يُكدِّر صُفوهُ شيء " انتهى.

تَجِد من مارسه على الدَّوام سَفراً وحَضراً يلهج بمدحه مستهتراً، وشمائله وحِكَمه على ألسنة الفقراء تترا، وله كلام حَسن مفيد في التَّصوف، عبارته رائعة وإشارته فائضة، رأيت جملة من كلامه حاصلها الدَّلالة على الله

" وأن مَن ذَكر ربه لا يذكُر نَفسهُ ومَن ذَكرَ نَفسهُ لا يَذكُر رَبَّهُ، وعمل الفقير الصَّادق مُداومة الذِّكر مع سَلب الإرادة لله والاكتفاء والقناعة بعلمه ولا يلتفت للماضي ولا للآتي وهكذا " انتهى.

وبيدي من تآليفه ﷺ " **سلسلة المشايخ** "[١] التي ألَّف و " **فاتحة كتاب شيخ شيخنا سيِّدي علي** " التي ألَّف أجاد فيهما ما شاء وتعريفه به وتسميته لذلك الكتاب، فمن وقف على هذه الفاتحة يَعرِف حق مؤلفها وحق الكتب التي أُلفت لأجله وله غير ذلك.

مات رحمه الله ورضي عنه عام خمسة عشر من المائة المذكورة بالوباء بقبيلته الرحمانية قَدِم عليهم مِن حضرة الشَّيخ زائراً لهم مع بعض الاخوان ودُفن قريباً من رأس تانسفت وادي قرب مراكش عليه قُبَّة مُتقنة، فما رأيت مثلها في شكلها قط مواجهة لقبة الولي الصَّالح مركب العرائس الشهير الخوارق سيِّدي رحَّال الكوش[٢] بقبيلة زمران مُريد الشَّيخ الأجل سيِّدي عبد العزيز التبَّاع[٣] تلميذ الشَّيخ الاعظم وليُّ الله تعالى الشريف سيِّدي مُحمَّد بن سليمان الجزولي[٤] مؤلف " **دلائل الخيرات** " رضي الله عن جميعهم، قد بنى عليه تلك القبة على تلك الصفة حِبُّهُ في ذات الله ورفيقه سفراً وحضراً الفقيه

---

١. طرة، قال ﷺ فيما بعد كلام منقول " شيخنا في هذا الفن نور الملَّة والدين ورحمة الله للقاصدين معدن الصدق والتصديق والحامل لواء الحما والتحقيق بحر الصفا وولد المصطفى أبو المعالي سيدنا ومولانا العربي الدرقاوي وذكر نسبه ثم قال أخذت عنه ﷺ الطريق الشاذلية يوم الأحد مفتاح ذي الحجة عام أربعة ومائتين وألف وصحبته الى الآن وما زلت ولا أزال بل الى لقاء الله ، فلا ننتسب الّا اليه ولا نعول في أمرنا إلّا عليه ولا رأينا جميع الخير إلّا على يديه فهو الذي يعقل الله أخرجنا من سجن نفوسنا الى فضاء ربنا ومن رعوناتنا الى كمالاتنا ومن الظلمة الى النور ومن الغفلة الى الحضور ومن الحجبة الى كشف الستور، فمن نسبنا الى غيره فهو بأمرنا جاهل أو مكابر غافل.

٢. مُحمَّد بن احمد بن الحسن الشهير عند المغاربة بسيدي رحال البدالي، ولد عام ٨٩٠هجرية توفي سنة ٩٥٠هجرية

٣. عبد العزيز بن عبد الحق التباع الحرار المراكشي تلميذ الجزولي توفي سيدي عبد العزيز التباع سنة ٩١٤هجرية

٤. أبو عبد الله مُحمَّد بن سليمان بن عبد الرحمن بن أبي بكر الجزولي السملالي ولد ٨٠٧ تلميذ سيدي زروق توفي ٨٧٠هجرية.

الربَّاني العارفُ الصَّمداني من بحاله ذات واحدة وصفات في الله مُتَّحدة وليُّ الله تعالى الصُّوفي أبو العباس سيِّدي أحمد النجَّار الشَّريف الحَسني الشفشاوي أصلاً القاطن برباط الفتح داراً وقراراً ومزاراً، وأهل القبيلة كانوا يدفعون له المال ويخدمون بأيديهم وبهائمهم وطعامهم وشرابهم فدفع فيها مال عريض من غير الخدمة والكلفة، زرته بعد الثلاثين سنة من المائة المذكورة في جماعة من خاصة اخواننا أهل علم الباطن في سياحة كانت لنا هناك في تلك النواحي بإذن شيخنا رضي الله عنه.

سَمِعتُ مِن مُقدَّم الرَّوضة وكان فقيراً صالحاً مُحباً صادقاً لمَّا كُنَّا أزاء القبة لخيمته وهو الأخ في الله سيِّدي الحاج مبارك أنه في بعض اللَّيالي أدركه النَّصَب والتَّعب والعيا والمَلل مِن الحراسة إذ كانت القبيلة تُنزل متاعها هناك للحَرم وتذهب الى بلدٍ بعيدة لطلب الكلأ كعادة الغرب فيخافُ على مَتاعهم، قال فَطفتُ ذات ليلة غاية حتى ضاق صدري وانقبضَ خاطري ورَجعتُ للخيمة فجلستُ نَصطَلي ناراً إذ كان وقت البَردُ وجعلتُ السَّيف بحِجري وإذا بسيِّدي عبد الرحمن نفعنا الله به يُنادي مِن خارج القُبَّة يا سيِّدي الحاج مُبارك فقلتُ نَعم فقال يا أخي لا تُتعب نفسك أنتَّ أحظى ما شاء الله وأنا نحظى ما شاء الله، قال فَوقفتُ وأنزلتُ السِلاح على الرجل ورَقدتُّ حتَّى طَلع النَّهار فَمن ذلك اليوم ما عُدتُّ لتعبي إذ علمت أنَّ صاحب الحرم واقف معه يحرسه وفضله كثير وقدره كبير أشهر من نار على علم.

أبو عبدالله سيّدي مُحمَّد بن طالب

ومنهم رضي الله عن جميعهم رفيقه بالسَّفر والحَضَر وشبيههُ في اصابة الرأي والنَّظر وهو معه في الله ذات واحدة وصفات مُتَّحدة، الشَّريف المُنيف الذكي الزَّكي التقي العَفيف، الوَلي الصَّالح الصُوفي المُحقِّق المَعروف بالموعظة والنَّصائح أبو عبدالله سيِّدي مُحمَّد بن طالب نجل الولي الجليل الشَّريف الأصيل مولاي علي بن عُمر بأيْث سغروشا حرسها الله، كان في طريق الله مُجدّاً ولطلب المقام الأعلى حريصاً ومُعِداً، ذا فقر صحيح وذوق صريح، مُتجرداً عن الدُّنيا وأهلها لا يعبئوا بكثيرها ولا قليلها، عارفاً بالتَّصوف وأصوله وفُصوله عاملاً بمقتضى نَيلهِ ووصولهِ، ماتَ رَحمهُ الله ﵁ بدار الشَّيخ بو بريح ببني زروال حرسهم الله من كل ضلال.

سيِّدي عبد القادر بو جدَّة

ومنهم العالم العلَّامة بَحرُ الحقائق والرقائق المُشارك الفَهامة، الغني بما أشهرهُ الله وأظهرهُ وحَباهُ عن النَّعت والعلامة، الصُّوفي الذائق الفاتق رتق عرائس أبكار المعارف والحقائق، أبو الفضل سيِّدي عبد القادر بن بو جدة ابن أحمد بن مُحمَّد بن الشِّيخ عبد القادر الفاسي مِن ذرية ساداتنا وأشياخنا الفاسيين، استوطن من الطريقة خيامها وشرب مدامها وحمل أعلامها فاسمع منه ان شئت كلامها[1].

---

[1]. حكي عن صاحب الترجمة أنه كان جالساً يوماً مع بعض الفقهاء وهو يتكلّم في علم القوم والفقيه يجادله ويستدل عليه بكلام جده أبا المحاسن سيّدي يوسف الفاسي ففاض فيه حال قوي ثم قال للفقيه اسمع مني واترك عني سيّدي يوسف فسكت الفقيه إذ ذاك ولم يتكلّم حتى قام صاحب الترجمة.

قالَ رَحمهُ الله ورضي عنه

" الحقُّ سبحانهُ وتعالى قد عمَّ وجوده سائر صور الكائنات، فالكُلُّ به ظاهر وبسلطانه لجميعها قاهر، فلا يَشهدُ في صورةٍ مِن الصور سِواهُ ولا وجودَ في الحقيقةِ لِمن عداهُ، فهو المرئي بالأبصار المتحدة مع بصيرة أهل الاستبصار، وجَلَّ أن يُرى بالأبصار وحدها لتحديدها بالجهة والمقابلة اللّتين هما من لازمها، فالبصيرة تَرى مِن خلف كما ترى مِن أمام مِن غير جهة ولا مُقابلة لِما تراهُ مِن حقائقِ الأنام صور وبها يَشهدُ الحقُّ على الدَّوام، والبَصر تابع لها وقائم بحكمها فإذا قذفَ الحقُّ فيها نور وجوده وكشف عنها حجاب الأكوان المانعة مِن شهوده يشهده مَن هذا حاله مِن غير كيف في جميع صور وجوده، فإن احتاج لشيء فأنه يطلبه منها ويسأله مِن خزائن جوده التي هي أبوابها فلا يتوقف على شيء تعلقت به طَلبتهُ ولا يفتقر لشيء مِن حيث كونيته لحضوره مع مولاه ومشاهدته لهُ في جميع صور وجوده، إذ ليس معه فيها سواه فيمُد يده عند الحاجة الى أي صورة منها ويتكفف له في عينها في كل وقت من أوقاتها ويأكل من خزائن الجود ومن أطيب ما يكتسبه من عمل يده عند أهل الشُّهود، ويكون أكلهُ لذلك من أجل ما يؤكل وسؤاله على الوصف المذكور من أفضل العمل، لاقترانه بمشاهدته تعالى وجلْ والأخذ منه بيد الافتقار والوجل، وتَلبُّسهُ بوصفِ الذُّل الذي هو غاية المطلوب والأمل، ولا عليه إن لم تُزحزحهُ شهوتهُ أو تُكدِّرهُ غَفلتهُ فيما كثر من ذلك أو قلَّ، وإن كان الفقير يقتصر على ما يسد به رمقه فان ما فضُل عنه يُقوِّتُ به غيرهُ، هذا والخلق كُلُّهم مُتكفِّفون ولأرزاقهم يتعرضون، إلّا أن العامَّة يَتعرَّضون لها بأنفسهم فَيتكفَّفونه سبحانه بعوض منهم في زعمهم والخاصة يتكفَّفونه بما منه فيهم فيأخذون بما منه أيضاً

اليهم، فالسَّائل على هذا الوصف وبإذنٍ مِن شيخٍ مُربِّي أكلُهُ حَلال ويدان به الكبير المتعال " انتهى.

حكاية. وقد قال سيِّدي سهل بن عبدالله التستري ﷺ[1]

" لو كانت الدُّنيا دماً عبيطاً لأكل المؤمن منها حلالاً وشرب حلالاً وعليه جرى عمل بعض الأشياخ قديماً وحديثاً ولا عليهم فيمن أكثر في ذلك حديثاً الى آخر كلامه " انتهى.

وهو حَسن بَديع صَدَر مِن مَنهل عَذب رفيع بَيّن فيه وجه الأحاديث الواردة في ذم السؤال لبادئ الرأي مطلقاً وأشار لحقيقتها وحال الصادرة بسببه رأفة عليه وشفقة وخيفة أن نفسهُ نار مُحرقة، ولهُ ﷺ تقاييد رقيقة وتأويلات لكلمات الله وأحاديث في صريح الحقيقة وقفت على بعضها ورأيت برنامجاً له نحو الأربعين باباً ولم يُخرجه مِن تبييضه والله أعلم في " مراتب الوجود وظهور تنزلات المنة والجود.

" مات رَحمهُ الله ورضي عنه سنة خمسة عشراً أو أربعة عشر بالوباء والله أعلم مِن المائة الثالثةَ عَشر.[2]

سيِّدي مُحمَّد بن عبدالله المكودي

الوليُّ الصَّالح السَّالك الجد النَّاسك الواعِظ النَّاصح سَنيُّ الأفعال والأقوال وسَميُّ المقامات والمُنازلات والأحوال، المُرشد المُعين المَنهل العَذب الصَّافي

---

[1]. لو كانت الدنيا دماً عبيطاً لكان قوات المؤمن منها حلالاً لأن أكل المؤمن عند الضرورة بقدر القوام فقط .كتاب اتحاف السادة المتقين بشرح احياء علوم الدين " مُحمَّد بن مُحمَّد الحسيني الزبيدي ص٤٨

[2]. ويحكى عنه أنه لمَّا حضرته الوفاة قال له بعض الفقراء يا سيِّدي أنذكر شيئاً من الاسم المفرد فقال له ويحك نحن في الاسم الآن أم في المُسمَّى.

المَعين، مُشِدُّ أزر الإخوان بالذِّكر والتَّذكير ومُدحظ رِفقة المَعاندين والمكابرين والانتقاد والتنكير، العارفُ بالله الصُوفي أبو عبدالله سيِّدي مُحمَّد بن عبدالله المكودي بتازة حرسها الله.

كان رَحمةُ الله ورَضي عنهُ مُجدَّاً مُجتهداً لإرهاصات السُلوك مُسدَّداً و مُمَهداً، مالِك لحالهِ مُصرِّفاً شأنُه كُلهُ في مَحاله مَحبوباً مقبولاً عليٌّ حَسنُ الخُلق والورع مَجبولاً، مُقدَّماً عند الشَّيخ والاخوان ذاكراً مُتفكراً كُل حين وأوان، قد جمع رَسائل الشَّيخ التي أتت منه إذ كان كثيرُ المُراسلة والمواصلة له دائماً، وأخذ نُسَخاً أيضاً مِن رسائل الشَّيخ لغيره مِن أهل المغرب والمشرق والسخرة وغير ذلك حتى كان من ذلك العدد الكبير، فتنبَّه الشَّيخ لذلك وفرِح به غاية الفرح وسُرَّ غاية السُّرور وجزاه عليه خيراً حسبما ذلك مذكور في كتابه حين ألَّفهُ معه في ابتداء الأمر في " **جمع المبيَّضة** " وله مذاكرة وله كلام كثير في التصوف نظماً ونثراً، ومذكراته للإخوان نافعة ورأيت له شرحاً على " **منظومة الغوث الكبير**" سيِّدي أبو مدين الغوث ﷺ

ما لذَّةُ العيش إلَّا صُحبة الفُقراء هُمُ السَّلاطينُ والسَّاداتُ والأُمراء

ورأيت له رسالة جليلة فيها حكم ومواعظ في سلوك الطريق نوَّع فيها الأساليب وأحسن في تشويقها السَّجع والتراكيب، ورأيت له " **منظومة عينية**" في بحر الطويل أشار فيها لظهور الحق وكماله، ورأيت كتابه الذي ألَّفهُ في علماء تطوان حرسها الله وكبرائها في تَعنُّفهم وتَعنُّتهم ورِضاهُم عن أنفسهِم وجَهلهِم وجَهل جَهلهِم وإنكارِهم على أهلِ العِلم حقيقةً والعمل العارفين الكُمَّل حتى فَتنوهُم وسَجنوهُم وامتحنوهُم وأرادوا أن يطفئوا نور الله بأفواههم

﴿ ويأبى الله إلّا أن يُتمَّ نُورهِ ﴾[1].

وقد سماه " **بالإرشاد والتبيان في رد ما ذكرهُ الرؤساء لأهل تطوان** " سَلكَ فيه مَسلك الصِّدق نُصرة لله ونصيحة لهم ابتغاء مرضات الله، وكان حاضراً صاحب الترجمة والكتاب في تلك المِحنة والبليَّة ومعهُ في السِّجن جماعة مِن الفقراء نحو العشرين كُلُّهم أهل قراءة وعِلم وعَمل وتَصرُّف وحال، فيهم الأَخوان العالِمان الصُّوفيَّان الوَليَّان الشَّريفان أبو العبَّاس سيِّدي أحمد بن عجيبة وأخوهُ مولاي الهاشم ابن عجيبة كانا بالسِّجن[2] ونالا مِن السَبِّ والشَتم ما نالَ العَدد المذكور، وفيهُم البدرُ المُنير والعلَّامة النحرير إمام الاحترام والتوقير الصُّوفي المُتدارك الجامع المُشارك أبو العبَّاس سيِّدي أحمد كوهن الفاسي أصلاً التَّازي داراً وقراراً ومَزاراً وغيرهُم مِن خواص أهل الطريق وأعلام المَعارف والتَّحقيق، فانتقموا مِنهُم نفاسةً وجهالةً وحَميةً للباطِل وغباوةً ورذالةً مِن غير قُبح صَدر منهُم ولا سَمِعوا بمُنكر صحَّ نقلهُ عنهُم وإنما هي حُججهم، لِمَ تلبَسون المُرقَّعات وتَحملون في أعناقكُم السِّبحات، وتأخذون العَصا بيدكُم وتَمشونَ بالحفاء، وتجتمعون للذِّكر والمُذاكرة والاعلان للذِّكر والمُداولة لهُ، وحلقةُ الذِّكر في المَساجد وفي

---

[1]. التوبة ٣٢

[2]. لما ظهر الطريق وانتشر ذكر الله في البلاد نقم عليهم بعض من يُنسب الى وزّان فعمل عليهم ببينات جلُّها زورية بأحوال ظلمانية يريد بذلك أطفاء نور الله والله متم نوره، وأن بعض العوام ادَّعى على أخي أنه دخل داره ولقن أمراته الورد في غيبته وهو برئ من ذلك إنما لقنها مع بعض النساء في دار غيره وهو لا يعرفها فشكا ذلك الرجل الى سيدي علي بن أحمد بن القطب الوزاني بوزان فأرسله قائد تطوان يشتكي بحاله ، وكتب فقيهه الفلوس الى القائد حمان الصريدي يأمره بقبض أخي فأمر بقبضه ، فلما بلغني أنه مقبوض بقبيلة أنجرا خرجت معه حتى قدمت معه الى القائد ، فلمَّا أمر بسجنه قال لي أنت لا دعوى لي عليك فقلت، أنا لا أفارق اخي فأمر بسجني معه ثم قبض فقراء تطاون كلهم فكانوا معنا في السجن عام ١٧٩٥م.

الزَّوايا وفي الخلاء والملأ، والرقد بالطُّرق وعَدم المُبالات بالخلقِ وتَذكرون الله على الدَّوام سِراً وجَهراً، وتسألون النَّاس القوت والإفطار وتَتركونَ تَدريس عِلم الظَّاهر، وتَهتمونَ عَمَّن يُكلِّمكُم ولا تُبالون بمن يُنكر عليكُم ولا تلتفتون لأحدٍ ولا عليكُم فيمن يغرُّكُم أو يُنكركُم أو يَمدحكُم أو يَذمُّكم، إذ هذا حالهُم ﷺ ولهُ أصل ثابت في الكتاب والسُنَّة وعليه كان سَلف صالح الأُمَّة ومَن تَبعهُم الى هلُمَّ جرا نفعنا الله بجميعهم.

وكانوا يُخرجون الفقيه الأجل سيّدي أحمد كوهن مِن السِّجن ويَطلبونَ الكلامَ معهُ بحضرة القائد الصريدي والعُلماء وحين يُفحمهُم بالجواب ويُدحض حُجَجُهم بالسُّنة والكتاب يَستنكفون ويَستكبرون ويَشمئزُّون فيردُّونهُ الى السِّجن ويَجعلون السِّلسلة عليه.

وقد قال له بعض العُلماء

" هل مرَّة ثَبت لديكَ أن النَّبي ﷺ لَبِس هذه المُرقَّعة التي عليك ؟

فقال له

" وأنتَّ هَل ثَبت لديكَ أنهُ لبِس هذا البَرنوس الأزرق الذي عليك " ؟

فأنف مِن ذلك فقالوا أتسيئ الأدبُ على الفقيه ردُّوهُ الى السِّجن.

والحاصل النفس خبيثة لم تقبل الحق ولا حول ولا قوة إلَّا بالله وَهمُ العُلماء الخُصوص الذين يقتدي العوام بهم سيما ومَعهُم الشَّريف النَّيف الحُجَّة الكبيرة وليُّ الله تعالى أبو الحَسن سيّدي علي ابن ريسون وكان أبوه من الأولياء المجاذيب الكبار قلَّ أن يَصحب السُّكر صَحوهُ مُصطلماً في

حضرة الله، كان شيخنا ﷺ يَعدُّهُ مِن أشياخهِ كسيّدي علي الجمل رضي الله عنهما في حكايات وقعت له معهُ.

وقد وقع التنبيه عليها في أول هذا الكتاب عند زيارة الشّيخ لأولياء الله وكونه زاره سَبع مرّات وزارَ ابن عَمِّه الشّيخ الجليل وليُّ الله تعالى الشّريف العَلمي مولاي الطَّيب بن مُحمَّد بوزان سبع مرات أيضاً وكون سيّدي مُحمَّد بن علي بن رَيسون ضَرب أستاذنا في حال السُّكر العَظيم ثلاث مرَّات لصَدرهِ ويقول له في كُلِّ مرَّة

" الله يقويك "

قال وفي الرابعة أخذني مِن كتفي ودَفعني بسُرعة مع الباب وقال

" يا سيّدي نَحنُ أعطيناك الكبيرة "

وقد انتصر لهم على سبيل النصيحة والموعظة الفقيه العلّامة الخَطيب الأديب المُشارك نقيب الأشراف بحضرة فاس حرسها الله الشّريف العلمي أبو الرَّبيع سيّدي سُليمان الحوات بقصيدة في بحر الطويل مُخاطباً لابن عمه علي بن ريسون وهو أحق باللوح أكثر منهم مكيناً له فقال

أبا حسن كن مثل والدك الذي ... تغيب في سكر الشهود عن الحسِ
وإلا فاصلح منك بالزهد فاسداً ... وكن واثقاً بالموت يصبح أو يمسِ
ولا تعترض ما لست تعلم حكمه ... ودع عنك حظ النفس والرجم بالحدسِ
وانصف ولا تجحد إذا كنت عالماً ... بغيب غد كعلم ما مرَّ بالأمسِ
فما بالكم تسعون سعي معارضٍ ... لطائفة التجريد في الضرب والحبسِ
فكيف يهين ابني عجيبة مسلم ... وعليها بالله أجلى من الشمسِ

وعــالم تــازا لأخ بــدر ســعوده فظــن لــديكم أنــي كوكــب الــنحسِ
كأنــك لــم تعــرف حقيقــة ســرهم ولــم تعتــرف منهــا بنــوع ولا جــنسِ
هــم القــوم كفــوا أنفســهم ولســانهم ومــن يســتطع كــفَّ اللِّســان أو الــنفسِ
أهــانوا يــداً كانــت تَمــد تكبُّــراً لِلَــئمٍ فمــدوهَا إلــى طلــب الفلــسِ
وقــد عَوضُّــوا عــن الشــفوف عبــاءَةً مُرقعــةً قــرت بهــا العــين فــي اللــبسِ
وفــروا إلــى الله علــى حــين علمهــم بــه تــاركين الخلــق فــي مجمــل اللــبسِ
فــدونك نصــح يــابن ريســون واشــتغل بنفســك عــن النــاس مــن عمــرٍ أو قيــسِ
ولا تــرى إلّا الله فــي كُــل وجهــةٍ وبــع صــفقة الأكــوان بــالثمن الــبخسِ
فهــذا أبــوك الغــوث كــان كمــا تــرى وكــم قبلــه مــن عــارفٍ زاهــد جــرسِ
أمــا لــك فــي الشّــيخ ابــن سودَة أُسوةٌ أمَــا أنــه فــي العلــم تــاجٌ علــى الــرأسِ
وكــان أميــر المــؤمنين مُحمَّــد يُــذكر فــي حــق الزوايــا بمــا يــنس
ومــا ظــن فــيهم ريبــةً قــط لا ولا ســفاهم كغيــرهم نقيعــاً مــن البــأسِ
وهــذا ابنــه فــي العلــم والــدين قُــدوةٌ ومــا حــط منهــم لا بجهــر ولا همــسِ
فســلِّم هــداك الله تســلم ولــو لمــن تخبَّطــه الشــيطان يومــاً مــن المــسِ
وإنــي ســليمان ابــن عمــك لا أرى ســواي لكــم يرمــي بنصــح عــن القــوسِ
وحبــي لكــم قــوى انتصــارى لهــم فكــن كهــمٍ لا تــرى بغيــر ربــكَ مــن أنــسِ

وأنشد الفقيه الجليل سيّدي عبد الودود بن عمر التازي الأندلسي قصيدة في تلك القضية من خمسة وأربعين بيتاً تركتها اختصاراً، يمدح بها شيخنا وأصحابه وطريقته وسيرهِ وسيرته سمَّاها " **مقمعة الحُسَّاد** " والحاصل من وقفَ على تأليف صاحب الترجمة يَعرفُ تفصيل تلك القضية ويُحق الله الحق ويبطل الباطل

﴿ وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا ﴾[١]

ويَعرفُ جلالة مؤلفه إذ الأثر دليل على المؤثر

" تكلموا تُعرفوا " كما قيل، وفي الحكم[٢]

" كُل كلام يبرز وعليه كسوة القلب الذي برز منه "انتهى.

ومن كلامه رحمه الله ورضي عنه أي صاحب الترجمة في بعض قصائده

فيا لائمي في حُب ليلى تجاهُلاً ... أقِل بنفسك العذل فما هو نافعُ

أهيم بها ما عشت وجداً لأنها ... أتتني من الحسن البديع لوامعُ

سقتني من الصهباء صرفاً ولو سقت ... جبالاً من الصخر لعادت صوادعُ

فو الله ما في الكون حُسنٌ يضاهيها ... ولولا هواها ما ترنَّم والعُ

فما غنت الأطيار إلَّا بذكرِها ... ومن حُسنها الأشجار مالت تدافعُ

فمن لم يذق طعم الغرامِ تهتكاً ... ووجداً بنار قد حوتها الأضابعُ

لعمري ضاعت منه الأيام وما له ... نصيبٌ من الدنيا وأخراه ضائعُ

فإن شئت أن تحضى بطلعةِ وجه ... تقدم وإلا فالمتيمُ خاضعُ

وقد كان رحمه الله منعوتاً بالورع والجد والاجتهاد لا يركب الرخص وينهى عنها.

قال في بعض رسائله بعد كلام

---

١. الاسراء ٨١

٢ الحكم العطائية لابن عطاء الله رحمه الله

" فكم من واحد غشيه نور العلم في البدايات فانحلّ في الظاهر ظناً منه أنه وصل النهايات، فاستوطن الرخو وعدم الجد والاجتهاد حتى أَلِفت نفسه ذلك وأبعدته عن المراد، فلما هبت عليه أرياح الاختبار وجد نفسه في أرض الفيافي والقفار، وليس معه زاد ولا طاقة له على جد ولا اجتهاد فندم على ما فات وكيف ينفعه الندم هيهات هيهات، فتنبه أيها الأخ الحبيب وتيقظ فإن الأمر عجيب " انتهى.

وله من ذلك كثير توفي رحمه الله تعالى بالوباء عام أربعة عشر أو خمسة عشر والله أعلم من هذه المائة، وكان معه بتازة حرسها الله ونواحيها من سالكي طريق الإرادة ونائل فوق ما يظن به وزيادة تصوفاً وذوقاً وإفادةً، عدد كثير وجَمّ غفير نفعنا الله لجميعهم، وأمَّا مَن بلغنا خبرهم مِن هذه الطبقة في كل ناحية مِمَّن نال الجذب والجمع الصداح وشرب وسكر وعربد وغنَّى وصاح ودامت له السرور والأفراح فلا نحصيهم والله عدداً جعلهم الله لنا عدةً وعدداً آمين.

فصل في الطبقة التي رأيناها وتوفيت رحمة الله علينا وعليهم

وهم والله لا نحصيهم ولو كتبت مجلداً في ذكرهم لا نستقصيهم، لأني منذ انتسبت عليهم وأويت إليهم وخيمت بين أظهُرهم ونحن والحمد لله بعيسوب أرواحهم نتصفحهم حين يدخلون وحين يخرجون من مراحهم، ولم يتأخر في كل وقت إلّا النادر عن مواصلة الأهل إذ به زيادة الترقّي في الوصل مع إننا لا نحكم على من لم يأته بالانقطاع والفصل

﴿ وما يَعلمُ جنودَ رَبِّك إلّا هو ﴾[1]

ولكن نذكر منهم نزراً قليلاً ونبدأ بمن كان لنا ولغيرنا على الله دليلاً وكفى بالله ولياً وكفى به وكيلاً سبحانه لا إله إلّا هو.

سيّدي عبد القادر بن الشّريف

فأقول هو سيِّدي وسندي الآخذ وقت الصِبا بيدي، العالم السَّني الشَّريف الحَسني الولي الصَّالح النَّاسك النَّاصح المَسموع المُطاع المُتَّبع النفَّاع المُجتبى المَحبوب الطَّويل الباع، قُدوة مَن به أقتدى وهداية من أهتدى بُغية المُنى والمَقصد، الشَّيخ المُرشد الغني عن التَّعريف سيِّدي عبد القادر بن الشَّريف رحمه الله تعالى ورضي عنه، فعنه أخذنا ورد شيخنا وحبَّبهُ الله إلينا فكان يبحث في الله القريحة ويمشي في الأرض بين العباد بالنصيحة، مستدلاً بالآيات والأحاديث والأثار الواردة الصحيحة، عارفاً بعلم الظاهر والباطن له مَلَكةٌ على إيصال المعنى لكل أحد، قد تَبِعتهُ طوائف مِن النَّاس عُلماء وطَلَبة وصُلحاء وأهل الزوايات والأشراف والعوام رجالاً ونساء كباراً

---

[1]. المدثر ٣١

وصغاراً عبيد وأحراراً وأهل تجريد وإرادة وأهل تبرُّك ومودَّة، وفنى في ذكر الاسم جُلُّهم ونال الجذب بعضهم.

كان مستهتراً بكلام الشَّيخ ﷺ وقراءة رسائله مُحرِّضاً على العمل بها وكذلك كلام الأكابر مِن إخوانه في الله سيما الفرد الأكبر سيِّدي مُحمَّد بوزيد والعالِمَين العارفَين الصوفيَّين سيِّدي مُحمَّد بن معروف وسيِّدي أحمد بن عجيبة فكان على الدوام يلهج بذكرهم ويستشهد لنا بفعلهم وقولهم وحالهم، وكان يوضِّح المعنى للبليد فأحرى الحاذق اللبيب، وكانت تأتيه أركاب كثيرة للزيارة والانتفاع طائفة صادرة وأخرى واردة، وكُل رفقة يجعل لها مجلساً وقت انصرافها مِن عنده في ذكر الفرائض والسُنَن المؤكدة مِن أحكام الاستبراء والوضوء والغُسل والتيمُّم والصَّلاة والصَّوم وغير ذلك مِمَّا لا غنى للجاهل عن تَعلُّمهِ، ويَحضُّهم على الاقبال على الله والانحياش إليه والإعراض عن سواه والزُهد في كل ما عداه وكَثرة ذكره وطول الصَّمت عن غيره، فانتفعَ ونفعَ وجلبَ ودفعَ وخَفضَ ورَفع بإذن الله وإذن الشَّيخ له بذلك كما هو معلوم في رسائله ﷺ من قوله بعد كلام

" فقد أذنتك إذناً عاماً تُربّي مَن شئت بما شئت كما أذنني ربي سبحانه وسيِّدي رسول الله ﷺ وكما أذنني شيخي سيِّدي علي ﷺ واعرف يا أخي سرَّ الإذن وخيره وبركته ولا تجهله إذ المأذون مأمون إذ هو في ضمن الله وضمن رسوله ﷺ وضمن اشياخ الطريقة ﷺ " انتهى إلى آخر كلامه.

وكان رحمه الله يزور الشَّيخ مرة في السَّنة في رَكب مِن أصحابه ويأتي بزيارة كبيرة عبيداً وإبلاً وبغالاً وفُرُشاً وعروضاً ودراهم ودنانير وحُلياً وغير ذلك، ولا يترك بداره شيئاً حتى حُلِّيهم ولباسهم إلَّا ما لابُدَّ منه ولا يرجع من الزيارة حتى يجد عندهم أكثر مِمَّا أخذ لهم، وهكذا في كُلِ مرة سمعناه منه

مراراً وحين يرجع من الزيارة يبعث من لم يزر طائفة بعد أخرى، وقد أمره الشَّيخ بذلك كما هو في الرسائل خيفةً عليه مِن الشُّهرة وتَستُّراً عن الوشاة والحُسَّاد

﴿ وكانَ أمرُ الله مَفعولاً ﴾[1]

ولا يَنفَع حَذر مِن قَدر، وأيضاً رفقاً به إذ الطريق بعيدة وكثرة الناس فيها كُلفة ومَشقَّة، وقد رأينا ذلك حين قدمنا معه لزيارة الشَّيخ في ركب نحو خمسين ومائة عام تسعة عشر قبل سلطنته بِسَنة[2] فكان جُلَّ الأيام ينزل عن بغلته أمام الركب ويُقسم على بعض الضُعفاء حتى يركبها ويمشي على رجليه مع كُبر قَدره وضعف بشريته، ويقول حينئذٍ لكل راكب

" من أراد الربح فلينزل "

ويركب الماشين مسافة فينزل الجميع إلَّا مَن كان له عُذر بَيِّن، ولا يبقى عالِم ولا صالح وهكذا كُل يوم، ويتفقد مؤنة الجميع من الضعفاء وكان يدفع ما شاء الله من الزيارة لأهل كل بلدة من الإخوان كفقراء تلمسان وَ وجدة وتازة ومزيات وبِنان وغيرهم ولكل واحد من الأكابر.

ولمَّا وصلنا بقرب دار الشَّيخ بوادي تَصرفت[3] أمَرَ الشَّيخ العالم الصوفي الشَّريف سيِّدي أحمد بن عجيبة وأخاه سيِّدي الهاشمي وجميع من بداره من الزوار أن يلقونه بالذكر، وكانت مع سيِّدي الهاشمي وابن عجيبة طبول و غوائط فلقيه الجميع بعضهم بالوادي، وبعضهم مع ولد الشَّيخ سيِّدي مُحمَّد العربي بنصف الطريق من القبيلة، وبعضهم قريباً من الوادي، فقدموه أمامهم

---

[1]. النساء ٤٧

[2]. وظَّف السلطان سليمان سيدي عبدالقادر الشريف وأخذ البيعة منه على وهران بالجزائر سنة ١٢٢٠هجرية .

[3] . قرية برأس ورغة من قبيلة مزيات

وهم يذكرون الله إلى أن وصلنا قريباً من الدار وجدنا الشَّيخ مع سيِّدي مُحمَّد بوزيد قادمين نحونا وسيِّدي عبد القادر ومن معه حافي الرأس والقدم فأنكب على رجلي الشَّيخ يقبلها والشَّيخ قائم، فحنى الشَّيخ عليه وغطَّى له رأسه وجعل يفعل مثل ذلك مع فرد الوجود وإنسان عين العيان والشُّهود سيِّدي مُحمَّد بوزيد وقد اجتمع خلق كثير من الإخوان عند الشَّيخ في تلك الأيام.

سمعت المُقدَّم الجليل ولي الله تعالى سيِّدي عمر صالح الزروالي بعض الليالي يقول " عشَّينا الليلة خمسمائة " وفي تلك الأيام كان الشَّيخ يبني قُبَّة الولي الصالح سيِّدي أحمد بن يوسف التي بقرب داره، ولمَّا سرده الشَّيخ وخرجنا نودعه في اليوم الذي سافر فيه قال لي

" **اجلس هنا عند أبينا وأبيك إذ هو والدنا حقيقةً حتى تستريح** " انتهى.

إذ كنتُ مريضاً ضعيفاً صغير السِن وكان قصدي الاقامة ولأجلها قَدِمت لسيِّدي والحمد لله فكشف بقصدي والله أعلم.

وقال لي أيضاً

" **لا تأتينا إلَّا بدربالةٍ** " انتهى.

يعني مرقعة وكان يُحب من يتجرَّد وينقطع إلى الله ويتوكل عليه من الإخوان، وكان يستَحيي مِن والدتي رحمها الله ورضي عنها ونفعني من بركتها.

توفي[1] بالوباء سنة ثلاث وثلاثين من هذه المائة والله أعلم في جماعة من أصحابه كالفقيه الفقير الفارس المجاهد راغم أنف المَكابر والحاسد سيِّدي عبد القادر بن المجاهد وغيره بجبل الكواكب بني أزناسا حرسها الله ودفن مقابلاً لداره التي نزل بها حين تأخر عن قتال الأتراك تركهم الله نسياً

[1]. وفاة سيدي عبد القادر بن الشريف الدَّرقاوي ﷺ

منسياً، وذلك لنفاق الناس وعدم نصرتهم للدِّين بعدما قطع الله به عدداً كثيراً من أهل البغي والفساد وأذاقهم الخزي وذلَّ العباد وشَتَّت شَملهم وبَدَّد ملكهم وأطعم كل جبارٍ منهم ومُعين لهم مَرارة سيفه فمات حَتم أنفه، فكانت رايته فيهم تشبه رايات سيِّدنا خالد بن الوليد رضي الله عنهما في أشباهِهم فسقاهم شراب البؤس وقطع منهم الأنامل والرؤوس وحيَّرهم وأدهشهم وأتلفهم ولا ظَلمهُم فيما فعل بهم بل هم ظلموا أنفسهم بخروجهم عن الدين، قد أحلُّوا الدماء والأعراض والأموال من المسلمين بغير موجب وطلبوه ومَن تبعه وأرادوا إهلاكهم وقَتْلهم بُغضاً في الله لا لشيءٍ رأوه منهم ولا صح نقله عنهم، فانتصر ﷺ فنصره الله فكان هو أول انفتاح ظهر فيهم وأول دعاء أُستجيب عليهم.

قد كان شيخنا قطب الوجود ومحل ظهور المِنَّة والجود الأستاذ المُربِّي سيِّدنا ومولانا العربي الشريف الدرقاوي ﷺ يقول

" إذا أراد الله ظهور وصف من أوصافه سبحانه الجلالية أو الجمالية أنزله بقلبه أولاً مجملاً فيُخبر به ويحكم بحكمه ثم يُصرِّفه الله تعالى في أوقاته مُفصَّلاً " انتهى.

فهذه والله حالُه الشَّاهدة بها أفعاله وأقواله، فمن جملة ذلك برز فيه هلاك الأتراك وذل الجبابرة فأُذن في الدعاء عليهم وبَذل فيه الجَهد مع الاضطرار والإلحاح الدؤوب مع قوة العزم واليقين بتحقق الإجابة.

سمعته مراراً ﷺ يقول

" كثيراً ما نستيقظ من نومي ونجد يدي إلى السَّماء منصوبتين وأنا أدعوا على الأتراك وأشباههم من غير قصدٍ مني بل قهراً عليَّ " انتهى.

وهكذا كان مستغرقاً في هذا الأمر مدة من السنين وسمعته مرة يقول

" هذه أربعون ليلة يعني بها الليالي المعلومة في فصل الشتاء ما نِمتُ فيها ليلة واحدة وأنا أبيت فيها جالساً ادعوا على الأتراك وقد أُستُجيب لي فيهم وقُضِيت

حاجتي وَوعدَني رَبِّي سُبحانه بهلاكهم والله على ما نقول وكيل ولولا ما نحن معكما في ذاتٍ واحدة ما أخبرتكما بهذا " انتهى.

وقد كنت أنا وأخي في الله وخلاصة ودّي لجلال الله الولي الناسك الصالح الناصح العارف المحقق أبا العباس سيّدي أحمد الخضر ابن العلاَّمة الصالح المقرئ القاضي سيِّدي البشير بن مُحمَّد المعسكري القريشي بباب داره ملازمين لا نفارقها إذ كنتُ نُقرئ له بعض البنات حين يسكن ببعض نساءه بفاس حرسها الله، وقدم علينا من زاويته التي ببني زروال عمَّرها الله بكل خير بجاه الأنبياء والأرسال عليهم الصلاة والسلام، فأخبرنا بهذا وقد ظهر لنا مصداقه إذ هم دمرهم الله قد سلَّط عليهم في كل بلد أنواع الخزي والرزايا وضروب المحن والبلايا قهراً عليهم واسمه " **الحكم العدل** " نفذ فيهم

﴿ فقُطِعَ دابرُ القَومِ الَّذين ظَلموا والحَمدُ للهِ رَبِّ العَالمين ﴾[1]

وليس هذا محل بسط الكلام فيهم وقد كفانا الله شرَّهُم وصرَف عنَّا كيدهُم ومكرهُم

﴿ فضلاً منه ونعمة ﴾[2]

علينا وعلى هذه المِلَّة المُحمَّدية.

أبو عبد الله سيِّدي مُحمَّد بن معروف

ومنهم بهيُّ المنظر مَهيب الفهم والرأي والنظر مَن سبقت له سابقة التوفيق فلحقته جذبات الحق والتَّحقيق فريد العصر في أمثاله وصدر مقدمة

---

[1]. الأنعام ٤٥

[2]. الحجرات ٨

جيش أشكاله، العالِم العلاَّمة الحَبر المشارك الفهَّامة جليل الوصف والقدر والعَلامة القدوة الكامل العارف المُحقِّق الواصل الشَّريف المُنيف وليُّ الله تعالى أبو عبد الله سيِّدي مُحمَّد بن معروف نجل الولي الصَّالح الشَّريف النَّاصح أبي الحَسن سيِّدي علي بوشنافة نفع الله به.

كان رحمه الله ورضي عنه من أجلِّ علماء الظَّاهر له التقدُّم والتصدُّر في أربعة وخمسين عِلماً مِن العلوم التي كانت بأيدي العلماء أخذاً وعطاءاً وإجازة حسبما ذكره في برنامجه وأخبرني به غير واحد، وسمعتُ من الأخ الصالح المُحبُّ الصادق الناصح سيِّدي الحاج قدُّور السَّلاوي التازي رَحمةُ الله أنه سمع منه نيفاً وسبعين علماً إجازةً وأخذاً وله أعمال كثيرة مِن سرد الصَّيام وطول القيام ومواصلة الأيام، رَيَّض نفسه على المجاهدة مِن ترك الأكلِ والشُّرب الذي يُكثر الدَّم والنَّوم وطول الغفلة حتى بلغ مبلَغاً خارقاً للعادة كترك شُرب الماء أربعين يوماً مِن السمائم وغير ذلك وكثرة الأوراد مِمَّا لا طاقة لكثير من الناس به حتى اعتقد في نفسه واعتقد غيره فيه اعتقاداً جميلاً وظن أنه قد اهتدى سبيلاً فلا يحتاج دليلاً.

وكان بالمدرسة في المائة الثانية عشر بفاس البالي وكان شيخنا على حال الجذب والخراب والصمت والهيبة إذ كان حاله حينئذٍ كذلك، وكان يأتيه لبيته وهو مشغول يُشغله فيُذاكره مُذاكرة قلبية بأسرار وعلوم لدُنيَّة غيبية لا يُعبِّرها لسان ولا تُسطِّرُها بنان لأنها ترِد على الجنان مِن حضرة العيان، فكانت تدخُل على صميم قلبه فيبقى مبهوتاً شاخصاً لا يعرف ما يقول بعد إن كان يظُن إنه أهلاً للاقتداء وهو يُعلِّم غيره، وبعض الأوقات يَسدُّ الباب فلا يشعر إلَّا والشَّيخ أمامه داخل البيت فلا يدري مَن فتح له ولا مِن أين أتى وربما يجدهُ يُطالع كُتب الصوفية ﷺ فيقول له

" اطرح كتابك يا سيِّدي مُحمَّد بن معروف ولا تنحجب بما للناس عمَّا لك، إذ لك ولنا ولكل أحدٍ من الناس من العلوم والمعاني مثل ما للبحر من الأمواج أو أكثر إن عملنا بما علمنا وتركنا الحس الذي هو ضد المعاني عنَّا واشتغلنا بما يعنينا، واعلم أن الكتب هي المستمدَّة من القلوب وهي تقف عليها من أول الدنيا إلى آخرها وهكذا، ويطوي كتابه ويُلقي عليه علوماً ما سمع ولا رأى عند أحد مثلها عليها صولة الحق وعزَّته، فأخذ بلبه وسويدائه ودخل حُبُّه الرحيم أحشائه فعوَّل عليه وعظَّمه وأجلَّه وعرَفه وتيقَّن فضله وقال كما يقول كل شاكرٍ لنعم الله

" لولا المربي ما عرفت ربي "

﴿ وما بكم من نعمةٍ فمن الله ﴾[1]

﴿ وما توفيقي إلا بالله ﴾[2] انتهى.

وكان يقول له شيخنا

" أنت أُترك شيئاً من العربية وأنا أترك شيئاً من الجبلية ونتلاقوا " انتهى.

فكان في ذلك الرأي من الفوائد خرق العوائد قد استوطن بلاد فجيج حرسها الله وبنى له داره التي هناك وانتفع به من أراد الله فلاحه ونجاحه.

وكان يأتي لزيارة الشَّيخ في ركب مع فقراء فجيج وأبناء عمِّه أولاد سيِّدي علي بوشنافة وغيرهم من أهل الظهرة لا يترك ذلك إلى أن مات رحمه ورضي عنه عندنا بمدينة المعسكر بإزاء غريس عام ثمانية عشر، قدِم لزيارة الإخوان يريد سكنى ذلك الموطن والله أعلم، فأذن الشَّيخ له في ذلك فمرض هناك ومرض جميع من معه من فقراء اسمرة فاجتمع عليه فقراء غريس والمعسكر ونواحيها أصحابه الذين أخذوا عنه في القديم بأرضه وغيرهم.

---

[1]. النحل ٥٣

[2]. هود ٨٨

وكان بدار العالِمِ الأجَل الحُجة المبجل العارف الكبير ولي الله تعالى أبي عبد الله سيِّدي مُحمَّد بن عبد الله البو جلالي المُعسكري صاحب شيخ شيخنا الغوث الشهير أبو الحسن سيِّدي علي الجمل ﷺ قبل ملاقاة شيخنا به أي بسيِّدي علي وكان شيخنا يحبه ويجلُّه حين كان معه بالمدرسة المصباحية لثناء الطلبة عليه وتُهمتهم له بالولاية والصلاح وكان ذلك في العشرة السَّابعة من المائة الثانية عشر وقد كانا معاً هناك حسبما ذكر ذلك شيخنا في رسائله وجالسته أياماً في صغري وهو مريض ولم أسمع مذاكرةً منه، ورأيت من كرامته يوماً قد اجتمع من الفقراء عدد كثير بالبيت الذي هو فيه وجعلوا حلقة الذكر واستغرق الجميع وسَرى الحال فيهم وقَوت نورانية الجَمع فنهض قاعداً خلفهم مِن غير أن يُعينه أحد يذكر الله ما شاء الله مع أنه كان لا يفارق الميت إلَّا في النفس.

ومِمَّا شاع وذاع أيضاً عند الخصوص والعموم يوم موته وقدم أهل البوادي لحضوره وأراد أهل غريس يذهبون به ويدفنونه بأرضهم وغلب عليهم أهل المعسكر بالعصبة والمخزن وكانوا أحق به لأنه مات عندهم، وأتينا به الى المقابر وحضر أهل المدينة على طبقاتهم وأهل البادية بقصد التبرُّك وجعلنا عليه حلقة الذكر وهو في النَّعش بوسطها وهزَّ الناس حال كبير وذكر الله جُلّ من هنالك فصار ﷺ يذكر في النعش يتحرك وترتفع رجلاه فيه بارتفاع ميلة الذاكرين وتنحط بها وقد رأى ذلك عامة الناس وخاصتهم، وكنت أنا أذكر حزيناً كئيباً غاضاً للبصر لم نرى شيئاً لكن شاع وذاع عندهم حتى بلغ مبلغ العَيان، ودُفن مع العالم الجليل المذكور أخا شيخنا في شيخه فتحوا عليه القبر حتى بلغوا اللَّحد وجُعل في لحدٍ بجنبه أمامه ومِن

خارج قبراً واحداً مستوياً وبنيت عليهما قبة صغيرة مشهورة هناك ولزمتُ زيارته مدة مِن زمان وانتفع بصحبته كثير مِن الإخوان.

وكان يدلُّهم على الله وزيارةِ الشَّيخ وأتِّباع رأيه فنجح وأفلح عدد غزير والحمد لله كالولي الصالح المُحقِّق العارف الواعظ بحاله ومقاله المُرشد الناصح ذي المواهب الربَّانية والعلوم اللَّدنية والأحوال الغريبة والمآثر العجيبة الفقيه الربَّاني أبي عبدالله سيِّدي مُحمَّد بن حمُّوا الفجيجي، اجتمعت به غير مرة وانتفعت به بدار استاذنا رضي الله عنهما إذ كان يأتي لزيارته الشيخ سيِّدي عرفة كذلك رأيت مراراً وانتفعت بصاحبه الولي الأجل المعظم المبجل عند الكل صاحب الكرامات وخوارق العادات الذي تُكلِّمهُ الطَّير والوحش والنبات وأنواع الجمادات وأهل الغيب والروحانيون والأموات، الصائم القائم الذاكر المواظب على العبادات في الملأ وفي الخلوات البدالي الجليل البكري الصديقي الأصيل سيِّدي الشَّيخ بالحِرمة الفجيجي الدار والمزار نجل الولي الشهير المحترم الكبير قليل المثل والنظير سيِّدي الشَّيخ ابن الدين البكري الصديقي نفعنا الله بهم وحشرنا في زمرتهم آمين.

وكذلك انتفعت برؤيتي وملازمتي مراراً لصاحبه الولي الجليل المختطف لحضرة الجليل الجميل السالك نهج السبيل المعدود مِن سبَّاق هذا الجيل المحقق العارف سيِّدي بو علَّال الحمياني كان مقبولاً محبوباً معظماً محترماً مع أمِّيته وعدم قراءته كثير التذكير نفاعاً دالاً على الخير للكبير والصغير.

كنت أزوره مع الفقراء لداره مراراً وكان يأتينا لدارنا لأم العساكر كما كان يأتينا بها الشَّيخ المرشد ولي الله تعالى سيِّدي عبدالقادر بن الشريف رضي الله عنهما مات سنة عشرين في قتال الترك دمرَّهم الله بساحة وهران وظهرت منه قوة عظيمة في جهادهم إذ كان قوي الحقيقة شجاع كريم لا يكترث

بالدنيا وأهلها، ورأينا وانتفعنا بغير هؤلاء ممَّن عرف صاحب الترجمة وانتفع به ككبراء فقراء غريس وهم كثيرون رحم الله جميعهم، وقصدنا التبرك بذكر بعض البعض منهم والاختصار من غير استيفاء طولهم وعرضهم نفعنا الله بجميعم وأماتنا على نهجهم القويم وطريقهم آمين.

سيِّدي مُحمَّد بن أحمد بو زيد الغماري ﷺ

ومنهم خالص خاصة صفوة خلاصة أرباب الشهود والعيان وانسان عين أعيان عيون قادة قدوة التمكين في الرسوخ والعرفان، بحر جواهر لآلئ ياقوت المرجان مَن أعطي في وقته مالم يعط أحد مِن الخيرات الحسان، وعرائس أبكار حور العين التي لم يطمثهن إنس ولا جان، مَن شرب كأس الحقيقة حتى خرج الربى على أظفاره ورأى ببصيرته ما فاض نوره على حدقة أشفاره، فأدرك بنور الحق مالا يرى قط وسمع مالو سمع شامخ الأطواد لدكَّ وسقط، فَردُ الأولياء وسيِّد أهل وقته بلا امتراء مَن بكت عليه الأرض والسماء، صاحب المقام الأسمى والمرتبة العظمى، من طلعت شمسه في افق السماء وأحيا الله به قلوباً غُلفا وعيوناً عُميا وآذاناً صُمًّا الحصن المانع الأحمى.

وبمثل هذه وأحسن منها كان الشَّيخ ﷺ يترجمه بها وهو سيِّدنا وعزنا وفخرنا وعنايتنا ونصرتنا ورفعتنا، وعطيَّةُ الله وَهِبتهُ وكرامته ومِنَّتهُ ورحمتهُ التي ظهرت منَّا وإلينا وفينا وعلينا، وبدر طريقتنا وشمس ضحاها وفلك حقيقتنا وقطب رحاها ورئيس سفينتنا التي بسم الله مجراها ومرساها، وناشر لواء المعاني على ما خلعت عليه وكساها، الواضح الآيات البيِّن العلامات السَّاكر الصَّاحي الجامع الفقيه الصُّوفي الكامل الواسع، الشَّيخ الجليل القدر

العظيم الشأن والخطر أبو عبدالله سيّدي مُحمَّد بن أحمد بو زيد الغماري السلماني الحسني ﷺ وأرضاه وجعل جنَّة النظر والمعارف مثواه.

كان رحمه الله قبل ملاقته بأستاذنا شاباً صغيراً قد حَبَّب الله له الانقطاع اليه والاعتماد عليه، ودوام الصيام والقيام سائحاً في الخلوات زاهداً ورعاً عابداً مجتهداً لا يأوي الى العمارة، بلغ في مقامه هذا مبلغاً عند الله عظيماً نشأ على ذلك منذ الصبا لأن والدته رضي الله عنها كانت من الصالحات المتعبدات مأوى للعُبَّاد والزُهَّاد يأتونها من بلد الى بلد بقصد الزيارة والتبرُّك، فأخذه ذلك الحال ورَحلهُ غاية الارتِحال فساح وجال بشاطئ بحر طنجة حرسها الله، فلمَّا أراد الله به الكمال الحقيقي وسلوك طريق الشُّهود والعيان ترقِّيا عن الدَّليل والبرهان ونفع العباد به وخدمة شيخنا وأولاده وعزِّ طريق التَّصوف وأهلهِ قيَّض له سبحانه ولياً من أولياء الغيب فقال له " اذهب الى فاس فشيخك بها وهو فلان الفلاني إذ الطريق لا تُسلك بدون شيخ " فقدِم اليها وهو لا يعرفها ولا يعرف أهلها ولا الشَّيخ الذي قصد فسأل عنه فدُلَّ عليه في الحين فلمَّا قَرع الباب عليه خرج ونظر اليه فأخذ بيده وأدخله على أولاده وقال له

" ما مثلك من يقف بالباب وأنا أنتظرك منذ كذا وكذا " انتهى.

فلقَّن له بعد الورد اسم الجلالة " **الله** " إذ هو اسم الله العظيم الأعظم وسلطان الأسماء لأنه عَلم على ذات واجب الوجوب وهو عينها والأسماء كلها للتخلُّق إلَّا هو فإنه للتعلُّق كما قال سيّدنا أبو العبَّاس المُرسي ﷺ فأخذه عنه بشروطه فنجح وأفلح فلا تسأل حينئذٍ عمَّا أُخفي لهُم مِن قُرَّة أعينٍ مِن الخَّير والفضل والبركة والسِّر والنُّور والبهاء ورفعة القدر في الدُّنيا والآخرة.

قام بأولاد الشّيخ والاخوان والأضياف أحسن قيام وكفاهم أمرهم ومؤنتهم على الدّوام، عليُّ المقام مسموع الكلام ظهرت لكل أحد فتحاته وانتشرت خلاله وبيناته، أشرقت عليه شموس عظمة الذّات فغيَّبتهُ عنه وعن جميع الكائنات، مصحوباً بالتأييد مسلوكاً به طريق الكمال على التجريد والتفريد، لا يخرجه جمعه عن حدِّ الاعتدال الى الانحراف كأهل الجمع الصرف وأرباب الاستشراف، سمعته يقول في قول الشّيخ الجليل سيّدي محي الدِّين ابن العربي[١] الحاتمي ﷺ

" المُشاهدة يتقدمها علم والرؤية لا يتقدمها علم "[٢] انتهى.

هذا قالهُ بحق وقد وقع بنا فجأة فغبت عني وعن كل شيء برؤيته على ما يليق به مع حفظ الشّرائع والحمد لله.

قال وكنت نجلس في بعض الأوقات بباب مدرسة العطّارين والنّاس كما علمت من كل جانب كالسَّيل إذا سال، بارك الله في أمة النّبي ﷺ ونُحبُّ أن نراهم فلا نراهم إلّا كالتآبيب[٣] التي تكون في كوة الشّمس لا وجود لهم، ونقبض على ذاتي ونقرص عليها قرصاً شديداً كي نؤلمها ويحصل لي بعض الشعور بذلك فلا نجد له ألماً ولم يدخل عليَّ من ذلك سقماً والغير مفقود بالكلية كما هو في حقيقة الأمر، والورد الشرعي محفوظ علينا بتوفيق وتأييد من الله.

وسمعته يقول

---

[١]. في بعض الكتب ممّن عرفه ابن العربي بدون ألف ولام فرقاً بينه وبين ابن العربي المعافري الذي ضريحه بين المدينتين فاس البالي وفاس الجديد

[٢]. كتاب اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر للشيخ عبدالوهاب الشعراني

[٣]. الهباء

" خرج بعض الأيام على باب الجيسة من فاس حرسها الله وصعد نحو القُبب[1] وهو في سكر عظيم فلقيه رجل عظيم القدر بهيُّ المنظر ليس عليه أثر سفر ولا يشبهه أحد من أهل المدينة ولا البادية ولا البرابرة فظنَّهُ سيِّدنا الخضر عليه السلام فقال له أيُحيط العارف ؟

فأجابه سيِّدي مُحمَّد

﴿ وأن الله قد أحاط بكل شيءٍ علما ﴾[2]

ردَّهُ لحقيقة العارف إذ حقيقته الله قال فتبسَّم وانصرف " انتهى.

وسمعته يقول سأله هو أو غيره من أولياء الغيب " ما حقيقة العلم ؟

قال له سيِّدي مُحمَّد العمل

فقال له وما حقيقة العمل؟

فقال له الحال

قال وما حقيقة الحال؟

قال له الخراب الذي أنا فيه فأعجبه ذلك وتبسَّم وانصرف ".

وقد كان سيِّدي مُحمَّد على خراب كبير لا يطيقه إلَّا من وفَّقه القوي القدير، وحاصل الأمر أقول الحق ومن نفسي أنصف هو أعلى وأجل من وصفي الذي له أصِف ولو جمعت ديواناً في سلوكه وجذبه لم نفِ بغاياته وكنه، وكيف وقد سمعت من الشَّيخ مراراً لا تحصى يقول

" سيِّدي مُحمَّد أكبر من الشَّيخ الجليل سيِّدي أبي العباس المُرسي رضي الله عنه " انتهى.

وسمعته مراراً يقول في حقِّه

---

[1]. يعني قباب ملوك بني أمرين بيسار من باب الجيسة خارج من مدينة فاس أمنها الله

[2]. الطلاق ١٢

" هو الفرد، والفرد أكبر من القطب في العلم بالله تعالى كما قاله الشَّيخ الحاتمي ﷺ في مقام الفرد " انتهى.

وكان يقول لنا دائماً في غيبته في حياته وبعد موته

" سيّدي مُحمّد بو زيد هو الفرد، والفرد أكبر من القطب في العلم بالله تعالى " انتهى.

ودخل الشَّيخ عليه لخلوته التي بدار الشَّيخ وقال له

" يا سيّدي مُحمّد منذ كذا وكذا وذكر مدّة طويلة وأنا أريد أن أخبرك بأمر قد أطلعني الله عليه والآن قد أُذن لي في اعلامِك به أنتَّ الفردُ والله على ما نقول وكيل" انتهى.

مسألة والفرد أكبر من القطب في العلم بالله تعالى ولسان الشَّيخ ﷺ لسان صدق والورع مالكاً لأحواله لا يزيد ولا ينتقص في جميع أعماله واقواله وأحواله، قال

" عقدتُّ عقدة الصدق في ابتداء أمري أن لا أزيد ولا أنقص ولو على رأسي يزول وانعقَدَت بحول الله وامتزجت بدمي ولحمي ومَن أراد أن يصدِّقه الله في كل ما يقول فلا يزيد ولا ينقص ولو رأسه يزول " انتهى.

قال لي مراراً

" إن أردتَّ أن تكون أعلم العلماء كلُّهم فلا تترخَّص في المنطق ولا تزد ولا تنقص" انتهى.

وكفى بها شهادة من الشَّيخ لسيِّدي مُحمَّد، وقرأ علينا يوماً من شرح أبن حجر[1] على " **الهمزية** " وذكر فيه أمراً وقع بين سيِّدنا أبي بكر الصِّدِّيق وبعض الصحابة ﷺ أجمعين وانتصار النَّبي ﷺ لأبي بكر وظهور مزيته التي لم يدركها أحد من أمته[2] الى أن قال لا تؤذوني في صاحبي أبو بكر لمَّا قال النَّاس كَذَبتْ، قال هو صَدَقتْ و وقاني بنفسه وانفق عليَّ ماله وزوجني أبنته وكذا و كذا وعدَّد من شمائله وحُسن خلاله كثيراً وهو مؤدب الأمَّة، وإن كان الأقول له أفضل الناس بعد أبي بكر الخليفة الأعظم الفاروق المحترم لئلا يتعرَّض الفاضل للأفضل أو يتقدَّم الكامل على الأكمل ويكون بذلك التأسِّي والعمل، فطوى الشَّيخ الكتاب ﷺ وبكى بكاءاً وسالت عبرته على لحيته إذ كان رقيق القلب قريب الخشوع محباً في النَّبي ﷺ وفي أصحابه كلهم وآله وأزواجه وذرياته والمؤمنين أجمعين.

يُعظِّم ما ورد عن النَّبي ﷺ ويستحضره ويُجلُّه ويتزعزع ويتصدَّع ويقشعر ويخنع ويخضع وقال وهو في ذلك الحال

" وأنا عبدالله العربي الدَّرقاوي والله ما نفعني أحد ما نفعني سيِّدي مُحمَّد بو زيد ولا خدمني أحد مثله ولا رافقني أحدٌ مثله ولا كذا ولا كذا وصار يذكر فضله

---

[1]. شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن مُحمَّد بن مُحمَّد بن علي بن محمود بن أحمد بن أحمد الكناني العسقلاني ثم المصري الشافعي، مُحدِّث وعالم مسلم، شافعي المذهب ولد ٧٧٣هـ- ٨٥٢ بالقاهرة

[2]. عن ابن عمر أنّ أبا بكر الصديق نال من عمر شيئا، ثم قال استغفر لي يا أخي، فتصمّت عمر، فقال له ذلك مرارا، فتصمّت عمر، فذكر ذلك للنبي ﷺ وانتهوا إليه وجلسوا، فقال رسول الله ﷺ "يسألك أخوك أن تستغفر له فلا تفعل؟ " فقال: والذي بعثك بالحق نبيا ما من مرّة يسألني إلا وأنا أستغفر له، وما من خلق الله بعدك أحد أحبّ إليّ منه، فقال أبو بكر: وأنا والذي بعثك بالحق ما من أحد بعدك أحبّ إليّ منه، فقال رسول الله ﷺ "لا تؤذوني في صاحبي، فإنّ الله عز وجل بعثني بالهدى ودين الحق فقلتم كذبت، وقال أبو بكر صدقت، ولولا أنّ الله عز وجل سماه صاحبا لاتخذته خليلا، ولكن أخوة الله، ألا فسدوا كل خوخة إلا خوخة ابن أبي قحافة". حديث صحيح كتاب أنيس الساري في تخريج أحاديث فتح الباري.

وخصوصيته ويظهر مرتبته ومزيته وكلام هذا معناه في جمّ غفير وجمع كثير من الإخوان علماء وصلحاء وقُرّاء وأساتذة وفقراء ﷺ أجمعين " انتهى.

وربما كان هناك من تحمله النفاسة لتقدمه عليه في الطريق وبلوغه مرتبة التحقيق، وسَمِعتُ صاحب الترجمة يقول

" علم سيِّدنا الخضر في علم سيِّدنا موسى عليهما السَّلام الذي علَّمه في قوله أمَّا السفينة وأمَّا الغلام وأمَّا الجدار ممَّا حكى الله عنهما وغير ذلك ممَّا كان قد هيأه له وأعدَّهُ، لو صبر في قول النَّبي ﷺ، وكذلك علم سيِّدنا أويس القرني في علم سيِّدنا علي ﷺ بالنَّبي ﷺ ، وكذلك علم الفرد في علم القطب رضي الله عنهما إنما هذه أمور خُصُّوا بها، ومزيَّة المزيَّة لا تقتضي التفضيل " انتهى.

قلتُ لا أدري هل هذه المسألة الثالثة كاللَّتين قبلها حقيقة أو قال ذلك تواضعاً منه حيث أطلق الشَّيخ هذا الاسم وأراد تَستُّر حاله واظهاراً للعبودية، وكانت وصفه ولا يظهر عليه غيرها.

كان رحمه الله مُحبّاً للشَّيخ مرافقاً له ومجاوراً له وملازماً لداره أكثر من داره هو، يخدمه ويقضي مآربه ويحمل له كل ما عنده ويقول له في كل مرَّة

" يا سيِّدي كلَّما ملَّكني الله فهو لك حتى روحي فهي لك مُلكاً " انتهى.

حتى كان هذا القول هو أخِر قول قاله له قرب وفاته.

قد خرج على يديه العدد الكثير من المريدين فكان له بنين وحفدة وأبناء الحفدة ويكفيك فيهم الأخوَين العالمَين الوليين العارفَين المُحقِّقين الشَّريفَين سيِّدي أحمد بن عجيبة وسيِّدي الهاشمي أبن عجيبة وابن عمِّهما الأستاذ الجليل وليُّ الله سيِّدي أحمد بن عجيبة الصغير وسيِّدي عبدالسلام القاضي وسيِّدي الحسن الكتاني وسيِّدي بن يونس وسيِّدي أحمد ابن قدُّو فقراء

الرِّيف والفحص وغير ذلك نفعنا الله بجميعهم، وقد هدى الله بأبني بني عجيبة خلفاً كثيراً وجمّاً غفيراً فأمرُهما أشهر مِن نار على علم.

وكان يحضُّ أصحابه وجميع من زاره واستصحبه من إخوانه في الله على خدمة شيخه والدؤب على ذلك ويقول

" لا يحسب أحد التَّصوف في كثرة الذِّكر أو في الانقطاع عن الخلق أو مطالعة كتب القوم أو الصَّمت أو الجوع أو القيام أو الصيام أو التجرُّد أو غير ذلك من النُّسك بهوى النفس من غير مؤدِب، لا والله ما الأمر كذلك وإنما هو في ملازمة الشَّيخ وخدمته وسلب الارادة اليه والأدب وترك التدبير والاختيار معه وطرح النفس والروح بين يديه كالميت بين يدي غاسله " انتهى.

قد دخل من هذه الباب فرأها أصل لجميع مواهب الاكتساب، فكان يأتي على الدَّوام والاستمرار لدار الشَّيخ هو وجميع من ينتمي اليه ويخدم كالواحد منهم كلما يحتاج الشَّيخ اليه سواء يعرفونه أم لا عزماً وتوكلاً على الله، لا يتأخر عن اللَّبن والقرمود[1] والجير[2] والبناء وغير ذلك فأحرى عمل البادية، ولا يعرف في حضرة الشَّيخ غيره ولا يباين عِلمه علمه أو يُظهر فَهماً يُخالف فِهمه، وقد رأيته يتذاكر مع الاخوان في معنى من المعاني الظاهرة أو الباطنة وحين يأتي الشَّيخ ﷺ ويجلس يسأل في أي شيء تتذاكرون وكانت عادته كذلك فيخبرونه بالمسألة فيقول قولاً يخالف قول سيِّدي مُحمَّد فيرجع الى قول الشَّيخ في الحين في أول لفظ ظهر منه وينكر عِلمُه وفهمُه

---

[1]. ولد الوعل

[2]. مادة بيضاء تُحضَّر بتسخين الحجر الجري في قمائن حاصة.

وذوقُه ويتبرأ منه حتى يكون ذلك عجباً لمن يسمع ويرى ولكن هو يعرف لأنه كان في حال جذبه بخلاف ذلك، ومَنْ سَلكَ الطَّريق عَلِم مَخاوفها و

لا يعرف الشوق إلَّا من يكابده ولا الصبابة إلَّا من يعانيها

وأهل مكة أعرف بشعابها

وجماع القول أن أمره عظيم وخطره جسيم لا يعرف شأنه وقدره إلَّا من مارسه ودخل دَيرهُ وميَّز ضَيرهُ وخَيرهُ وسارَ سَيرهُ.

كان نادرة الزمان وآية من آيات الرحمن، سكن من أرض المعارف ربوة ذات قرار ومعين وفض ختام عرائس أبكار المعاني المُخدرات الحور العين، وأقام على ذلك زماناً طويلاً وصدَّرهُ أربابها واعتمدوه أخذه وتعويلاً، قد ترك من الأذواق ما لا يُعد ولا يُحصى فلو جمعت رسائله ومنظوماته وارداته لأَرَبت عن مجلدات عدة[1] وجد من ذلك استاذنا الشريف قدر نصف القامة نادراً أوراقاً مفرقة مختلفة المعاني بحسب واردات الغيب لم يخرجها ولا ألَّفها وبوبها وجمعها لبعضها إذ كان فيضه ربَّانياً لا يلتفت لما فات منه وخرج عنه وقد بقي بأيدي الاخوان في كل بلدة من مذاكرته وحكمه ورسائله ومنظوماته ما فيه كفاية بينما كتابه المُسمَّى " **الآداب المرضية** " أجاد فيه ما شاء ومنظومته التائية في الخمرة الازلية وسلوك طريق الصوفية التي مطلعها

أيا من تجلَّى في بهاء جماله وسر كماله وعز ورفعة

تجليت بأسرار سرك ظاهراً وأخفيت بعد الظهور لحكمة

وأبهمت أمرها على الخلق جملة سوى عارف صفي من كل علة

---

[1]. من مؤلفاته

له بالمعاني علم يدريها كيف ما تجلَّى بهاؤها على كل هيبة
محوت سواك عنه محواً مؤبداً وعاين حضرة المعان القديمة
بأنوار علمها بدت لفؤاده وهو حالها رأتها السريـــــــــرة

الى أن قال

تنزلت الأنوار من بحر سرك وأجرى عليها منك حكم الكثافة
وبدا ظلال السر في الحسّ جهرة وصارت عليك منك تلك الأدلة
وصورة في الظهور طوت جميعه كما طوى سرها معان الحقيقة

الى أن قال

فسرها قد أحاط بالأشياء جملة وإن كانت بالجسم الأشياء محيطة
فنقطة السر بحر والحرف برها ومن حرفها الحروف بدت بحكمة
وباللفظ والأشكال زادت تَبيُّنا لمن له علم بالمعاني القديمة

يشير بالحرف للرسول ﷺ ، وقال أيضاً في رؤية القوم له بعد كلام في استمداد الخلق كلهم منه أيجاداً أو أمداداً

وخصُّوا بسره الخفي بين الورى واعطاهم منه قريباً فوق الخليقة
ولازالوا في ارتقاء نحو كماله حتى بدت صورة الحبيب البهية
كان سواها في الظاهر لم يكن وهذه رتبة من أقصى الولاية
فلهم عينان للجمالين ناضراً فهاذه لحالة وهاذي لحالة
فواحدة تطوي الوجود بأسره واخرى له بالنشر في كل ساعة
فياله من مقام ما أعلا أمره لبعض رجالنا من أهل طريقة
وهذا علمي وفوق علمي علومهم فلم أدر سوى البعض منها لغفلة

وهي منظومة فيها ستة وستين بيتاً وثلاثمائة لها معاني كثيرة وفوائد غزيرة ونعرف له أيضاً رائية جليلة فيها تسعة وعشرون بيتاً مطلعها

عليك بتقوى الله حيث توجهت وكن كريم الأخلاق في السر والجهر

قد شرحها العالم الجليل القدر الصوفي المحقق أبو العباس سيّدي أحمد بن عجيبة الحسني ﷺ[1] رأيت شرحه لها ألبسه فيه وصفه وأبدل حقيقته ونعمته غير أنه لا يعرف قانون الشعر ولا يلتفت اليه في منظوماته و أرجوزاته، ويُحبُّ ألّا يُبدل كلامه وكان يوصي شارحه بذلك غاية ويقول

" نُحبُّه كما أتانا غيباً وهبياً ليس للكسب فيه حظ كذلك يبقى، ولا علينا في أحد مِمَّن طلب المعاني وجدها ومن طلب الحروف والأوزان بقى معها " انتهى.

جعلنا الله من أهل القلوب بمنِّه.

وكلامُه كلُّهُ بين مفيد يعطي الحقيقة حقها والشَّريعة حكمها برزخاً بين بحرين لا يبغيان، ساكراً صاحياً حاضراً غائباً، الوصفان لديه سَيان، قال لي بعض الأيام

" الاقتداء لا يكون بغير الكامل الجامع وأصحاب النَّبي ﷺ كلُّهم ﷺ أهل كمال فلذلك قال

" **أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم** "[2]

---

[1]. كتاب شرح رائية وشرح تائية سيدي مُحمَّد بوزيدي لسيدي أحمد بن عجيبة

[2]. الأعمش عن أبي سفيان عن جابر مرفوعا "أصحابي كالنجوم، بأيهم اقتديتم اهتديتم" أنيس الساري تخريج أحاديث الفتح الباري

لكنهم متفاوتون منهم مَن سكر بالذَّات صاحي بالصِّفات، ومنهم مَن سكر بالصِّفات صاحي بها، وقال مرَّة أُشهِدُك الله على ما علَّمك الله هل وصفتُ أنا الخمرة الأزلية بقولي[1]

تنزلت الأسرار من بحر سرك فأجرى عليها منك حكم الكثافة
وبدا ظلال السر في الحس جهرةً وهي التي كانت علية أدلة

البيتين أو إمام العشَّاق العارف بالله سيِّدي ابن الفارض ﷺ في قوله

يقولون لي صفها فأنت بوصفها خبير أجل عندي بأوصافها علم
صفاء ولا ماء ولطف ولا هواء ونور ولا نار وروح ولا جسم

ففهمت منه أنه يقول لي ذهب ليصف فما وصف، وذكر حال الحيرة وأجنح للتنزيه بمرَّة وهو ﷺ أعطى للحق حقَّهُ وبين في الفتق رتقه ففهمه كل ذائق وصدَّقه، وإن كان الشَّيخ الجليل سيِّدي ابن الفارض من كبار أهل هذا الشأن ومِمَّن بسطت له في العرفان اليدان، عظيم القدر طويل الباع تصغي اليه الآذان وتميل لكلامه النفوس والطباع، تغزل في الخمرة غزلاً رقيقاً ودقَّق المعاني تدقيقاً، ونوَّع الأساليب وخالف التراكيب وكنَّى وأيهم ولوَّح وأشار لمن فهم، وانما كلامنا معه في هذين البيتين حيث تبرع فيهما بأنه يصف وانه له بأوصافها علم فأثبت وصفاً ونفى أخر والله أعلم بمراده، والحاصل خيره وسره بحر لا ساحل له نفعنا الله برؤيته ومحبته.

وقد قدَّمني للصلاة غير ما مرَّة، كان متواضعاً مع كل أحد كريم المائدة لا يملك مع الاخوان والشَّيخ شيئاً وقد رأيت منه حين نكون عنده بداره كأننا

[1]. تائية سيدي مُحمَّد البوزيدي

والله أكابر الأولياء والصِّدّيقين كلما يأتي به يستغله في حقنا ويأت بأخر، وهكذا كان مملوكاً للشَّيخ هو وما معه وله عنده لا يستغل دونه بشيء الى أن مات رحمه الله تعالى ورضي عنه ليلة عاشر المحرم والله أعلم سنة تسع وعشرين ومائتين وألف ودفن بداره في البيت الذي توفى فيه بزاويته التي بتجساس على شاطئ البحر بقبيلة غمارة حرسها الله بمنِّه آمين وزادها شرفاً به الى يوم الدِّين.

وسمعت من شيخنا ﷺ مراراً يقول بعد موته

" اي سيِّدي مُحمَّد هو والله فرد الأولياء وسيِّد أهل وقته بلا امتراء وهو ممن بكت عليه الأرض والسَّماء " انتهى.

وشمائله كثيرة نفعنا الله به آمين.

أبو العباس سيِّدي أحمد بن عجيبة الأنجري

ومنهم العلم المفرد يتيمة نضم هذا العقد عديم النظير في أمثاله، جبل النية والمحبة والصدق وخرق العادة والسيرة الحميدة الذي لا يوجد في وقته، مَن نسج والله على منواله ولا رأينا ولا سمعنا مَن حام حماه من جميع أشكاله، مؤلف التآليف العديدة ومقيد العلوم الغريبة المفيدة، العالم العلَّامة الصُّوفي المشارك الفهامة، العارف المحقق الجليل الشَّيخ الكامل الجليل الشريف البركة ولي الله تعالى أبو العباس سيِّدي أحمد بن عجيبة الأنجري بفحص طنجة حرسها الله، كان حجة الطائفة الدَّرقاوية مبيناً لأحكامها وناشراً لأعلامها، سبر عن علومها حتى صار ينبوعاً لشموسها وأقمارها ونجومها، فتق رتق مقام علم اليقين وعينه وحقه وما منح الله لكل فريق مِن

خلفه، وذلك نيفاً وثلاثين تأليفاً[1] بين فيها الشَّريعة والطريقة والحقيقة فبعضها كبير فيه مجلدات عديدة كالتفسير والطبقات وغيرهما، وبعضها فيه

---

[1] من مؤلفاته

١- تأليف في النيّات
٢- اللوائح القدسية في شرح الوظيفة الزروقية
٣- شرح تائية الشيخ علي بن مسعود الجعيدي
٤- تأليف في الغيبة ومدح العزلة
٥- الأنوار السنية في شرح القصيدة الهمزية
٦- تأليف في الصلاة والتوحيد
٧- شرح الحزب الكبير للشَّاذلي
٨- شرح المنفرجة لابن النحوي
٩- شرح البردة للبوصيري
١٠- الأنوار السنية في الأذكار النبوية
١١- شرح أسماء الله الحسنى
١٢- الأربعون حديثاً في الأصول والفروع والتصوف
١٣- تأليف في القراءات العشر
١٤- أزهار البستان في طبقات العلماء والصلحاء والأعيان
١٥- حاشية على مختصر خليل
١٦- شرح الحصن الحصين
١٧- شرح على تصلية عبدالسلام بن مشيش
١٨- ايقاظ الهمم في شرح الحكم
١٩- الفتوحات الالهية في شرح المباحث الأصلية
٢٠- شرح هائية الرفاعي
٢١- شرح قصيدة خمرية لابن الفارض
٢٢- تفسير الفاتحة " التفسير المتوسط "
٢٣- تفسير مطول للفاتحة
٢٤- تفسير مختصر للفاتحة
٢٥- شرح قصيدة في الأسم للششتري
٢٦- شرح قصيدة في المحبة للششتري

سفر كالحكم والمباحث والنونية وغيرهم، وبعضها صغير الجرم وغزير العلم كمائة حقيقة الذي أعطاه للشَّيخ الجليل الشريف الأصيل سيِّدي علي بن أحمد بوزان وللعلَّامة النحرير سيِّدي مُحمَّد الرهوني، وكتبه كلها مفيدة غاية وله سفر مستقل على فاتحة الكتاب العزيز سمَّاه " **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد** " ذكر فيه بعد مقدمات التفسير عند قوله

﴿ الحمد لله ﴾

٢٧- شرح منظومة الشيخ مُحمَّد البوزيدي في السلوك
٢٨- سلك الدرر في ذكر القضاء والقدر
٢٩- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد
٣٠- نعوت الخمرة الأزلية في حال التجلي وبعده
٣١- شرح تصلية ابن العربي الحاتمي
٣٢- كشف النقاب عن سر لب الألباب
٣٣- شرح نونية الششتري
٣٤- معراج التشوف الى حقائق التصوف
٣٥- شرح تائية البوزيدي في الخمرة الأزلية
٣٦- شرح آخر مطول على تائية البوزيدي
٣٧- كتاب في الأدعية والأذكار المحققة للذنوب والأوزار
٣٨- الفتوحات القدوسية في شرح المقدمة الأجرومية
٣٩- الفهرس
٤٠- حاشية على الجامع الصغير للسيوطي
٤١- الكشف والبيان في متشابه القرآن
٤٢- ديوان قصائد وتوشيحات وذكر السيد ج ل ميشون مترجم فهرس ابن عجيبة
٤٣- شرح عينية الجيلي عبدالكريم
٤٤- التبصرة الدرقاوية ويضيف في الموسوعة الاسلامية كتابين هما
٤٥- في المودة
٤٦- تعريف بمولاي الدرقاوي

أنواع الحمد والشكر والثناء على الله تعالى وجلب في ذلك فوق ما يصف الواصف من العلوم اللدنية

وعند قوله تعالى

﴿ رب العالمين ﴾

العوالم وأسماءها وأوصافها

وعند قوله تعالى

" الرحمن الرحيم "

أسماء الله الحسنى كلها وكيفية التعلق والتخلق والتحقق بكل اسم منها أمراً خارقاً للعادة

وعند قوله تعالى

﴿ مالك يوم الدِّين ﴾

يوم الجزاء ومراتبه ومواضعه ومواقيته وتنوع تجليات الحق فيه وتباين مقامات الناس يوم القيامة

وعند

﴿ إيَّاك نعبد ﴾

أسرار الشَّريعة والعبادة والطريقة

وعند قوله

﴿ وإيّاك نستعين ﴾

أسرار العبودة والحقيقة والمشاهدة

وعند قوله تعالى

﴿ أهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم ﴾

حقيقة الطريق المستقيم وأحوال المنعم عليهم من النبيين والصِّدِّيقين والشهداء والصالحين والحرس والأقطاب والنجباء والنقباء والأبدال والأوتاد والأفراد والغرباء وغير ذلك

﴿ وما يعلم جنود ربك إلّا هو ﴾[1]

ﷺ أجمعين

وعند قوله تعالى

﴿ ولا الضآلين ﴾

جنود ابليس اللعين واتباعه من اليهود والنصارى لعنهم الله ودمَّرهم واختلاف مللهم وآرائهم وافتراقهم على اثنين وسبعين فرقة كلها في النَّار ومن أين نشأ جهلهم وفسقهم وأصولهم الخبيثة.

فكان سفراً مستقلاً في الرباعي وشرع حينئذ في التفسير على طريق الاختصار فبدأ بالفاتحة أيضاً الى أن ختمه فجاء في أربعة أسفار في الغالب الكبير كل آية لها ظاهر وباطن على طريق المحققين من المفسرين كالإمام ابن عطية[2] والإمام البيضاوي[3] وغيرهما، والاشارة كالقشيري

---

[1]. المدثر ٣١

[2]. هو أبو مُحمَّد عبد الحق بن أبي بكر غالب بن عبد الرحمن بن غالب المحاربي من قبيلة قيس غيلان بن مضر من أهل غرناطة ولد سنة٤٨١ هـ توفي في ٢٥ رمضان ٥٤١ هـ له كتاب المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز.

[3]. الإمام القاضي المفسر ناصر الدين أبو سعيد أو أبو الخير عبد الله بن أبي القاسم عمر بن مُحمَّد بن أبي الحسن علي البيضاوي الشيرازي الشافعي توفي سنة ٦٨٥ هجرية له التفسير المسمى بـ "أنوار التنزيل وأسرار التأويل".

والسلمي[1] والورتجبي[2] وغيرهم ومن فتوحاته و الهاماته ومواهبه أكثر من ذلك على أضعاف مضاعفة، والحاصل هو أشهر من نار على علم يبعد مثلي أن يُعرِّف به وبأمثاله وإنما التبرُّك بذكره.

كان بفاس حرسها الله في العشرة السابعة من المائة الثانية عشر وأقام بها مدة ولقي بها فقهاء وصلحاء وقرأ عليهم حتى حصل له الحظ الأوفر والنصيب الأكبر، وأكثر ملازمته للشَّيخ سيِّدي التاودي هو والفقيه الأجل سيِّدي مُحمَّد الرهون صاحب الحاشية وأجازهما الشَّيخ المذكور في قراءة سيِّدي البخاري وغيره لكن سيِّدي أحمد صاحب الترجمة بعد مدة لقي الصوفية أهل الباطن وهم أشياخنا ﵃ وأخذ عنهم وسلك مسلكهم وسكن ديرهم ونال خبرهم وفتحت له وعليه أسرار الحقيقة.

قد كان قبل ملاقته بشيخنا ﵁ من أهل النُسك الكبير والعمل الصالح الغزير والكرامات العديدة ورؤيته المصطفى ﷺ كان يقول

" تعلَّق قلبه بعض ليالي عرفة بالوقوف بها صبيحة تلك الليلة على طريق خرق العادة فلمَّا حضرت همته وقوى عزمه سمع هاتفاً من قبل الحق يقول له هل تريد الوقوف بعرفة أو المعرفة بنا، فاختار المعرفة بالله "

لأنه كان له اعتناء بمطالعة كتب القوم واستشراف على أحوالهم وشرح لكلامهم من وراء حجاب ومحبة واشتياق لأذواقهم، فكان من قدر الله بعد

---

[1]. مُحمَّد بن الحسين بن مُحمَّد بن موسى بن خالد بن سالم بن زاوية بن سعيد بن قبيصة بن سراق الأزدي، السلمي الأم أبو عبد الرحمن النيسابوري الصوفي صاحب التصانيف ولد ١٠ جمادى الآخرة سنة ٣٢٥ هـ في نيسابور توفي السلمي في ٣ شعبان سنة ٤١٢ هـ.

[2]. الامام روزبهان ابن أبي نصر البقلي الفسوي ثم الشيرازي في بلاد المغرب العربي وكنيته أبو مُحمَّد عالم مشارك في التفسير والحديث والفقه والاصول والكلام والتصوف توفي منتصف المحرم من تصانيفه لطائف البيان في تفسير القران ومكنون الحديث وحقائق الاخبار

ذلك قَدِم جمع غفير من اخواننا في الله فيهم الشَّيخ الجليل تعالى سيِّدي مُحمَّد بو زيد سائحين لتلك الناحية بإذن الشَّيخ لهم ﷺ فلما اجتازوا بقبيلة أنجرة وكان بها أخوة الفقيه الأجل العارف بالله ﷺ سيِّدي الهاشمي بن عجيبة ملازماً لجامع قرية القصبية فتيَّمهُ حالهم وأقلعه من موضعه وأخرجه عن قصده وإرادة نفعه وملأ باطنه بطلب ربه وطهارة سرِّهِ ولُبِّه حتى يشاهد بروحه وقلبه مكنونات غيبه، فساح معهم حتى وصلوا مدينة تطوان حرسها الله فسمع بهم وبه سيِّدي أحمد إذ كان ساكناً بها يدرس العلم فقدم عليهم في جماعة من الطلبة بقصد أن يُذكِّرهُم الله وينهاهم عن فعل مثل هذا الذي وقع بأخيه من الجذب وترك شرطه وخروجه عن طلب معاشه ويَرُد أخاه الى موضعه، فوجدهم في حلقة الذِّكر وسيِّدي مُحمَّد بو زيد يذكر واقفاً وراء الحلقة فحين وصل اليه قبضه بيده المباركة ورماه في وسط الحلقة من دون الجماعة التي معه فانجذب من حينه وأشرق نوره فكأنه كان في قعر بئر فإذا هو برأس منار

﴿ فضلاً من الله ونعمة ﴾[1]

﴿ وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾[2]

فوقع به من أحوال الجذب خرق عادة فقاموا على الشَّيخ فأمرهم أن يلازموا سيِّدي مُحمَّد بو زيد وأن لا يعدوا الحال معه وقال

" كلنا واحد "

فكانوا يخدمونه ويخدمون الشَّيخ معه على الدوام في كل عام ويأتونه مرتين أو ثلاثة وفي كل مرَّة يلازمونه مدة الى أن ماتوا رحمهم الله.

---

[1]. الحجرات ٨

[2]. الأنفال ١٧

وكان لا يشغلهم الحس عن المعنى فهم يحضرون خدمة البادية للشَّيخ، والدواية والقرطاس لا تفارقهم يحمل واحد ذلك على ظهره في قراب من الدوم[1]، وحين ترد على أحد معنى من المعاني يجلس و يقيد ذلك ويشرع في عمله الذي هو بصدده وهكذا مراراً بالنهار رأيناهم على هذه الحال وكذلك بالليل إذ هم اهل فكرة قوية وجد واجتهاد، وهكذا كان شيخ شيخنا سيِّدي علي الجمل رضي الله عنهما سمعناه من الشَّيخ مراراً.

وسمعت سيِّدي أحمد صاحب الترجمة رحمه الله يقول

" كانت له كتب عديدة فباعها كلها وبنا بها الدار المعلومة الكبيرة لسيِّدي مُحمَّد بو زيد التي بغمارة بني سلمان قال سوى كتاب القاموس كان عنده لم يخرج عنه في ذلك الوقت إذ كان مراد الله منه ومراد الأشياخ أن يخرج الى الخلق بالذكر والمذاكرة والتأليف فكان الأمر كذلك فحصل الأذن في أيام قليلة " انتهى.

سمعته يقول

" دخل في الطريق عام ثمانية من المائة الثالثة عشر وفي أحدى عشر كان يؤلف تلك التآليف شرح الحكم وغيره وقد أخذ عنها مدة يسيرة ما يزيد عن ستمائة فقير ما بين تطوان وأنجرة والفحص وطنجة ونواحيها وبني السعيد وبني حسَّان " انتهى.

وسمعته يقول

" كنت نذكر أسم الجلالة " الله " بكيفية شروطه في الخلوة فإذا جالت نفسي في غيره نضرب رأسي ضربة حتى نكاد نغيب من شدة الدوخة والألم " انتهى.

---

[1]. الدوم المغربي أو النخيل القزم الزاحف

حكاية قال " وكان الشَّيخ الجليل سيِّدي أبو يزيد البسطامي ﷺ يدخل لخلوته حزمة من القضبان ويشتغل بذكر الله تعالى فإذا جالت نفسه في المكونات فيأخذ قضيباً منها ويضرب برجليه حتى ينكسر وهكذا حتى يكسرها كلها ويأخذ أخرى كذلك حتى لا تجول نفسه في المكونات " انتهى.

انظر أهل العزم والحزم والجد والاجتهاد إذ لا شك أن مَن جَدَّ وجد ومَن أدمنَ السَّير وَصل، قال الشَّيخ الجليل سيِّدي عمر بن الفارض ﷺ

وجد بسيف العزم سوف وإن تجد   تجد نفساً والنفس إن جدَّت وجدت

وقال أيضاً صاحب الترجمة

" كنت مسافراً مع بعض الفقراء قاصداً زيارة الشَّيخ فصلَّينا العصر بشاطئ البحر وأرادوا السَّير فأقسم عليهم لا يبرحون من مكانهم إلَّا أن أخبروه بمعنى قول سيِّدي علي الجمل ﷺ

" كل شيء ظنُّوه الناس إلَّا كونهم يذكرون الله تعالى على هذا الكون حتى يذهب ويتلاشى ولم يبق إلَّا المكون سبحانه كما هو في حقيقة الأمر فلم يظنُّوا ذلك وإنما سألهم هذا السؤال لأنهم أهل معرفة وشهود وعيان" انتهى.

قال

" فقالوا له لا تظن أن هذا الكون يذهب ويتلاشى أفلاكه وسماؤه وأرضه وما هو ثابت بأثبات الحق وهذا لا يظنُّه عاقل وإنما النظرة تنقلب ويذهب الجهل ويثبت العلم الحقيقي ويكاشف الولي بما هو الأمر عليه فقوي نور الايمان واشرقت شموس الايقان فأذهبت ظليلة الأكوان وحصل الشُّهود والعيان ففهم ما أشار اليه" انتهى، وقال قوموا بنا الآن نسافر.

وسمعت منه من الفوائد خرق العوائد إذ كنت نسأله عن المسائل الغريبة كثيراً ويجيبني جواباً شافياً كافياً مفيداً وسألته مرة

" هل يحيط العارف بالله علماً "؟

فقال لي " اجمالاً أحطنا به "

ففهمت أنه يشير الى أن العلم بأمر الله ومن الله هو تفصيل بين العبد وربه لا يشاهد ولا يحاط به في الدنيا ولا في الآخرة في حق كل مخلوق لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا ولي عارف كامل مكمل

﴿ ولا يحيطون بشيء من علمه ﴾[1]

﴿ ولا يحيطون به علما ﴾[2]

قال في " **المباحث** "[3]

والعلم لو كانت له نهاية يوقف عند حدِّها وغاية

من كان أذكى مرسل وأسمى قيل له قل ربِّ زدني علما

والعلم بالله هو علم اجمالي في وقت مخصوص لا يسعني فيه غير ربي كما قال عليه السلام[4] فحال العبد فيه السحق والمحق والدهش والتلاشي في كبرياء الحق جلّ جلاله وهو المعنى عندهم بالفناء والوصول وشهود الجمع وجمع الجمع.

قال تاج الدّين [5]

---

[1]. البقرة ٢٥٥

[2]. طه ١١٠

[3]. المَبَاحِثَ الأَصْلِيَّةُ للعَلامة إبن بَنَّا السَّرْقُسْطِي " في باب الرد على من ردهُ ".

[4]. لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل " القاصد الحسنة " وفي الرسالة القشيرية قال ﷺ " لي وقت لا يسعني فيه غير ربيَّ عزَّ وجل ".

[5]. الحكم العطائية

" وصولك الى الله وصولك الى العلم به وإلَّا فَجلَّ ربنا أن يتَّصل بشيء أو يتَّصل به شيء " انتهى.

وقال أيضاً

" الأكوان ثابتة بإثباته وممحوة بأحدية ذاته والأحدية مبالغة في الوحدة فحيث لا يتخيل فيها وجود الاثنينية فكيف يكون النقص أو الزيادة في العلم أو العمل أو التفاوت أو الفرق بين شيء وشيء " انتهى.

وكنت حين السؤال هذا قادماً معه على الشَّيخ ﷺ إذ كان قريباً منا وهو يتذاكر مع جم غفير من الاخوان فيهم سيِّدي بو زيد وسيِّدي الهاشمي بن عجيبة وسيِّدي أحمد الأغزاوي وسيِّدي أحمد بن مُحمَّد بن روح وغيرهم من أهل الجبل وتطوان والفحص، وكنَّا بترغة بحجر لا إله إلَّا الله بساحل البحر فوجدناهم يذكرون المشاهدة وصَدْمتها فقال سيِّدي أحمد للشَّيخ سيِّدي مولاي العربي

" يا سيِّدي المشاهدة تتقوَّى في أهل الكفر أكثر من أهل الايمان إذ الإيمان ستر لها كالمكب على المائدة " انتهى.

فسمعه الشَّيخ لكن استفهمه ثانياً أو ثالثاً والله أعلم كعادته وقرب منه لأنه كان يقول ويقسم بالله أن النية والفترة التي فيه ما رآها أبداً في أحد من أقرانه علماء وفقراء قط وعند ذلك تبسم الشَّيخ وقال

"كان شيخنا سيِّدي علي الجمل ﷺ يقول النور العظيم لا يخرج إلَّا من الظلمة العظيمة " انتهى.

ففتح سيِّدي أحمد عيناه كثيراً وتبدَّل لونه وقال

" هذه أحسن هذه أحسن"

وكرَّرها مرتين أو ثلاثة يعني عبارة سيِّدي علي أحسن من عبارته.

مسألة وسألته هل الأَولى والأفضل للمريد الإكثار والاستهتار من ذكر لا إله إلَّا الله أو تلاوة القرآن العظيم فقال

" للناس مقاصد أمَّا طالب الأجور والحور والقصور فتلاوة القرآن أولى له لأنه جاء لكل حرف في الصلاة قائماً خمسون حسنة ونصفها للقاعد وغيرهما لكل حرف عشر الى غير ذلك، وصاحب رفع الستور ودوام الحضور ينبغي له الإكثار والمداومة على ذكر لا إله إلَّا الله ليسرع اليه تأثير الجمع وتأخذ باطنه لوامع وطوالع الحقيقة " قال وهذه المسالة تكلَّم الناس فيها قديماً وحديثاً وفيها اختلاف بين أهل الظاهر والباطن وأهل البداية وأهل الوسط والنهاية " انتهى.

وكان سيِّدي أحمد زرُّوق ﷺ ينكر على الفقراء في زمانه الاكثار مِن ذكر لا إله إلَّا الله دون تلاوة القرآن ويقول

﴿ إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ﴾[1]

قال

" والتي هي أقوم لا إله إلَّا الله "

ولمَّا طالت ممارسته لطريق الصوفية ﷺ وسَلَك وسَلَّك الناس على منهاجهم صار يقول

" لا بُدَّ للمريد المبتدئ الإكثار من لا إله إلَّا الله دون تلاوة القرآن ليتَّخذ قصده وينجمع على الله همُّه ومطلبُهُ " انتهى.

وقال لنا مرة

" لا ينبغي الإكثار من الكلام في الحقيقة ويكفي فيه قول الله تبارك وتعالى هو

---

[1]. الأسراء ٩

﴿ الأول والآخر والظاهر والباطن ﴾[1]

وقول النَّبي ﷺ

" **كان الله ولا شيء معه** "[2]

وقال زاد فلان الفلاني وسمَّاه ونسيته أنا

" **وهو الآن على ما عليه كان** "

قال والكلام عندنا طويل وعريض في سلوك الطريق وأصولها واستاذ الطريق، قال وإمامها هو الشَّيخ سيِّدي زرُّوق رضي الله عنه وقد قال

" أصول طريقنا هذه خمس " انتهى

وصار يتكلَّم على كل أصل منها بما يبهر العقول وقد شرحها كما شرحها الشَّيخ الجليل ولي الله تعالى سيِّدي مُحمَّد بن سعيد الهبري الطرابلسي الخروبي رضي الله عنه وغيرهما من المشايخ رضي الله عنهم وسمعنا منه فائد غزيرة ومن اخواننا وأشياخنا لكن التوفيق من الله " انتهى.

وقد كتب مرة حال القراءة باللَّوح فاتحة الكتاب وصدراً من سورة البقرة إذ كنت خرجت السلكة وأردتُ الافتتاح على يديه تبركاً، ومرة أخرى لم أكن منها على يقين فالله أعلم.

توفي رحمه الله بدار شيخه سيِّدي مُحمَّد بو زيد بأغمار زائراً وبقي بعد ما أدرج في كفنه وتابوته بلا دفن ثمانية أيَّام ينتظرون قدوم أخيه سيِّدي الهاشمي، فلمَّا وصل اليه في اليوم الثامن مرض في ذلك اليوم وبعد ثمانية أيام توفي هو أيضاً ودفنا معاً عند شيخهما، لكن بعد أيام عديدة طلب

---

[1]. الحديد ٣

[2]. رواه البخاري وابن حبان وورد بعدة ألفاظ بلفظ "كان الله ولم يكن شيء غيره "والثانية بلفظ "كان الله تبارك وتعالى قبل كل شيء " والثالثة بلفظ "كان الله ولم يكن شيء قبله".

اصحاب سيِّدي أحمد من سيِّدي مُحمَّد بو زيدان ينقلوه الى زاويته بأنجرة فزعموا أنه أذِن لهم فنقلوه وذهبوا به ليلاً ويكمنون بالنهار خوفاً من غمارة الى أن وصلوا تطوان حرسها الله فتلقَّتهُ ابنته وأهلهُ وأحباؤهُ خارج السُّور فتبرَّكوا به وزاروهُ وحملوهُ الى زاويته بأنجرة المسمَّاة بالزَّميج فدفن بها، وبعد سنين وقف مناماً على بعض أهله وقال

" إن الماء قد وصل اليه "

فحفروا فوجدوا الأمر كذلك وصل الماء الى تابوته وأصلحوا ذلك.

وكان قليل اللَّحم يابس الجلد على العظم من كثرة المجاهدة والزهد والورع ويلبس جلابة و سلهام[1] مرقعة كما هو عند فقراء درقاوة ومضمَّة[2] عريضة من الدوم[3] يجمع بها جسده عند الكتابة وحلقة الذِكر، وكُنَّا لا نَقدر قدرُه في حلقة الذِّكر إذ كان يتبدَّل حاله ويَشخص بصرهُ ويذكُر بجد وجذب وقوة خارقة للعادة رحمه الله ورضي عنه ونفعنا ببركاته آمين[4].

سيِّدي الهاشمي ابن عجيبة

ومنهم أخوه الفقيه الأستاذ الشَّيخ الأجَلُ المحترم والمبجل العارف بالله عزَّ وجل سيِّدي الهاشمي ابن عجيبة، كان قوي الذكر والمذاكرة قد اطلق الله لسانه بالتعبير بالحس على المعنى وضرب الأمثال وأزاح الأشكال، قد أُذن له في الكلام للخاص والعام فجليت في مسامع الخلق عبارته وحليت

---

[1]. السَّلْهَامُ أو سَلْهَامٌ هو لباس تقليدي أمازيغي مغربي يُشبه قليلا الجلابة المغربية

[2]. جزء من اللباس التراثي المغربي، وهو الحزام الذي يُلبس حول الخصر ويبرز شكل اللباس ويزيد من جماليته

[3]. الدوم المغربي أو النخيل القزم أو النخيل الزاحف

[4]. توفي رحمه الله سنة ١٢٢٤ هجرية " تاريخ تطوان"

اليهم اشارته، فتاب على يديه كثير من العصاة وذَكَّر الغافلين ونبَّه النَّاسين، ودخل منهم طريق التصوُّف عدد كثير من اخواننا بني أحسن وأهل العدوتين سلا ورباط الفتح والفحص والجبل والرِّيف وقليعة وتلمسان ونواحيها، أكثر من أخيه سيِّدي أحمد مذاكرة وسياحة ونفعاً والله أعلم، له تقاييد من المعاني كثيرة بيد أصحابه وأهله.

وقد رتَّب للفقراء آداباً وحقوقاً ومَن ترك شيئاً يقبضون الحق منه، فمن لم يحضر حلقة الذكر أو صلاة الجمعة أو قام من حلقة حزب الإدارة وإن كان أمِّياً، أو جلس وترك الاجتماع للقراءة واشتغل بسبحته، أو من نفخ في الطَّعام أو الشَّراب كاللبن وغيره، أو من نزع السروال أو لبسه بمرأى من الناس أو غسله أو نشره حيث يراه أحد، أو قهقه أو خرج عن أسلوب المذاكرة ولم يناسب الكلام وأموراً كثيرة رتَّب عليها حقوقاً، كدرهم في بعضها أو أكثر، وينهى عن الجلوس متربعاً ولا يجلس إلَّا كهيئة التشهُّد ولو جلس النهار وكذلك أخوه سيِّدي أحمد.

وقد توفي بزاوية شيخه وبحضرته وهو بها الى الآن وفي آخر خمسة وعشرين والله أعلم كما تقدَّم قريباً في ترجمة أخيه رحمهما الله ورضي عنهم ونفعنا بهم وبأمثالهم آمين والسلام.

سيِّدي مُحمَّد بن مُحمَّد النجار الحسني الشفشاواني

ومنهم الفقيه العلَّامة الصوفي المحقق الدراكة الفهامة ولي الله تعالى أبو عبدالله سيِّدي مُحمَّد بن مُحمَّد النجار الحسني الشفشاواني، كان مِمَّن يدخله الشَّيخ على أولاده بقصد زيارتهم والتبرُّك بهم، كالشَّيخ الجليل سيِّدي مُحمَّد بو زيد وسيِّدي الشَّيخ بن الحرمة الفجيجي من حفدة سيِّدي الشَّيخ ابن الدِّين

البكري الصديقي، وسيِّدي الشَّيخ هذا كان ذا جدٍ واجتهاد وصيام وقيام وكشف كبير، كان أعجوبة زمانه وفريد عصره وأوانه في اظهار الخوارق وتكلمه الأموات والطير والعشب والجمادات والحيوانات.

كان يأتي لزيارة شيخنا من فجيج على الدوام لا يترك ذلك، وهو من الأبدال يجوز علينا مع الشَّيخ جالسين ويدخل الى دار الشَّيخ ويذكر أهل الدار ويخبرهم بمغيبات لا يخبر الشَّيخ بها ولا غيره

﴿ قَدْ عَلِمَ كُل أناسٍ مَشرَبهُم ﴾[1]

رحمه الله ونفعنا الله به آمين.

وأمَّا صاحب الترجمة كان من طلبة العلم ومن أعيانهم وكان عشيره ورفيقه ونظيره الفقيه العلَّامة سيِّدي مُحمَّد الزروالي والعالِم سيِّدي مُحمَّد بن منصور وأضرابهما، وكان شديد الانكار على أهل هذه الطريقة فلمَّا أراده الله أن يدخل في هذا الأمر وهو له كاره سمع بأخيه الأستاذ الفقيه الأجل سيِّدي مولاي أحمد النجار النسب أخذ عن الشَّيخ الدرقاوي، وكان كريم الأخلاق حسن السِّيرة فتغير لأجله واغتاظ كثيراً واشمأزت نفسه من ذلك فأتى اليهم يقصد أن يردُّه عن ذلك، فحيل بينه وبين طبعه ورضاه عن نفسه وأخذ الله بيده وتبين له الحق واضمحل رسم الخلق، فخرج عن علنه ومرؤته التي عند نفسه وعند أقرانه وخرق العوائد ونال الفوائد، حتى كان بعض الأيام يجلس بباب مدينة شفشوان بلدته ويفرق رجليه وينصب فخذه ويسأل كالمضطر الكبير العنب والتين للنساء والرجال ويقول

" من يعامل هذا المسكين لله "

---

[1]. البقرة ٦٠

والناس يتأسفون عليه، وهذه الأحوال وأمثالها عند أهل الطريقة نسك وقربات، وعند اهل الكبر والنظر لأنفسهم سيئات، فعشرناه وأخاه المذكور سنين عديدة فرأينا مِن حُسن سيرتهم وصفاء سريرتهم وأحوالهم أمراً عظيما، جعل الله ذلك لنا لا علينا آمين.

وأخذ عنه فقراء من الشاون وبني حسَّان وغيرهم، ومات بفاس حين سكنها بعد الثلاثين والمائتين والألف، وبعده بكثير مات أخوه المذكور يعني مولاي أحمد النجار مات في العشر الأوائل من المحرم فاتح ثمانية وأربعين ومائتين وألف برباط الفتح ودفن بها، وأمَّا هو دفن بخارج باب الفتوح بمطرح الأجلَّة قبلة من أشياخنا العباسيين والعبدلاويين والخصاصيين واليمانيين ﷺ أجمعين ونفعنا بهم آمين يا ربَّ العالمين

ملحق خوارق العادات

١- لبس الخشن من الثياب كالتليس والدربال.

٢- لبس القشابة المقلوبة

٣- حمل القرابين على الظهر.

٤- تعرية الرأس.

٥- المشي بالحفا.

٦- السؤال بالأسواق.

٧- الجلوس على المزابل مع الحرز من النجاسة.

٨- الرقاد بالطريق.

٩- اعطاء الماء لله.

١٠- الأكل بالأسواق بمحضر أهل المروءة وليس في غيبتهم ولا مع السُّقاط.

١١- تكبير اللقمة حين الأكل وفتح الفم كثيراً.

١٢- الجلوس في الطرقات وتفريق الأرجل مع ستر العورة.

١٣- السكوت على من يتسلَّط عليه أمام من يكره حضوره.

١٤- لبس المُرقَّع من الثياب وجعل السبحة في العنق والأخذ بالعصا باليد.

ملحق أصحاب الشَّيخ الدَّرقاوي مِمَّن ذُكروا في كتاب " الشِرب المُحتضر والسِّر المَنظر مِن أهل القرن الثالث عشر " لشَّيخ الإسلام الشَّريف جعفر بن إدريس الكتاني " ١٢٤٦- ١٣٢٣هـ "

سيِّدي حمَّاد بن حفيد الكتاني

ومنهم صاحب المَدد الروي والنور القوي المجذوب المُتبرَّك به سيِّدي حمَّاد بن حفيد الكتاني ويُقال له " سيِّدي حماد الجمل " لكونه فيما يُقال أخذ عن مولانا علي الجمل لكنه أخذ بعد عن تلميذه مولاي العربي الدَّرقاوي وبه تربى وانتفع وتهذَّب وارتفع.

كان رحمه الله صاحب حال وفيض وجذب قوي وقبض يدور في الأزِّقة والأسواق وتصدر منه أفعال كثيرة خارجة عن النطاق مجذوباً ملامتياً ولطريق الوله والغيبة والفراغ منتحياً، له كرامات عديدة وأوصاف من الولاية حميدة.

أصبح يوماً جالساً على شلية[1] عند سقاية الكروش بباب السلسلة وعليه كبوط[2] من كبابيط النصارى وبرجليه بابوج مِمَّا لهم ولم يكونا معروفين إذ ذاك بفاس ولا موجودين بها ووجهه ملطخ بالنجاسة، وكان عظيم اللِّحية وبقي كذلك الى العصر والناس يمرُّون عليه ويحدقون به، منهم مَن يُسلِّم ويقول " الله يلطف بنا ما هذا الَّا لأمر وقع أو سيقع " ومنهم من يُنكر، فما مرَّت إلَّا أيام يسيرة وورد الخبر بأخذ الجزائر في ذلك اليوم أعادها الله دار إسلام بمنِّه.

---

١. كرسي

٢. المعطف

ومرَّة أخذ قفة كبيرة وصار يطوف على الدور ويقول " من عنده زبل يرميه " فبلغ ذلك عامل البلد فنهاه عنه أشدَّ النَّهي وقال له

" ما حملك على هذا " ؟

فاعتلَّ بأن حائطاً في داره تداعى للسقوط وليس عنده ما يبنيه به فقال له " أنا أبنيه لك ولا تعُد " فاتفقا على ذلك ومن الغد رجع لفعله، وعن قريب جاء وباء عام خمسين ومائتين وألف وما أخذ الزبل من دار إلَّا وخليت فيه[1] ، ثم إنه قال

" إن الأولياء فرضوا أربعة أشخاص يتحملُّون بهذا الوباء عن الناس ويفدونهم بأنفسهم وأنا أحدهم "

فبعد يومين أو ثلاثة طعن ومات وكان ذلك أخر عهد الناس بالوباء، ودفن بروضتنا المجاورة لروضة مولاي عبد العزيز الدبَّاغ نفعنا الله بهما.

سيِّدي علال ابن الحاج مُحمَّد السَّلاسي

ومنهم الصالح البركة سيِّدي علال ابن الحاج مُحمَّد السَّلاسي المعروف بالهزَّاز من أكابر أصحاب مولاي العربي الدرقاوي وفضلائهم، وكان مقدماً على الفقراء أصحابه بفاس.

توفي رحمه الله يوم الأربعاء أول أيام رمضان عام ثلاثة وخمسين ومائتين وألف ودفن بروضة أولاد هزَّاز الذي فوق ضريح سيِّدي الحاج مُحمَّد فنجير بباب الحمرة.

[1]. مات جميع من فيه

سيّدي الحاج قدُّور بن الحاج مُحمَّد السلاسي

ومنهم الولي الصالح سيِّدي الحاج قدُّور بن الحاج مُحمَّد السلاسي الشَّهير بالهزَّاز من أكابر أصحاب مولاي العربي الدَّرقاوي وفضلائهم وذوي الأحوال المرضية منهم، توفي رحمه الله رابع الفطر عام ستة وستين ومائتين وألف ودفن بروضة أولاد الهزَّاز.

سيِّدي العربي ابن ابراهيم

ومنهم الولي الصالح سيِّدي العربي ابن ابراهيم من أصحاب العارف بالله مولاي العربي الدرقاوي.

كان رحمه الله يدور في الأسواق حافي الرأس والقدم عليه قشابة صوف لا يزيد عليها وكان لا يجادل أحداً في شيء إلَّا غلبه موسوماً عند الناس بالخير والصلاح.

ومن مآثره الحميدة أنه لمَّا ثقف[1] قاضي فاس خراج الحبس على شيخنا الشَّريف العلَّامة سيِّدي عبدالسلام بو غالب حين طلبه للقضاء ببعض حواضر المغرب وأبى صار يظل يومه يسأل ويحصل له من ذلك نصيب وافر، فكان يأتي به للشريف المذكور وبقي على ذلك الى أن أراد ردَّ عليه خراجه.

توفي رحمه الله بالطاعون ثامن ربيع النبوي عام أحد وسبعين ومائتين وألف ودفن قريباً من ضريح ابن عباد بروضة أولاد ابن ابراهيم الكائنة بكدية البراطل.

---

1. حبس وحجر

سيّدي عبدالواحد بن علال الحسني الادريسي

ومنهم الشَّريف الشَّهير الصوفي الولي الصالح المربي النفاع سيِّدي عبدالواحد بن علال الحسني الادريسي من ذرية داود بن ادريس باني فاس الشهير بالدبَّاغ.

كان رحمه الله جبلاً راسخاً وطوداً شامخاً وعارفاً مربياً كاملاً وفاضلاً محققاً واصلاً دالاً على الله بسائر أقواله مشيراً الى التعلُّق به في جميع أحواله.

أخذ عن العارف بالله مولاي العربي الدرقاوي وبه تربَّى وانتفع هو وجماعة وقد ألَّف فيه وفي شيخه المذكور بعض تلامذته وهو سيِّدي المهدي ابن القاضي مجلداً سمَّاه النور القوي في ذكر شيخنا مولاي عبدالواحد الدباغ وشيخه مولاي العربي الدرقاوي.

توفي رحمه الله صبيحة يوم السبت ثامن عشر ربيع النبوي عام أحد وسبعين ومائتين وألف ودفن أولاً بالرميلة بسيِّدي علي الجمل ثم نقل يوم الأحد بعيد الفجر سابع ذي القعدة ثلاثة وسبعين الى محل جُعل له زاوية بالسياج قبالة زاوية سيِّدي أحمد البدوي.

سيِّدي أحمد البدوي بن الحاج أحمد أزويتن

ومنهم الشِّيخ الكبير والولي الشَّهير سيِّدي أحمد البدوي بن الحاج أحمد بن أبي جيدة بن عبدالكريم الشهير ب أزويتن الدرقاوي طريقة.

نشأ رحمه الله في عفاف وديانة وكانت له حانوت بسوق العطَّارين ثم أنه تركها وانقطع الى الله واشتغل بتعلم العلم فكان يحضر مجلس الشِّيخ سيِّدي الطَّيب ابن كيران وسيِّدي حمدون ابن الحاج وسيِّدي عبدالسلام

الأزمي وغيرهم وقرأ علم التجويد على سيّدي إدريس البكراوي ولم يطل اشتغاله بعلم الظاهر ولم يحصل منه سوى المحتاج اليه.

وكان عاملاً بعلمه تابعاً للسُنَّة وإماماً ومورقا[١] بمسجد الشرابليين ثم صار يطلب من يأخذ بيده وصار له ولوع بكتب القوم ومحبة عظيمة في جانب الله إلى أن ظفر بشيخه مولاي العربي الدرقاوي فانتفع به انتفاعاً عظيماً وتربى به وتهذَّب وتخلَّق وتأدَّب وكان من أكابر اصحابه وخواصهم وذوي الأحوال العجيبة منهم وظهرت له كرامات وخوارق وله زاوية وأصحاب وأتباع ظهرت عليهم بركته وشملتهم عطفته ورسائل كبرى في سفر كبير عظيم وأخرى صغرى ولتلميذه الشَّريف الفقيه سيّدي مُحمَّد العربي بن مُحمَّد الهاشمي المدغري تأليف ضمَّنه التَّعريف به، توفي رحمه الله ليلة الأحد قرب الفجر بيسير ثالث وعشري ذي الحجة عام خمسة وسبعين ومائتين وألف ودفن بزاويته من حومة السياج.

سيدي بو عزة المهاجي

ومنهم السِّيد النزيه المُعظَم المحترم الوجيه الشَّريف البركة المحقق العارف بالله أبو عبدالله سيّدي بو عزة التلمساني المهَّاجي من مهَّاجة قبيلة من بني عامر بعرب تلمسان.

له زاوية بوَجْدة[٢] وأخرى بتلمسان له فيها أصحاب وأتباع وكان من أصحاب مولاي الدَّرقاوي ومن أهل أصحاب الحقائق والعرفان وتنسب له أحوال وخصال حميدة وتصرُّفات وكشف ونورانية قلب.

---

١. الواعظ

٢. مدينة مغربية شهيرة أقصى الشمال الشرقي على الحدود الجزائرية

يُحكى أنه كان جالساً مع بعض العلماء فجاء سائل يسأل عن مسألة غميضة في الفقه فأجابه بعض ذلك من العلماء بما يحفظه فيها من نص " المختصر" فقال له صاحب الترجمة ولم يكن له مساس بالمختصر ولا بشروحه ولا بشيء من الفقه

" في نفسي شيء من هذا الفقه وأظنه غير مسلم وراجع شُرَّاح المتن "

ففعل العالم المذكور فوجد الشرَّاح كلُّهم قد اعترضوه فتعجَّب من ذلك.

وكان إذا جلس مع العلماء يفحمهم ولا يقدر واحد منهم أن يتكلَّم معه وكان يقول

" لو نزلت الملائكة من السَّماء لتذاكرنا معهم " انتهى.

وكان في أول أمره يغلب عليه الصمت حتى قال له شيخه المذكور يوماً من الأيَّام

" تكلَّم "

فانطلق لسانه حينئذٍ وتكلَّم بما يبهر العقول.

توفي رحمه الله يوم الجمعة خامس عشر شتنبر[1] عام سبعة وسبعين ومائتين وألف ودفن بمسجد سيِّدي أبي مدين الغوث المعروف بأقصى الرميلة من عدوة فاس القرويين.

---

[1]. من الغريب أن المؤلف رحمه الله تعالى أرَّخ هنا بالتاريخ العجمي لا العربي والتاريخ المذكور يوافق بالعربي أواسط ربيع الأول تقريباً

أبو بكر بن مُحمَّد بن أحمد ازويتن

ومنهم الشِّيخ الصالح ذو النور اللَّائح والحال القوي والمدد الرَّوي السِّيد الجليل الملامتي سيِّدي أبو بكر بن مُحمَّد بن أحمد بن أبي جيدة بن عبدالكريم الشَّهير بأزويتن الدرقاوي طريقة.

أخذ رحمه الله في حال الصبا عن الشِّيخ الأكبر مولاي العربي الدرقاوي وأمره أن يستغفر الله في كل يوم عشراً ويهللِّهُ عشراً ويصلِّي على النَّبي ﷺ عشراً ولم يعطه من الورد ما كان يعطي لأصحابه من الورد لصغره إذ ذاك ثم بعد ذلك لمَّا كبُر أمره بالتجريد تصدر منه أقوال وأفعال ينكر ظاهرها من لم يعرف حقيقتها.

وله كلام عال في الطريق وأحوال خارقة وحدَّث الناس عنه ببعض الكرامات وذكر ولده سيِّدي أحمد أنه مرض في بعض الأيام مرضاً شديداً فأحدقوا به وجعلوا يبكون فقال لهم

" ما لكم تبكون "

ثم حلف لهم لا مات من ذلك المرض وقال لهم

" إني وعِدتُّ من الله تعالى بأمر قبل وفاتي وإني الى الآن ما أدركته ولا أموت حتى أدركه "

قال

" فكان الأمر كذلك ولم يمت من ذلك المرض "

ويقال إنه كان من الأولياء أهل التَّصريف إلَّا أنه كان يتطوَّر على طريق الملامتية.

توفي رحمه الله بعيد ظهر يوم الثلاثاء عشري رجب عام أحد وثمانين ومائتين وألف ودفن بزاوية سيِّدي علي الجمل وجاه الباب الذي يدخل منه اليه.

سيِّدي الحاج عمر بن الطالب ابن سودة

ومنهم شيخنا الإمام العلَّامة الهمام العديم النظير في التحقيق والتحرير المهذب الأخلاق الطيب الأعراق الفصيح اللِّسان المطهَّر الجنان الناسك العابد المنقطع الماجد نخبة الفضلاء وواسطة عقدة النبلاء أبو حفص سيِّدي الحاج عمر بن الطالب ابن سودة.

كان رحمه الله غريب الأحوال حلو الأقوال يمزج عبارته بالصلاة على النبي المختار ﷺ ويحض كل مَن لَقيهُ على ما يُقرِّب الى الواحد القهَّار وكان يحفظ كلام العارفين الكثير وخصوصاً " **الحِكم العطائية** " و" **التنوير**" [١].

ذا سمت وهدي وخشوع وإنابة وتواضع وخضوع مع المواظبة على الأوراد والأذكار آناء اللَّيل واطراف النَّهار، يعظِّم جميع طوائف الفقراء المنتسبين منهم والمتجردين.

أخذ العلم عن سيِّدي عبد القادر الكوهن وسيِّدي عبدالسلام الأزمي وشيخنا ابن عبد الرحمن وغيرهم والطريقة عن مولاي العربي الدرقاوي ثم عن سيدي مُحمَّد الحرَّاق، وجال في أقطار الأرض جولان السباق وكان كلما وصل لبلد درس فيها وله شرح على المختصر لم يكمل.

[١]. التنوير في اسقاط التدبير للشيخ ابن عطاء الله السكندري

سيّدي مُحمَّد بن عبدالقادر الداودي

ومنهم الولي الصالح المُتبرَك به أبو عبدالله سيِّدي مُحمَّد بن عبدالقادر الداودي، كان رحمه الله مِن أعيان أصحاب العارف الأشهر مولاي العربي الدرقاوي وفضلائهم، وكان الناس يتبرَّكون به وينسبونه الى الخير وكان يتنسَّك ويستعمل سنة الخضاب بالحنَّاء فيخضب بها لحيته كثيراً لكونها كانت بيضاء.

توفي رحمه الله سابع شوَّال عام ستة وثمانين ومائتين وألف ودفن أولاً بروضة أولاد السرَّاج خارج باب الفتوح ثم نقل منها الى روضة أخرى بأعلى روضة العراقيين ودفن بها بين صخرتين عظيمتين وبُني عليه شاهد كبير.

سيِّدي الحاج مُحمَّد فنجيرو

ومنهم الشِّيخ الصالح المسن الأشيب المتبرك به أبو عبدالله سيِّدي الحاج مُحمَّد فنجيرو مِن أجلَّاء أصحاب مولاي الدرقاوي وفضلائهم وكبا خيارهم ، عمَّر طويلاً أدرك الشِّيخ التاودي وصلى وراءه.

كان رحمه الله عظيم النور قوي الحال جليل القدر صادق الفراسة ذا كشف وكرامة، يحكى أنه كان جالساً بحانوت سيِّدي عبدالواحد بناني[١] وقت خروج روح سيِّدي البدوي أزويتن ولم يعلم رب الحانوت بموته فشمَّ بأنفه شمَّة عظيمة وقال

---

[١]. عبدالواحد بن البدوي النفري الفاسي الشيخ العارف المربي أحد رجال السلسلة الشَّاذلية أخذ عن سيِّدي مُحمَّد أيوب عن مولاي الدرقاوي وعنه سيدي مُحمَّد بن ابراهيم وعن ابن ابراهيم مولاي ادريس بن الطائع الكتاني " أخو المؤلف " خليفته بفاس وسيدي مُحمَّد بن الصديق الغماري شيخ الزاوية الصديقية بطنجة وله تائية عرفانية رائعة بالرغم من أميته أثبتها الحافظ مولاي أحمد بن الصديق الغماري في " التصور والتصديق " توفي ﷺ عام ١٢٨٥ .

" هذا سر سيّدي أحمد البدوي ها هو ذا جائز الى الصحراء ها هو"

فلم يبرح أن سمع موته في تلك الساعة وظهر مصداق ما أخبر به بأنه ظهر سرّهِ في تلميذه سيِّدي مُحمَّد العربي المدغري الحسني نفعنا الله بهم.

توفي رحمه الله رابع وعشري صفر عام تسعة وثمانين ومائتين وألف ودفن بروضته المقابلة لروضة سيِّدي أبي زيد الهزميري وبني عليه حوش.

ملحق رقم ٢ أصحاب الشَّيخ الدَّرقاوي مِمَّن ذُكروا في كتاب " سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس " لشيخ الإسلام الشَّريف ابي عبدالله مُحمَّد بن جعفر بن إدريس الكتاني " ١٢٧٤- ١٣٤٥هـ "

سيدي علي بن العربي الدرقاوي

ومنهم الشريف الأنور البركة الأشهر المربي النفاع السالك سبيل الاتباع الولي الصالح الحاج الأبر أبو الحسن سيِّدي علي ابن الشِّيخ الإمام المستغرق في أنوار التجلي على الدوام الكامل المكمل الواصل الموصل الأكمل القطب الرباني والنور اللائح الإيقاني الفقيه الاستاذ أبو حامد سيِّدي العربي بن أحمد بن الحسين بن علي بن مُحمَّد بن يوسف بن أحمد الحسني الادريسي الزروالي الشهير بالدرقاوي من الشرفاء المعروفين أولاد الشِّيخ أبي عبدالله مُحمَّد بن يوسف بن جنور الملقب بأبي درقة من ذرية الإمام أبي العباس أحمد بن مولانا ادريس باني فاس ﷺ.

كان رحمه الله بدينا طويل الجسم كريم الأخلاق حسن السيرة أخذ عن أبيه مولاي العربي وتربَّى به وتأدب وتكمَّل وتهذَّب وولي من بعده أمر الفقراء بفاس وكان مربياً نفاعاً، له كرامات وكشف ورحل للمشرق لحج بيت الله الحرام وزيارة قبر نبيه عليه السلام سنة تسعة وستين ومائتين وألف فحجَّ وزار ونال البغية والأوطار وأخبرني بعض الأشراف ممن رافقه في حجه المذكور أنه أصابه مرة مرض ولم يعلم به صاحب الترجمة قال " فلمَّا لم يرني سأل عنّي فقيل هو مريض فقال أعلمتموني به ؟ إذا مرض أحد من رفقائنا فأعلموني به، قال ثم إنه دعاني ودعا بإناء من ماء فأتي به فقرأ فيه

شيئاً يسيراً ثم امرني فشربته قال فو الله بمجرد شربي إياه أنسلَّ المرض مني انسلال الشعرة من العجين وعوفيت في الحين ولكأنه لم يكن بي بأس".

توفي رحمه الله يوم الثلاثاء تاسع عشر ربيع الثاني عام أربعة وسبعين ومائتين وألف وصُلِّي عليه ظهراً بمسجد القرويين ودفن بزاوية أبيه المشهورة بحومة البليدة وضريحه بها عليه دربوز من خشب يُزار ويتبرك به.

سيِّدي علي المدعو علالاً ابن مُحمَّد الكومي

ومنهم الفقيه الإمام العالم الهمام الصوفي الأنور البركة الأخير أبو الحسن سيِّدي علي المدعو علالاً ابن مُحمَّد بن أحمد ابن جلون الكومي لقباً الفاسي داراً.

قرأ رحمه الله على عدة من الشيوخ كالشَّيخ سيِّدي الطيب ابن كيران وسيِّدي حمدون ابن الحاج وأبي عبدالله الزروالي وأبي عبدالله ابن منصور وأبي عبدالله اليازغي وأبي العلاء العراقي الحسيني وأبي مُحمَّد الأزمي وسيِّدي العربي الزرهوني وأبي عبدالله مُحمَّد بن أحمد بناني تلميذ أبي عبدالله جسوس المتوفى بالقيروان بعد قفوله من الحج ودفن مع سيِّدي ابن زمعة البلوي الصحابي في قبره.

وأخذ الطريقة الشَّاذلية من مولاي العربي الدَّرقاوي، والطريقة التيجانية عن إمامها سيِّدي أحمد التيجاني، والطريقة الناصرية عن بعض مَن له الإذن فيها في الوقت وتبرَّك بسيِّدي مُحمَّد الرهوني واستفاد من غير واحد من الأخيار خواص وأدعية وأذكار.

وله تقاييد على " **الأبي** " وأخرى على " **مصابيح السُّنة** " للبغوي وأخرى على " **ابن سلمون** " وأخرى على " **الكشاف** " لم يكمل وأخرى متفرقة في

أوراق وكان له فهم ثاقب ورأي صائب وتهجد وتلاوة وذكر، سريع الدمعة خافض الجناح حافظ اللسان من الغيبة وسائر العثرات خامل الذكر.

قال عنه ولده شيخنا أبو عبدالله سيِّدي مُحمَّد المدني ابن جلون

" ما حفظت عنه اغتاب أحداً أو أخرج صلاة عن وقتها أو مدح الدُّنيا " انتهى.

وكان رحمه الله قد ولي مرة خطة الحسبة بفاس قام بها أحسن قيام وأجمَلَ الناس الثناء عليه.

توفي صبيحة يوم الأثنين سابع عشر جمادي الأولى سنة اثنين وتسعين ومائتين وألف ودفن بروضة مجاورة لزاوية سيِّدي مُحمَّد بن إبراهيم الخياطي التي بدرب الحرة من هذه الطالعة تفصل بينهما الزنقة المسماة بدرب أهل تادلة.

سيِّدي مُحمَّد بن مُحمَّد الحراق

ومنهم الشِّيخ العلَّامة القدوة الفهامة مصباح الظلام وحجة الاسلام شيخ الطريقة ولسان الحقيقة شريف النسبتين ومفتي المذهبين القطب الربَّاني والعارف بربه الصمداني أبو عبدالله سيِّدي مُحمَّد بن مُحمَّد الحراق بن عبدالواحد بن يحيى بن عمر الحسني العلمي الموسوي ينتهي نسبه الى سيِّدي موسى بن مشيش أخي القطب مولانا عبدالسلام رضي الله عنه.

كان رحمه الله إماماً جليل القدر متضلعاً في علمي الظاهر والباطن انتهت اليه فيهما الرياسة مشاركاً في فنون العلوم من تفسير وحديث وفقه وتصوف ومعقول بجميع فنونه، وأمَّا الأدب والشعر فقد كان أن ينفرد بهما في عصره ،أخذ العلم عن جماعة من الشيوخ، وطريقة التصوف عن الشَّيخ

مولاي العربي الدرقاوي وكان أخذه عنه سنة ثمان وعشرين ومائتين وألف وهو إذ ذاك أبن أربعين سنة أو نحوها.

وتوفي في الحادي والعشرين من شعبان سنة إحدى وستين ومائتين وألف، ودفن بتطوان بزاويته الشهيرة به وضريحه بها مشهور معروف يزار، وترجمته رحمه الله واسعة وقد أفردها بعض تلامذته بتأليف مستقل وقد رأيته.

سيِّدي مُحمَّد الشَّريف بن الشَّيخ سيِّدي علي الجمل العمراني

ومنهم السِّيد الشِّريف البركة المنيف أبو عبدالله سيِّدي مُحمَّد الشَّريف بن الشَّيخ سيِّدي علي الجمل العمراني.

أخذ رحمه الله عن تلميذ والده الشَّيخ مولاي العربي الدَّرقاوي وتربَّى به وتأدَّب وتخلَّق وتهذَّب وتوفي في أواسط القرن الثالث بعد الألف ودفن بقبة والده أمامه متصلاً به.

سيِّدي عبدالرحمن ابن نونة

وخلَّف بعدهُ ولده سيِّدي عبدالرحمن ابن نونة كان رحمه الله أيضاً من أصحاب مولاي العربي المذكور، وكان مولاي العربي يكاتبه برسائل بخطِّه وقفتُ على بعضها وفيه ثناء عليه حَسن، توفي في ذي الحجة عام خمسة وستين وألف ودفن أمام والده المذكور متصلاً به.

سيِّدي مُحمَّد بن ابراهيم الفاسي

ومنهم الولي الصالح الشهير الواضح العارف بالله تعالى أبو عبدالله سيِّدي مُحمَّد بن ابراهيم الفاسي، كان رحمه الله خليفة مولاي الدَّرقاوي في فاس حال حياته وكان من العارفين بالله تعالى المستغرقين في حضرة الله وكان يغلب عليه السكر في بعض الأحيان حتى لا يدري ما به يتكلَّم ولا الى أين يذهب وكان يُدعى بقطب الأحوال في وقته لاشتهاره بها وكانت له اليد الطولى في العلم بالله وكان باطنه أقوى من ظاهره، وحاله أكبر من مقاله وكانت له أحوال عجيبة وخوارق غريبة وكان شيخه مولاي الدرقاوي إذا أراد أن يُذكِّر أحداً بالحال يرسله إليه.

أخذ عن جماعة منهم مولاي عبدالواحد الدباغ بعد وفاة شيخه قبله سيِّدي عبد القادر بن أبي جيدة الفاسي ولم يزل في خدمته وصحبته الى أن قدم الى فاس مولاي العربي الدرقاوي من بني زروال فجدَّد عليه العهد وسلب له الإرادة وتولى تربيته.

وتوفي في حياة شيخه مولاي العربي ودفن بالزاوية المذكورة خارج قبتها مجاوراً لضريح مولاي عبدالواحد ما بينهما إلَّا جدار القوس المبني.

سيِّدي الحسن بناني

ومنهم تُوفي بعدهُ بقريب، رفيقه البركة الصالح سيِّدي الحسن بناني من أكابر أصحاب مولاي العربي أيضاً وفضلاء مُقدَّمي أصحابه، ودُفن بإزائه مُتصلاً به ليس بينهُ وبينهُ إلَّا جبهةُ بناء وقَبراهما مُزدَّجان وهُما مرتفعان عن الأرض.

سيّدي مُحمَّد بن الحاج مُحمَّد بن يعقوب

ومنهم الشّريف الفاضل العارف الكامل أبو عبدالله سيّدي مُحمَّد بن الحاج مُحمَّد بن يعقوب المعقودة بن القاسم الفجيجي السّليماني الجراري الدرقاوي طريقة.

كانَ رَحمهُ الله مِن خاصة أصحاب الشّيخ الأكبر مولاي العربي الدّرقاوي وفُضلائهم وله تلامذة وأتباع، وأخذ عن غير واحد مِن الشّيوخ وانتفع، وكان يخبر بالاجتماع بالمصطفى ﷺ يقظةً ومناماً ويُشير كثيراً الى ما أنعم الله به عليه مِن ذلك ويتحدَّث به.

ورأيت له تأليفاً سمَّاهُ " **مَرتع القُلوب مِن حَضرةِ علَّامِ الغُيوب** " أخبرَ فيه بأشياء مِمَّا منَّ الله به عليه منها قوله

" شاهدتُّه ﷺ وهو يبكي ويُمرِّغ وجههُ في التُّراب ويقول

" **يا حسرتي على أمتي ثلاث مرَّات جهلوا مولاهم وتركوا سُنَّتي واتبعوا أهواءهم وإذا جاءهم أحد يذكر الله ويوحِّدهُ ويُعظِّمهُ يستهزئون به وهو يقول أمَّتي ثلاثاً يا من بعباده رؤوفاً رحيما** " انتهى.

وأشار فيه الى أن له تأليفاً آخر سمَّاه " **المواهب اللَّدنيَّة في العلوم الغيبية مِن حضرة الألوهية** " وأُصيبَ رَحمهُ الله في بَصره فصبر حتَّى توفي بهذه الحضرة بين العشائين مِن يوم الأثنين سابع عشر ذي القعدة عام أربعة وستين ومائتين وألف ودُفن بروضةِ صاحبِ الترجمة قبلهُ وبُني عليه بها قوس.

سيِّدي الحاج مُحمَّد بن الطاهر الحبابي الفاسي

ومنهم ولدهُ الفقيه النَّبيه الحسابي المؤقت النَّزيه المعدل الفرضي المُشارك المُسِن البركة النَّاسك أبو عبدالله سيّدي الحاج مُحمَّد بن الطاهر الحبابي الفاسي، كان رَحمهُ الله مِن أهل الفقه والمشاركة في عدة علوم ماهراً في الحساب والتوقيت والتعديل والفرائض والهيئة والسيميا وعلوم التدبير والطبيعة والأوفاق وغير ذلك أخذه عن عدة مشايخ بالمشرق والمغرب وله فيه تقاييد كثيرة في عدة كنانيش.

وحجَّ وزار وجال في كثير من النواحي والأقطار ولقي أفاضلاً أخياراً وعلماء أبرار وانتفع بهم ونال من بركتهم كالشِيخ المُسنُّ البركة الدَّال على الله الشِّريف مولاي إدريس ناصح وتلميذه الشَّريف البركة العارف دفين قَرافات مصر مولاي إدريس بن علال الدَّباغ والشَّريف العارف أبي حفص سيِّدي عمر بن المكِّي بن المعطي بن الصالح الشّرقاوي والأستاذ المنور مولاي عمرو العمراني المتقدِّم قريباً والفقيه البركة سيِّدي الحاج مُحمَّد الدريج. وغيرهم، وأخذ الطَّريقة الدَّرقاوية عن صاحبها شيخ والده مولاي العربي وتبرَّك بصحبته وانتفع به.

وَ ولَّاهُ السُّلطان مولانا سليمان بن مُحمَّد العلوي توقيت المسجد الأعظم بفاس وهو مسجد القرويين فقام به بعد امتناعه أولاً لِكُبر سنِّه حتى أشار عليه شيخه المذكور بالقبول ففعل.

وأخذ عنه كثيراً من العلوم التي يحسنها جماعة كثيرة بالمشرق والمغرب وعدد من الجيش السلطاني وبعض الوزراء، وممَّن أخذ عنهُ مؤقت المسجد الأعظم بفاس العليا سيِّدي أحمد التواتي ومؤقت المسجد الأعظم بمكناسة الزيتون الفقيه الذاكر الكثير الخير والبذل والمعروف والصدقة سيِّدي

الجيلاني الرحالي ومؤقت سلا الفقيه العدل سيّدي إدريس الجعايدي وغيرهم.

توفي رَحمهُ الله عن سنٍ عالية عشيَّة يوم الجمعة سابع عشر شوَّال الأبرك عام سبعة وستِّين ومائتين وألف، ودفن بقرب والده المذكور وهو الآن معروف عند بعض النَّاس مزلج عليه.

سيّدي أبو زيَّان بن أحمد المعسكري الإغريسي

ومنهم الشَّريف الفقيه الأجل الولي الصالح الافضل العارف المُحقَّق الصوفي المُدقِق سيّدي أبو زيَّان بن أحمد المعسكري الإغريسي، كان من جلَّة أصحاب العارف بالله مولاي العربي الدَّرقاوي وكبرائهم وكان له أصحاب وأتباع اخذوا عنه وانتسبوا اليه.

وله طبقات في مناقب شيخه المذكور وبعض أصحابه، توفي قبل اكمالها يوم الجمعة خامس ربيع الأول سنة نيف وسبعين ومائتين وألف ودفن بروضة أولاد إدريس التي في آخر الرَّوضات الكائنة بهذا الخارج من ناحية القبلة.

سيّدي العيَّاشي الخميري

ومنهم الولي الصالح الذَّاكر الفالح أبو مُحمَّد سيّدي العيَّاشي الخميري من أولاد الخميري المعروفين بفاس.

كانت له رحمه الله حانوت بسوق الرَّصيف تقابل باب مقصورة خطيب الجامع هناك يبيع فيها الزَّبيب والتَّمر والأرز والملح والبصل ونحو ذلك،

وفي أوان المصيف يصنع الشراب الحلو المُتَّخذ من الزَّبيب ويدور به في الأسواق ويبيعه للنَّاس.

وكان كثير الذِّكر والصَّلاة على النَّبي ﷺ كثير الصِّيام والقيام كثير الكشف يخبر بالمغيبات وتظهر على يديه الكرامات.

ولقي غير واحد من الأشياخ وأخذ عنهم وانتفع بهم كالشّيخ مولاي العربي الدَّرقاوي وغيره، توفي ليلة الأربعاء ثامن عشر صفر الخير عام أربعة وستين ومائتين وألف ودفن بروضة أهله الكائنة بهذا الخارج متصلة بالروضة المذكورة قبله.

سيِّدي مُحمَّد بن عبداللَّطيف جَسوس

ومنهم الفقيه الأنور الصوفي الأبهر أبو عبدالله سيِّدي مُحمَّد بن عبداللَّطيف جَسوس، كان رحمه الله خيّرًا ديِّناً فاضلاً عالماً مدرساً ذاكراً ناسكاً تقياً زوَّاراً للصَّالحين مُحباً للفقراء والمساكين سالكاً سبيل أهل التَّصوف في مُطالعة كُتب القوم والمُذاكرة فيها مولعاً بسرد كتب الحديث تبرُّكاً واستفادةً.

وكان حريصاً على مجالسة أهل الخير كلفاً بصحبتهم وملاقاتهم، لقي القطب الأشعر أبا العبَّاس سيِّدي أحمد التيجاني وتبرَّك به واستفاد من علومه ولقي بعده العارف الأكبر مولاي العربي ابن أحمد الدرقاوي وأخذ عنه طريقتُه وألَّف تأليفاً في نصرة الفقراء سمَّاهُ " **نُصرة الفقير** " وكان يدرس رسالة ابن أبي زيد بين العشاءين بمسجد سيِّدي موسى من حومة جرنيز ويؤم بمسجد درب البواق.

وتوفي رَحمهُ الله عاشر رجب عام ثلاثة وسبعين ومائتين وألف ودفن بروضتهم المذكورة وادير عليه بها حوش صغير مجاور لضريح صاحب الترجمة قبله وزدج قبره به وكُتب عند رأسه تاريخهُ.

سيِّدي الحاج أحمد بن صالح بناني

ومنهم الفقيه النزيه العالم النبيه الصوفي الأرضى الكامل المرتضى أبو العباس سيِّدي الحاج احمد بناني، ولد رحمه الله عام عشر ومائتين وألف وكان فقيهاً خيِّراً ديِّناً ورعاً صالحاً ذاكراً خاشعاً ناسكاً يألف المساجد ويعتكف العشر الأواخر مِن رمضان دائماً بجامع الاندلس ويحبُّ مجالسة أهل الخير والمذاكرة معهم، وحجَّ وزار ولقي غير واحد مِن الفضلاء الأخيار وتبرَّك بهم ونال منهم.

أخذ العلم عن الفقيه سيِّدي مُحمَّد بن عبد الرحمن الفلالي وسيِّدي عبدالقادر الكوهن وسيِّدي الحسن ابن فارس وسيِّدي بدرالدِّين الحمومي وسيِّدي مُحمَّد السَّنوسي. وغيرهم،

وطريقة التَّصوُّف عن العارف الأكبر مولاي العربي الدرقاوي، وحين أخذ عنه قال له

" يا ولدي عليك بقراءة العلم فو الله الذي لا إله إلَّا هو لو كان لي عقل اليوم وقوة الشباب ما اشتغلت بشيء سوى العلم ولكن إيَّاك ان تترك مجالسة الفقراء ".

توفي رحمه الله عشية يوم الثلاثاء سادس عشر ربيع الثاني عام ستة وثمانين ومائتين وألف ودفن من الغد عند رأس والده وبني عليه شاهد صغير ايضاً.

عبدالسلام بن مُحمَّد ابن إدريس العراقي

ومنهم الولي الصَّالح الزَّاهد المتجرد الناسك العابد أبو مُحمَّد مولاي عبدالسلام بن مُحمَّد ابن إدريس العراقي، كان رحمه الله من كبار تلامذة مولاي العربي الدَّرقاوي وشهد له شيخه المذكور بالخصوصية وثناء الناس عليه.

توفي في حدود الخمسين أو نحوها ومائتين وألف ودفن بروضتهم المذكورة أمام شاهد سيِّدي مُحمَّد الكامل بينه وبينه نحو من خمس وعشرين خطوة وجعل عليه حوش صغير للتمييز.

سيِّدي أحمد ابن عبد المؤمن الغماري

قال المؤلف في استطراد بذكر الشِّيخ المربِّي الشَّريف سيِّدي أحمد ابن عبد المؤمن الغماري.

أنه رجع الى بلده فتعلَّقت همَّتُه بطلب شيخ يسلك به الى الله تعالى واستخار الله تعالى في ذلك فأراه الله في منامه الولي الصالح سيِّدي مُحمَّد البوزيدي الغماري فقال له

" أنت منَّا وإلينا "

ثم اشار عليه بصحبة الولي الصالح الشَّهير الواضح الشِّيخ العلَّامة الكامل العارف المحقِّق الواصل ابي العبَّاس سيِّدي الحاج أحمد ابن عبد المؤمن الغماري الحسني المتوفى ضحوة يوم الاربعاء سابع عشر جمادي الأولى عام اثنين وستين ومائتين وألف وهو أحد كبار أصحاب الشِّيخ مولاي العربي الدَّرقاوي.

ملحق أصحاب الشَّيخ الدَّرقاوي مِمَّن ذُكروا في كتاب " موسوعة أعلام المغرب "

مُحمَّد بن الشريف الواسطي

وفي سنة ثلاث وثلاثين ومائتين وألف أو في التي بعدها توفي المرابط سيّدي مُحمَّد بن الشَّريف الواسطي الدرقاوي من أصحاب مولانا الدرقاوي نفعنا الله به، كان من الأكابر ولما رأى ما بدا مِن عتوا الترك على العرب بالجزائر ونحوها قام انتصاراً لله على السلطان يومئذ واجتمع عليه أقوام عديدة وقويت شوكته بنواحي الجزائر واخذ بعض المدن كتلمسان وغيرها، فخرج اليه السلطان من الجزائر بجيوش عديدة فلمَّا التقى الجمعان كانت الهزيمة على التركي وفر بجنوده وبقيت أثقال المعسكر وخزائنه وقبة الملك كل ذلك مضروب، فجاء ابن الشريف ودخل ذلك كأنما ضرب له بجميع اقامته وازدادت شوكته بذلك.

وثار من ناحية قسمطينة آخر يقال له ابن الأحرش فجاء اليه وأبقاه على حاله نُصرة له بتلك النواحي حتى ظهر الضعف في مملكة الترك، ثم إن الله تعالى أعاد عليهم نصرهُ فخرج التركي مرة أخرى فمنحهُ الله نصرهُ فهزمهُ وقُتل من جنده ما يزيد على ستمائة قطع رؤوسها، وفر ابن الشريف بنفسه هارباً الى بعض اخوانه بقبيلة بني يزناتن وانقطع للعبادة هناك نحواً من سبعة أعوام أو أكثر الى أن توفي عام تاريخه.

أحمد بن زرعيل الأغزاوي

وفي يوم الأربعاء ثالث حجة من عام أربعة وثلاثين ومائتين وألف توفي أحمد بن مُحمَّد بن الحاج الزروالي يدعى ابن زرعيل من اكبر تلامذة الشَّيخ العربي الدرقاوي، كان حافظاً صوفياً ناسكاً متبتلاً.

مبارك بن مُحمَّد الخَميري

توفي مبارك بن مُحمَّد الخَميري الدرقاوي طريقة عام أربعة وثلاثين ومائتين وألف ، من أكبر تلامذة الشَّيخ العربي الدرقاوي أيضاً، يُشار اليه بالخير والصلاح، له أتباع وتعظيم واحترام.

علي بن مُحمَّد بو زيد الخمسي

في عشري محرم من عام تسعة وثلاثين ومائتين وألف توفي علي بن مُحمَّد بن عبدالله بن مُحمَّد بو زيد الحسني الخمسي من مدشر الخزانة، كان خيِّراً ديِّناً صالحاً من أكبر تلامذة الشَّيخ العربي الدرقاوي ومن أكبر أشياخ التهامي ابن رحمون.

مُحمَّد بن حرمة الفجيجي

مُحمَّد بن حمو المعروف بابن حرمة الفجيجي، الشَّيخ الشَّهير من أكبر تلامذة الشَّيخ العربي الدرقاوي توفي بفاس عام أربعين ومائتين وألف ودفن بمطرح الجلَّة بالقِباب.

جدول المحتويات

٩٢٢/٦٢٢

و ١٤٧٢ الدرقاوي ، محم بن احمد المعسكري الاندلسي(ت١٢٧٠) .

كنز الاسرا في مناقب مولانا الشيخ العربي الدرقاوي وبعض أصحابه الاخيار ١١٥٠-١٢٣٩هـ/محمد بن احمد الدرقاوي المعروف ابن الزيان؛تحقيق محمد جهاد ناصر الرفاعي .-ط١.-كركوك:الزاوية العلاوية ،٢٠٢٢.

٢٦٩ص ؛٢٤سم.

١- الرفاعي (رجل دين متصوف) ا-الرفاعي محمد جهاد (محقق).ب-العنوان

م . و.

٢٠٢٢/٣٩٨٥

المكتبة الوطنية / الفهرسة اثناء النشر

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٣٩٨٥) لسنة ٢٠٢٢